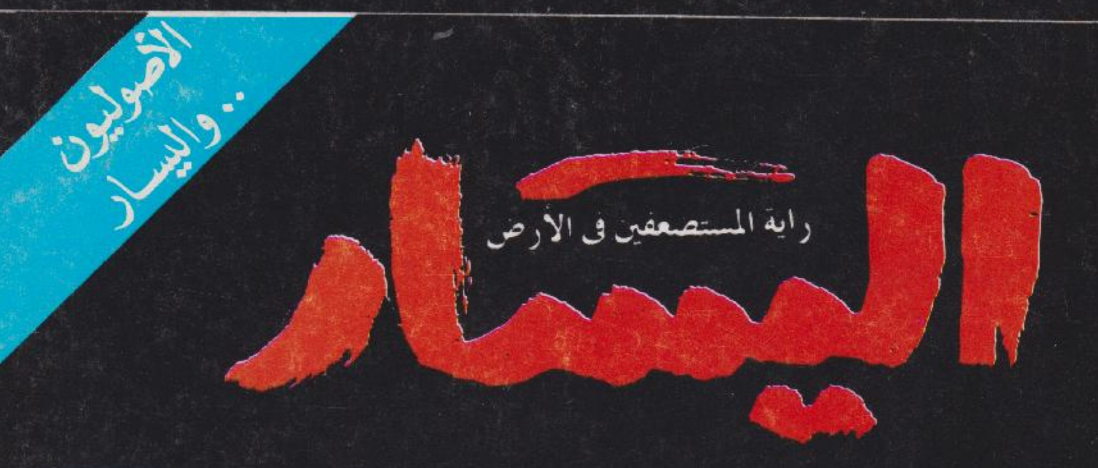
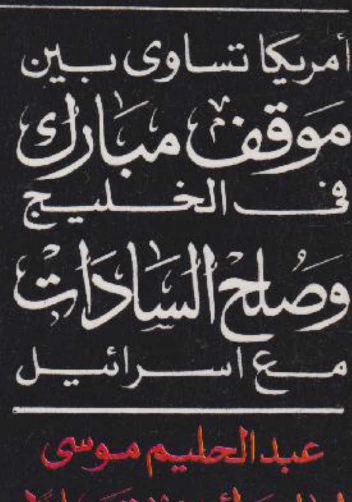
الأصوليون .. واليسار



العدد الثامن / اكتوبر ١٩٩٠ م / ربيع اول ١٤١١ هـ / الثمن جنيه مصرى





عبد الحليم موسى
اثنان وأربعون قتيلاً
فى سبعة شهور !

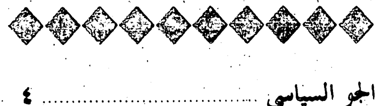
أزمة اقتصادية
جديدة .. والحكومة
لا تغيير !!

خريطة جديدة للشرق الأوسط

فؤاد مرسى
طبت حياً وميتاً
«يا رفيق خالد»



ديمقراطيــة / عقلانيــة / اشتراكيــة





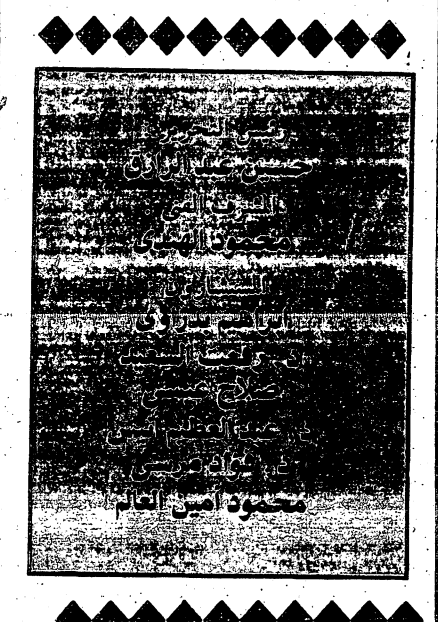
اليسار : منبر ديمقراطي يصدر عن حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي في اليوم الأول من كل شهر

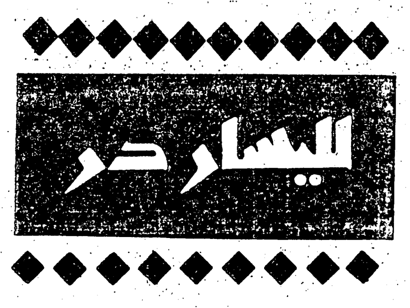
AL YASSAR 3 MIDAN EL MALEKA ZOBAIDA IMBABA GIZA A.R.E

الاشتراكات : لمدة سنة واحدة مصر :
١٢ جنيها للأفراد ٣٠ جنيها للهيئات
الوطن العربي : ٥٠ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها
العالم : ١٠٠ دولار أمريكي أو ما يعادلها
ترسل القيمة بشيك مصرفي أو حوالة بريدية الى إدارة المجلة

الإدارة والتحرير : ٣ ميدان الملكة زبيدة شقة ٣ - مدينة الطلبة - إمبابة . جيزة
تليفون : ٣٤٤٧٩٤٠ فاكس ٣٤٤٢٠١٣







لانظن أننا قد استوعبنا بعد، فداحة الخطب الذى ألم بنا برحيل فؤاد مرسى عن عالمنا. ولانظن إنها فجيعتنا وحدنا. في اليسار والتجمع ومركز البحوث العربية فبصمات فؤاد مرسى مازالت نابضة فى كل مواقع الفكر والسياسية والاقتصاد فى مصر والوطن العربى.

ورغم القسوة والمرارة. كان علينا أن نقهر الأحزان، ونعود الى العمل فى اليسار، بعد ساعات من رحليه لنصدر هذا العدد.. ونهديه إليه.

ولعل القارىء سيلاحظ أن الأحداث حددت لنا ثلاثة محاور أساسية فى هذا العدد..

- المحور الأول.. حول أحداث الخليج وانعكاساتها، ويشغل ٣٢ صفحة

- المحور الثانى.. ندوة حول رؤية اليسار لموقع الأصوليين الاسلاميين. وتشغل ١٦ صفحة.

- المحور الثالث.. كلمات حول د. فؤاد مرسى.

ورغم المساحة الضخمة التى شغلتها هذه المحاور، فقد حاولنا قدر الطاقة أن نحافظ على كل أبواب المجلة. وأن نتابع كل الموضوعات الأخرى التى تهم القارىء، وأن نفتح صفحاتنا للحوار مع المختلفين معنا، والناقدين لنا.. وحتى الذين يتهموننا.

وقد أدخل بعض البهجة الى نفوسنا فى هذا الليل البهيم هديتان وصلتنا إلينا بالبريد..

ملف كاريكاتير من «باريس» من الصديق الفنان «جورج البهجورى»

وعمود من «القدس» خصنا به الزميل «فالح العطاونة» نأمل أن يكون ضمن أعمدتنا الثابتة.

وقد أصر الزميل «صلاح عيسى» على تأجيل الحلقة الثالثة من دراسته، حول «عبد الناصر والشيوعيين» والتى اختار لها محورا «شهدى عطية» فى الذكرى الثلاثين لاستشهاده. كما أضطررنا الى تأجيل كثير من موضوعاتنا. ونأمل أن نجد لها مكانا جيمعها فى العدد القادم.

اليسار

مأزق جديد يواجه خطة الحكومة لبيع القطاع العام

تواجه خطة الحكومة لبيع وحدات القطاع العام مأزقا خطيرا، قد تضطر معه الى مد الجدول الزمني الى مايقرب من خمس سنوات قادمة. بعد حالة العزوف من جانب المواطنين والمستثمرين عن شراء الوحدات التابعة للحكم المحلي بالأقاليم.

طرحت الحكومة القضية برمتها على بعثة للبنك الدولي زارت القاهرة الشهر الماضي. وطلبت الحكومة من هيئة التنمية الأمريكية توفير التمويل المناسب للبدء فوراً في تمليك العاملين أسهم الشركات العامة. وذلك باعتبار أنها الوسيلة الأسهل في تحويل القطاع العام الى قطاع خاص. الا أن هيئة التنمية الأمريكية وضعت شروطا جديده لضمان سداد قروضها، على أن تبقى ملكية العامل للأسهم ملكية شكلية لحين سداد آخر قسط من القرض وفوائده. وطلبت الهيئة أيضا رفع نسبة الفائدة بواقع ٣٪ لتبلغ ٩٪ وبررت مطلبها بأنها على استعداد لتقديم قروضها للقطاع الخاص بنفس نسبة الفائدة لكونه أكثر ضماناً في السداد.

لم ترد الحكومة على مطالب هيئة التنمية الأمريكية، ولكنها عرضت طرح الموضوع للبحث. وتم تكليف ادارة التعاون المصرية الأمريكية بوزارة التعاون بإعادة بحث مشروع تمليك العاملين.. ودعت الحكومة لاجتماع موسع يشمل كافة الأطراف.

وطرحت الحكومة على مائدة النقاش مع البنك الدولي عددا من القضايا الخاصة ببيع وحدات القطاع العام وهي:

أولا: أن حكومة مصر لم تتخلى عن التزامها بالتحول التدريجي من الاقتصاد الاشتراكي لاقتصاد رأسمالي، يعتمد على القطاع الخاص والنشاط الفردي بشكل أساسي، والتخفيف من درر الدولة في التخطيط على أن يقتصر على وضع الخطط التأشيرية فقط. وكذلك خفض نصيب القطاع العام في التنمية. فترة زمنية تتفق وتغيير المفاهيم لدى النخبة والمواطنين.

ثانيا: أن الحكومة أجرت حصراً شاملا لمشروعات المحليات، وطرحت ٩٠٪ منها للبيع والإكتتاب العام من خلال مزايدات بأسعار أساسية، راعت فيها أسعار الأصول الثابتة بعد مرور ٥و١٥و٢٥ عاما على تأسيس المشروعات وخصصت الدولة ١١ مليون جنيه كنفقات دعاية ومزايدات تتحملها المحافظات، أنفق بالفعل منها حوالى ٥ ملايين جنيه. كما راعت الدولة في خطة البيع أن تبقى ملكية الأرض كأصل ثابت تحت تصرف الأجهزة الحكومية.

ولكن الظروف حالت دون نجاح الخطة بالشكل المطلوب، وستزداد الظروف صعوبة بعد انخفاض دخول العاملين بالخارج إثر الأزمات الاقليمية الطارئة بالمنطقة. وكما تقول الحكومة في مذكرتها للبنك و«لهذا بدأت الحكومة في إعادة البحث عن وسائل تحفيز جديدة للمشترين، بالبيع بقيمة الأصل الثابت عند التأسيس، ومنح قروض للمشترين بفوائد مدعومه».. وقالت الحكومة في مذكراتها التى عرضتها على البنك، أننا نأمل أن يساعدنا البنك في التمويل المطلوب . كما أن الدولة ستتخلى عن ملكيتها للأرض.

ثالثا: وبخصوص بيع المشروعات الاستثمارية المشتركة بين القطاع العام والقطاع الخاص (محلى وأجنبى).. فقد قررت الحكومة إعادة دراسة بيعها على ضوء نتائج ماحدث في بيع المشروعات المحلية، على أساس أن يتم البيع بالقيمة الأسمية للمشروع بشرط أن يتم البيع للشريك الخاص. وأن هناك خلافا حول هذه المسألة من الشريك العام (القطاع العام) يتم حاليا بحث تفاصيله وغالباً ماسينتهى طبقا للخطة الموضوعه.

رابعا: وفيما يخص البيع الكامل لمشروعات من القطاع العام، فالأمر يحتاج- من وجهة نظر الحكومة- لخطة طويلة المدى، وستبدأ بتمليك العاملين الأسهم في عدد من تلك الشركات.. تتزايد معها طرح بعض المشروعات الصغيرة للبيع للقطاع الخاص والمستثمرين مع ضرورة أن يكون للدولة يد في هذا الموضوع حيث ستبقى ملكية الدولة في بعض المشروعات الاستراتيجية الكبرى، وهذا ماسبق الاتفاق عليه مع البنك.

نوقشت المذكرة وتم تبادل الآراء.. ولكن مازال الحوار مستمرا ولم يحسم أى خلاف بعد...


عبد الحليم موسى

موسى وعبد الاحد يستعدان لانتخابات اتحاد الطلبة

وزير الداخلية محمد عبد الحليم موسى ود. عبد الأحد جمال الدين رئيس المجلس الاعلى للشباب والرياضة، وعدد من أساتذة الجامعات، عقدوا اجتماعا موسعا مع امانات الشباب بالمحافظات، وعدد من طلاب الجامعات إستهدف الاجتماع التنسيق في انتخابات اتحادات الطلبة، والاتفاق مع كل إمانة على اختيار مرشحيها بكل جامعة. حذر وزير الداخلية من اتساع نفوذ الجماعات الاسلامية داخل الجامعات.. ووصف هذا الاتساع بقوله، بأنه سقوط لبرنامج شباب الحزب، داخل الجامعات المصرية.

الجواليس

الغاء تراخيص ٤ شركات أمريكية وحظر التعامل مع شركتين

د. يسرى مصطفى وزير الاقتصاد أصدر ٩ قرارات دفعة واحدة كلها خاصة بشركات أمريكية تعمل فى مصر. منها أربعة قرارات خاصة بالغاء أربعة تراخيص لشركات تعمل بنظام المناطق الحرة. لتأخرها فى التنفيذ، ومحاولة بيع الأرض المخصصة اليها لآخرين.

ومن بين تلك القرارات اثنان خاصان بمد ترخيص مقدم، من شركة ساسكو ليمتد المدينة لبنك الاسكندرية بـ ٢١٠ مليون دولار.

باقى القرارات خاصة بحظر التعامل مع شركات أمريكية، أخلت بالتزاماتها مع الشركات المحلية.. من بين تلك الشركات شركة «أمريكا ترانس» لتوريد معدات المستشفيات.

مسموح للشركات بالتعامل مع العراق

رئيس الوزراء د. عاطف صدقى أبلغ رؤساء شركات التجارة الخارجية بأنه لم يصدر أى قرار بوقف أو تجميد التعامل التجارى مع العراق وأن الأوضاع مستمرة لحين صدور تعليمات أخرى، رفض رئيس الوزراء مطالب الشركات بالتعويضات عن الصفقات للعراق، بينما قبل بمبدأ التعويضات عن صفقات التصدير للكويت. والتى تبلغ ١٥٠ مليون دولار.

الضرائب ترفض مطلب المدعى الاشتراكى

مذكرة تقدم بها المستشار عبد السلام حامد المدعى العام «الاشتراكى» لوزير المالية، يطلب فيها تنازل مصلحة الضرائب عن مستحقاتها لدى شركات الأموال المتحفظ عليها من عام ١٩٨٤ حتى صدور القانون ١٤٦ لسنة ١٩٨٨. وقصر التحصيل على الشركات التى وفقت أوضاعها فقط، وذلك بهدف تمكين الجهاز من رد حقوق المودعين لدى تلك الشركات الطلب تم تحويله لرئيس الوزراء للبحث خاصة بعد تحفظات الضرائب على مطلب جهاز المدعى الاشتراكى.

الأولوية لودائع العسكريين فى شركات التوظيف

جهاز المدعى الاشتراكى تدخل لدى بعض اصحاب شركات توظيف الأموال، منها الهدى مصر والمراكشى، لرد أموال ٣٢٠ مودعاً من أفراد القوات المسلحة المشاركين فى القوات العسكرية المسافرة الى السعودية.

تدخل الجهاز بعد تقدم عدد من الضباط بمذكرة له يطلبون فيها صرف مستحقاتهم قبل سفرهم للسعودية.

البنوك ترفض التعامل بالدينار الكويتى

تظلمت بعض البنوك لدى البنك المركزى من التعامل فى الدينار الكويتى، بعد انهيار سعره مع بداية أزمة الخليج. إقترح رؤساء البنوك على لجنة تحديد اسعار العملات بالسوق المصرفية الحره، وقف تحديد سعر للتعامل على الدينار خاصة بعدما تحملت البنوك خسائر كبيرة نتيجة الانخفاض المستمر فى الأيام الأولى للأزمة لسعر الدينار الكويتى، وتحويل كميات كبيرة منه لتلك البنوك.

وتدخلت حكومة الكويت فى السعودية وعدد من أمراء الكويت، بدعم البنك المركزى المصرى. بحوالى ١٠٠ بليون دولار، لوقف تدهور سعر الدينار وتثبيته عند ٩٧,٧ قرشاً.

حاخامات لاقامة الصلاة فى السعودية

اعلنت الاذاعة الاسرائيلية الناطقة باللغة العبرية أن السلطات السعودية وافقت على دخول حاخامات يهود الى أماكن تواجد القوات الأمريكية حتى يتمكن اصحاب الديانات اليهودية من الجنود الأمريكيين من اقامة صلواتهم. الجدير بالذكر أن السعودية قد طلبت من الخارجية الامريكية عدم وجود جنود يهود بين القوة التى ارسلتها امريكا وجنود يحملون الجنسية المزدوجة الامريكية الاسرائيلية الا أن السلطات الامريكية رفضت ذلك حيث أن الدستور الامريكى لايفرق بين الديانات وان الحصول على الجنسية المزدوجة لايلغى الجنسية الامريكية.

كنيسة ومعبد للأمريكان فى السعودية

وافقت المملكة العربية السعودية على انشاء كنيسة ومعبد فى المنطقة الشمالية الشرقية التى تتواجد بها القوات الامريكية جاءت هذه الموافقة بعد الطلب الذى تقدمت به وزارة الخارجية الامريكية الى السلطات السعودية.

الخوف من ضغوط يهوديه

* حذر د. موريس مكرم الله وزير التعاون الدولى من بروز ضغوط يهودية داخل أمريكا ضد موافقة الرئيس بوش بالتنازل عن الديون العسكرية لمصر. خاصة عند مناقشة الموضوع تفصيليا.. طلب الوزير فى اجتماع لمجلس الوزراء سفر وفود خاصة لبذل جهود مع الحكومة الأمريكية لمواجهة هذا الأمر.. وتم تكليف د. كمال الجنزورى ود. صلاح حامد ببحث هذا الموضوع خلال رحلتهم لواشنطن أثناء الاجتماع السنوى لصندوق النقد.

قيود على النقد الاجنبى

* د. عاطف صدقى كلف المجموعة الوزارية الاقتصادية بدراسة وسائل الحد من استخدام النقد الأجنبى بعد النقص الحاد فى موارد الدولة منه بسبب أزمة الخليج وطلب حصر السلع التى يدخل فيها مكون أجنبى لتحريك أسعارها، وفرض رسوم لتعويض العجز فى الموازنة الطارئ وقال رئيس الوزراء أن التمهيد لهذه الاجراءات لدى المواطنين ضرورى لخلق مشاركة شعبية فى الأزمة التى تمر بها البلاد.

طلب ثلاثة وزراء ادراج الانفاق الحكومى بالوزرات والهيئات ضمن المناقشات.. ولكن الطلب لم يلق التأييد المناسب.. وقال رئيس الوزراء أن هذا أمر لاخلاف عليه!!

موقفنا

الحكم من التبعية إلى مزيد من التبعية

حسين عبد الرازق

منذ الثانى من أغسطس ١٩٩٠، تشهد منطقة الخليج والعالم العربى، أحداثا غير مسبوقة، هزت العالم كله، وأثارت معها العديد من القضايا الهامة، فى مقدمتها..

- الغزو العراقى فى الكويت، ثم اعلان بغداد ضمها الى الأراضى العراقية بكل النتائج والآثار الخطيرة لهذا الحدث، على الاوضاع العربية إقليميا وسياسيا وعسكريا واقتصاديا.

- الغزو الأمريكى للخليج، الذى بدأ بطلب كويتى سعودى، ثم تحول الى غزو شامل يحقق أهدافا أمريكية، تتجاوز حدود الغزو العراقى للكويت. وأصبحت له آلياته المستقلة، وآثاره البعيدة المدى على مستقبل المنطقة والعالم.

- السياسة التى انتهجها الرئيس «حسنى مبارك» وإدارته فى مواجهة هذه الأحداث، وكيفية تعامله معها، والدلالات الخطيرة لها.

وقد اهتمت الأجهزة السياسية الرسمية والحزبية والصحافة الحكومية (القومية) والحزبية فى مصر، بالغزو العراقى وبالغزو الأمريكى، كل من زاويته الخاصة فى الرؤية. وعبرت جميعها عن مواقفها المختلفة والمتناقضة من هذا الغزو أو ذاك.

القضية الغائبة

ولكن مايثير الريبة والعجب، أن سياسة الحكم فى مصر تجاه الأزمة، وتقييمها والموقف منها، والاتفاق والاختلاف معها، يكاد يغيب عن الساحة السياسية والصحفية المصرية- عدا إستثناءات نادرة- اللهم إلا إذا إعتبرنا ماتنشره صحف «الموافقة» الحكومية من دعاية فجة لكل مايفعله ويقوله الرئيس مبارك- وأى رئيس سابق أو قادم- يدخل فى باب الرأى.

وكأن الكل لايدرك أن دور الرأى العام المصرى، الذى تتحرك داخله القوى السياسية وتتوجه له أساسا صحافتها، يبدأ من تفهمه لسياسة حكامه، ومن ثم قدرته على التأثير فيها، والضغط على متخذ القرار، سواء كان الرأى العام مؤيدا لهذه السياسة أو معارضا لها. فتأثير الرأى العام المصرى فى العناصر الفاعلة فى الأزمة، سواء حكام بغداد، أو السعودية أو البيت الأبيض فى واشنطون، محدود وثانوى وغير فعال بالقدر الكافى، مالم يكن الرأى العام المصرى قادرا على التأثير فى سياسات الحكم. فهذا التأثير - فى هذا الاتجاه أو ذاك- هو وحده الذى يجعل للرأى العام المصرى الفعالية المطلوبة على الساحة العربية والدولية، وعلى أطراف النزاع.

ولكى نقيم سياسة الرئيس حسنى مبارك وإدارته تقييما صحيحا، لابد أولا من إعادة التذكير بأبعاد الأزمة الحالية.

لقد بدأت الأزمة بالاجتياح العراقى للكويت فى الساعات الاولى من فجر يوم ٢ أغسطس واحتلال كامل الأراضى الكويتية خلال ٦ ساعات.

وخلال ٧٢ ساعة كانت الولايات المتحدة- بعد ثلاثة اجتماعات عقدها بوش لمجلس الأمن القومى- قد بدأت فى حشد قواتها فى الخليج والسعودية.

ووصلت هذه القوات خلال الأسبوع الاول الى حوالى ٦٠ ألف رجل و ٦٥ سفينة حربية وما لايقل عن ٥٠٠ طائرة قتالية (راجع «الزلزال» مجلة «اليسار» عدد٧ ص١٠)

وفى نفس الوقت وبعد ساعات قليلة من الغزو العراقى، أصدر مجلس الأمن قراره الأول بالاجماع بادانة الغزو العراقى للكويت، وضرورة الانسحاب الفورى للقوات العراقية.

وبنفس القدر الذى وضحت فيه أهداف الغزو العراقى للكويت ثم الضم. كشفت المصادر الأمريكية بوضوح لايقبل الجدل- وكذلك المحللون والخبراء الأمريكيون والغربيون ومراكز الأبحاث- أهداف الحشد العسكرى الأمريكى فى المنطقة، والتى تتجاوز بكثير ماقيل فى البداية عن حماية السعودية من الغزو العراقى، والضغط على العراق للانسحاب من الكويت، وعودة الحكم الشرعى «حكم آل الصباح» للكويت

ويمكن تلخيص هذه الأهداف.

** سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على مناطق البترول فى خمسة أهداف متكاملة: الخليج والجزيرة العربية، وتحكمها فى طرق الملاحه من هذه المناطق الى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، وكما قال بوش بصراحة تحمد له.. «إن المصالح الأمريكية فى منطقة الخليج لاتشمل فقط العلاقات التاريخية مع أصدقائنا، بل هى مرتبطة أيضا بمسألة من يسيطر على إمدادات العالم من الطاقة فى السنين المقبلة».

** توجيه ضربة قاصمة للعراق بهدف تصفية قوته العسكرية والاقتصادية والسياسية ومنع صدام من تحويل العراق الى دولة عربية كبرى «كما قال «بوش»، تهدد اسرائيل.

وبصرف النظر عن التعنت العراقى الذى يمنع أى حل سلمى للأزمة، فمن الواضح أن الولايات المتحدة لن تقبل بأى حل لايحقق لها هدف تدمير العراق. وقد ذكرت «النيويورك تايمز»، أنهم يتحدثون فى «البانتاجون» عن ١٥ أكتوبر باعتباره التاريخ الذى ستصبح فيه القوات المسلحة الأمريكية فى السعودية والخليج جاهزة لشن هجوم ضد العراق وضد القوات العراقية فى الكويت».

وتضيف «النيويورك تايمز»... «ان اصطناع مبرر للعمل العسكرى أمر غير مستبعد» مشيرة الى حادثة خليج تونكين التى دبرتها الولايات المتحدة لضرب فييتنام.

وكشف الجنرال «مايكل دوجان» رئيس أركان حرب القوات الجوية الأمريكية أهداف واشنطون فى حوار مع «الوشنطون بوست» شارك فيه خمسة من مساعديه واستمرت المقابلات طبقا لما قالته الصحيفة ١٠ ساعات.

موقفنا

فقال «دوجان».. «أن الضربات الجوية ستشمل عمليات قصف كثيفة لبغداد وتستهدف الرئيس العراقى «صدام حسين» بصورة محدودة.

وستوجه الضربات الى وسط بغداد (قلب المدنية) ولن تتخذ الهجمات صورة ضربات متناثرة موجهة الى الأطراف. وتشمل الاهداف التى ستضرب من الجو، الدفاعات الجوية العراقية المطارات والطائرات، الصواريخ، مراكز القيادة والاتصالات» المنشآت الكيماوية النووية، معامل الذخيرة مراكز تجمع المدرعات، مراكز الطاقة، الطرق، السكك الحديدية، مصافى النفط باستثناء الابار»

واضاف «دوجان» لقد طلبت من المخططين أن يحددوا ما هو الشيىء الفريد فى الحضارة العراقية الذى يعتبره العراقيون ذا قيمة كبيرة، ويمكن أن يكون لضربه تأثير نفسى على الشعب والنظام فى العراق».

وجاء إعفاء «دوجان» من منصبه تأكيدا لكل ما قاله. فقد فسّر «تشينى»، وزير الدفاع الأمريكى قرار اقالته، بأن «دوجان» أدلى بتصريحات «يمكن أن تؤثر على التحالف الدولى الذى جمع بعناية فى معارضة عدوان صدام حسن.. وفى هذه الظروف فإن تنفيذ سياسة الأمن القومى الأمريكى هى مهمة دقيقة جدا...

والسياسة العامة لوزارة الدفاع ترتكز على أن هناك مسائل لامجال لبحثها علنا عن علميات مستقبلية، كاختيار أهداف محددة تمهيدا لقصفها جوا أو استهداف أشخاص مسئولين فى حكومات، أخرى». ولم ينف «تشينى» أيا من المعلومات التى أدلى بها قائد سلاح طيرانه، بما فى ذلك أن قاذفات القنابل من طراز (ب.٥٢) مزودة بصواريخ جو- أرض اسرائيلية. واكتفى بالقول أن «الجنرال» لم يكن مخولا أن يكشف ما قاله!!

** أنشاء حلف عسكرى فى المنطقة يضم الدول التابعة للولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا نفسها، على غرار حلف الأطلنطى، ويقوم على انقاض العراق بعد ضربها. وبالطبع فإن «حلف بغداد الجديد» هذا ليس موجها ضد الاتحاد السوفييتى وخطر الغزو الشيوعى، كما كانت تردد الولايات المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية وفى ظل الحرب الباردة، ولكنه موجه أساسا لضمان المصالح الأمريكية فى المنطقة، ومنع قيام أى قوة عربية لاتقبل بالسيطرة الأمريكية، وفرض التسوية الأمريكية الاسرائيلية على الشعوب العربية، وحماية الأنظمة التابعة و «الصديقة» للولايات المتحدة

البنية الأمنية

وقد سارع «جيمس بيكر» وزير الخارجية الأمريكى فى الاعلان عن هذا الحلف. فدعى الى قيام «بنية أمنية اقليمية فى منطقة الخليج «تضم الولايات المتحدة والدول العربية، وذلك خلال الشهادة التى أدلى بها أمام الاجتماع المشترك للجنة العلاقات والشئون الخارجية فى مجلس الشيوخ والنواب.

وأكد «بيكر» على أهمية» قيام بنية أمنية أقليمية تكون قادرة على احتواء التوجهات العدوانية لزعيم كهذا الزعيم (صدام حسن) وأن تشارك الولايات المتحدة فى هذه البنية الأمنية وأن يكون لها وجود مستمر فى المنطقة «وربما كان ذلك من خلال تمركز قوات برية أو خلال وجود بحرى»..وأن هذه البنية قد تكون شبيهة «بحلف شمال الأطلنطى».

واضاف أن أهميته تكمن فى أن «الأزمة الحالية ليست الأخيرة من نوعها فى الشرق الأوسط، أو فى أماكن أخرى من العالم. ومن المفيد لنا أن نبدأ بدرس امكان إنشاء البنية الأمنية الاقليمية، وقيام ترتيبات تضم توازنا فى المنطقة يؤدى الى قيام مناخ سلمى».

وتقول المصادر الأمريكية أن هذا الحلف سيضم فى عضويته بالضرورة تركيا، واسرائيل. واذا كان إشتراك اسرائيل فى البداية متعذرا فسيتحقق من خلال تحالفها الاستراتيجى مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد أكد «جون كيلى» مساعد وزير الخارجية الأمريكى أمام الكونجرس «إن الادارة لم تضع بعد تصورا لتركيبة هذه البنية الأمنية، ولكن بالطبع الأمن يشمل كل دول المنطقة بما فى ذلك إسرائيل».

** ويرتبط بالأهداف السابقة ويجمعها معاهدف أساسى، هو إعادة رسم الخريطة السياسية للمنطقة، على ضوء الاستراتيجية الأمريكية، وبما ينهىْ الى الابد، عدم الاستقرار والصراعات الحادة فيها... بدءا بالانتفاضة والثورة الفلسطينية، والصراع العربى الاسرائيلى، والصدامات بين بعض دول المنطقة، وليكونوا جميعا تحت المظلة الأمريكية.

ويرصد «جميل مطر» رئيس المركز العربى لبحوث التنمية والمستقبل بالقاهرة، أن رد الفعل الأمريكى البريطانى على احتلال العراق للكويت كان معدا من قبل.. «والأدلة على ذلك كثيرة، بعضها يعود الى السبعينات حين تقرر إنشاء قوة الانتشار السريع، ثم المناورات الصحراوية المشتركة مع عدد من دول المنطقة والحملة الاعلامية الأمريكية البريطانية الاسرائيلية المنسقة ضد العراق خلال العامين الأخيرين. وماتسرب عن اهتمامات ومداولات حلف الأطلنطى بقضايا عدم الاستقرار فى منطقة الشرق الاوسط..»

** وتحقق أحداث الخليج هدفا آخر، وهو انقاذ الصناعات العسكرية الأمريكية من الأزمة فى ظل العلاقات الامريكية السوفيتية الجديدة، ومعالجة العجز المالى فى الموازنة الأمريكية وتراجع نصيب أمريكا فى التجارة الدولية.

وقد انتعشت بالفعل مع بدء الاحداث الصناعات العسكرية الأمريكية وجاءت الصفقة السعودية الأمريكية (٢٠ مليار دولار) لتبث حياة جديدة فيها. وحتى تكاليف الغزو العسكرى الأمريكى للخليج، فلن تتحمل الحكومة الأمريكية أية نتيجة له. فطبقا للمصادر الأمريكية فستصل تكاليف القوات الأمريكية حتى نهاية العام الى ٦ مليار دولار ترتفع الى ١٣ مليار اذا، أضيفت اليها القوات المساندة المتعددة الجنسيات).

وقد تعهدت السعودية والكويت والامارات بدفع، ١٢ مليار دولار لتمويل القوات المتعددة الجنسية. وهناك مساهمات أخرى من اليابان والمانيا وايطاليا والدول الأوربية الأخرى. وكما تقول الهيرالد تربيون «فمع هذه المساهمات والدعم الذى وعدت به الدول الاوربية وزير الخزانة الأمريكية» «نيكولاس برادى» فستحقق الخزانة الأمريكية أرباحا هامة»

سياسة مبارك

والسؤال الآن.. كيف تعامل الرئيس «حسنى مبارك» بصفته الجهة الوحيدة القادرة على اصدار القرار فى مصر، فى ظل غياب أى مؤسسات فى الدولة والحزب الحاكم أو القوى السياسية عن المشاركة فى اتخاذ

موقفنا

القرار، سواء مجلس الوزراء، أو مجلس الشعب، أو مجلس الأمن القومى (إن وجد)، أو المكتب السياسى للحزب الحاكم.. كيف تعامل الرئيس «حسنى مبارك» وإدارته ومستشاريه مع هذه الأحداث فى ظل هذه الحقائق؟

للأسف، فإن سياسات الحكم منذ ٢ أغسطس وحتى الأن تؤكد أن الحكم ينتقل من التبعية الى مزيد من التبعية. وأن ورقة التوت التى كانت تغطى عورته، قد سقطت سقوطا مدويا، وأصبح الحكم عاريا بلا أى غطاء. مما سبب احراجا للباحثين دوما عن أى بقعة ضوء يتعلقون بها لتأييده، فاكتفوا بالصمت.

وأكتفى برصد عدد من الحقائق الهامة التى برزت خلال الفترة الماضية.

لقد طالبت الولايات المتحدة الأمريكية الدول العربية المرتبطة بسياساتها فى المنطقة (الحليفة والصديقة) بتقديم غطاء عربى للوجود (الغزو) العسكرى الأمريكى فى الخليج والسعودية.. وبتقديم تسهيلات لمرور طائراتها وسفنها من قواعدها الأوربية الى الخليج.

ولعبت إدارة الرئيس مبارك دورا أساسيا فى تنفيذ المطالب الأمريكية حرفيا. وبصورة بدت ذكية للوهلة الأولى، ولكنها سرعان ما انفضحت على الملأ.

فى البداية، لم يوافق «مبارك» على الدعوة التى كان قد تبناها الرئيس «حافظ الأسد» ثم الرئيس «الشاذلى بن جديد» لعقد قمة عربية... باعتبار أن القمة- إذا عقدت- لن تكون مجدية، ولن تؤدى الا الى مزيد من تمزيق العرب للابس بعضهم البعض، ومزيد من تشرذم الموقف العربى.. كما قال الرئيس حسنى مبارك نفسه فى مؤتمر صحفى.. باختصار كان الرئيس يدرك أن القمة العربية فى هذه اللحظة لن تساعد على الوصول الى حل ولن تؤدى الا إلى مزيد من الانقسام.

فى نفس الوقت علق مصدر رسمى مصرى على طلب الولايات المتحدة الأمريكية إرسال قوات عربية تقدم التغطية الضرورية (من وجهه النظر الأمريكية) لوجودها العسكرى فى المنطقة.. قائلا لهيئة الاذاعة البريطانية (B.B.C).. «ان مصر لن تنضم الى القوات المتعددة الجنسية فى الخليج» وشدد على أن «حلا عربيا» فقط يسمح بحل الأزمة. وأكد أن «الرئيس حسنى مبارك يؤيد نشر قوات عربية كقوة فصل بين العراق والكويت..»

ونفى مصدر رسمى مسئول أن تكون مصر قد سمحت بتقديم أى تسهيلات فى قواعدها للقوات الأمريكية المتجهة للخليج.

ولم تكد تمضى ساعات على هذه التأكيدات، حتى تكشف الأمر فجاه عن مناورة ساذجة من الادارة المصرية لتمرير السياسة الأمريكية كاملة.

فبعد زيارة «تشينى» وزير الدفاع الأمريكى إتخذ الرئيس مبارك سلسلة من القرارات.

الاول: السماح للطائرات الأمريكية المتجهة للخليج بالمرور فى الأجواء المصرية والسماح للسفن الحربية الأمريكية التى تتحرك بالوقود الذرى بالمرور فى قناة السويس..

الثانى: إرسال قوة مصرية ضمن القوات المتعددة الجنسية تنفيذا لطلب الولايات المتحدة الأمريكية.

الثالث: الدعوة لمؤتمر عاجل، يتولى تقديم التغطية لارسال القوات المصرية، والقوات



موقفنا

العربية الأخرى التي تقبل حكوماتها المشاركة في عملية تقديم المظلة المطلوبه للقوات الأمريكية.

التشدد المصرى العراقى

وبالفعل عقدت القمة العربية الطارئه يوم الجمعة ١٠ أغسطس وانقسمت بين التشدد والجمود العراقي ورفض أي حلول وسط، والتشدد والمناورة المصرية السعودية الخليجية. وانتهى الاجتماع الى تحقيق نتيجتين مأساويتين. صدور قرار ب «الاستجابة لطلب المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية الأخرى، بنقل قوات عربية لمساندة القوات المسلحة فيها، دفاعا عن أراضيها وسلامتها الاقليمية ضد أي عدوان خارجي». واعلان ثلاث دول عربية (مصر- سوريا- المغرب) عزمها على إرسال قوات مسلحة الى السعودية والامارات.... وانقسام دول الجامعة العربية الى مجموعتين.. دول الخليج الست ومعهم مصر وسوريا والمغرب- ولبنان والصومال وجيبوتي.. ومعارضة وتحفظ وامتناع ٨ دول وغياب تونس. وتشاد وتأكد هذا الانقسام بعد ذلك بإصرار مصر على عقد دورة طارئة في القاهرة لمجلس الجامعة لاتخاذ القرار التنفيذي بنقل مقر الجامعة الى القاهرة، قبل الدورة العادية للمجلس والتي كان محددا لها ١٧ سبتمبر في تونس. ورفضها لطلب المغرب تأجيل الاجتماعين، مما عكس اصرارا على تقسيم الجامعة. ولم يتجاوز «محمود رياض» وزير خارجية مصر في عهد جمال عبد الناصر، وأمين الجامعة العربية السابق، لم يتجاوز عندما قال.. لم يعد هناك جامعة عربية. فماذا يعني إتفاق ١٣ دولة من أصل ٢٢ دولة، وإختلاف الآخرين معهم، ومع بعضهم البعض،؟.. انه يعني أن تنفيذ التضامن العربي غير ممكن. وإذا كان الأمر كذلك فإن ميثاق الجامعة غير منفذ. فالجامعة حاليا معطلة عن العمل.»

* وواصلت ادارة الرئيس مبارك سياسة الخضوع والتبعية لاستراتيجية البيت الأبيض في المنطقة فنفذت تماما ماطالبت به الادارة الأمريكية بعد ذلك من زيادة عدد القوات المصرية فطبقا لما نشرته «الواشنطون بوست» الأمريكية في ٨ سبتمبر ١٩٩٠، تحت عنوان «السعوديون يسمحون بمزيد من القوات المصرية والسعودية»..فقد صرح رسميون امريكيون «أن السعودية وافقت على استقبال حوالي ٥٠ الف جندي مصري وسوري للالتحاق بالقوات الأمريكية وقوات الدول الأخرى، التي تدافع عن مملكة الصحراء من هجوم العراق... وتم التوصل الى هذه الاتفاقات بعد أن عبرت واشنطون عن عدم رضاها من موقف الحكومات العربية، خاصة التي لديها قدرات عسكرية كبيرة، واقتصار مشاركتها في القوات المتعددة الجنسية على مساهمة رمزية. وكانت بعض الحكومات العربية- خاصة مصر- قد أبلغت الولايات المتحدة استعدادها لإرسال مزيد من القوات، إلا أن السعودية لم توجه لها مثل هذه الدعوة. ويقول الرسميون الأمريكيون أن الخلافات حول البرتوكول الخاص بالقوات العربية والتعويضات ووسائل النقل، عطلت إبرام الاتفقات بين الحكومات العربية، الى أن تدخل الرئيس «جورج بوش» الأسبوع الماضي، وكلف معاونيه بالتدخل لكسر جمود الازمة. وفي ظل الاتفاق، سترسل مصر فرقتين إضافيتين (حوالي ٣٠٠٠٠ جندي) مزودون بالدبابات والمدافع، يتم نقلهم على ٨ سفن تجارية قامت السعودية بتأجيرها وقد سافر وفد عسكري مصري يوم الأربعاء الماضي (٥ سبتمبر) الى السعودية لعمل الترتيبات اللازمة..»

وقد تأكدت أقوال الصحيفة الأمريكية. وأعلنت الأدارة المصرية عن سفر ١٥ ألف جندي وبدأ نقلهم ونقل وحداتهم على ظهر بارجتين أمريكيتين

* وعندما تواترت الأنباء حول اصرار أمريكا على تصفية القوة العسكرية العراقية، بصرف النظر عن انسحاب العراق من الكويت.. وأكد مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي» برنت سكو كروفت» أن الرئيس بوش لم يعلن أنه سينسحب عندما ينسحب صدام حسين لكنه لن يبقى القوات الأمريكية يوما واحدا اكثر مما هو ضروري. والمطلوب قيام نظام أمني في الخليج يضمن عدم تجدد النزاع.. تطوع الرئيس مبارك في مؤتمر صحفي مشترك مع بيكر أثناء زيارته للقاهرة (٨/ ٩/ ١٩٩٠) ليعلن «أن مصر ضد وجود اسلحة كيماوية وصاروخية ذات قوة تدميرية كبيرة في المنطقة ولايمكن أن يكون هناك سلام واستقرار في المنطقة مادامت هناك أسلحة كيماوية وصاروخية ذات قوة تدميرية كبيرة لدى العراق». ويبدو أن الرئيس حسني نسي أو تناسى أن اسرائيل تملك اسلحة كيماوية وصاروخية، وذرية أيضا.

وقد ذكر بيكر «وزير الخارجية الأمريكي في رده حول سؤال لشبكة «سي. لبي. إس» حول محادثاته في الرياض وأبو ظبي



موقفنا

والقاهرة...» إن هناك تأييدا كبيرا لإستخدام القوة العسكرية» وأنه ناقش تفصيلات مع قادة مصر والسعودية والكويت والامارات احتمالات العمليات العسكرية ضد العراق!!

* وتقدم الادارة المصرية خطوة أخرى فى تأييد السياسة الأمريكية. فيعلن بيكر فى المؤتمر الصحفى بالقاهرة، تعليقا على الاقتراح السوفيتى بعقد مؤتمر دولى للشرق الاوسط يبحث أزمة الخليج والأزمات الاخرى خاصة الأزمة الفلسطينية للترابط بينهم جميعا.. يعلن بيكر بحضور مبارك «هناك اتفاق بين مصر والولايات المتحدة على أنه عند الحديث عن عملية السلام فى الشرق الاوسط وأزمة الخليج لابد أن نفصل بين القضيتين ولانربط بينهما». وتسارع الخارجية المصرية بالرد على المذكرة السوفيتية التى تضمنت اقتراح شيفر نادزه الخاص بالمؤتمر الدولى للشرق الاوسط بمذكرة تضع شروطا مانعة وبما يعنى الرفض الصريح.

*ولم تصدر الادارة المصرية أى تصريح حول دعوة بيكر لتكوين حلف جديد فى المنطقة. وهو أمر منطقى فمصر تكاد تكون فى حلف واقعى مع الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تطور هذا التحالف.. من- مناورات «النجم الساطع» و «رياح الصحراء» الى توقيع مذكرة التفاهم بين وزيرى الدفاع المصرى والأمريكى فى آبريل ٨٨ والتى منح مصر وضع «الدولة الحليفة لأمريكا العضو فى حلف الإطلنطى، وتعهدت فيها مصر بمنح مزيد من التسهيلات والامتيازات العسكرية للولايات المتحدة، وبحظر منح تسهيلات عسكرية تتجاوزها لأى أطراف عسكرية تتبع دولا أخرى، إلا بموافقة مشتركة من الولايات المتحدة ومصر، وعدم القيام بأى أعمال تناقض اتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية أو خرق ملاحقها العسكرية، وعدم بيع وإقراض ما تحصل عليه من أسلحة لأى دولة تدخل فى صراع مباشر مع الولايات المتحدة، أوتتواجد جغرافيا فى مناطق النزاعات خاصة فى الشرق الأوسط».. وأخيرا المشاركة فى القوات المساندة للقوات الأمريكية فى الخليج.

* وصعدت الحكومة المصرية من مواقف العداء للعرب الذين لاترضى عليهم أمريكا. فبعد الحملة المحمومة على صدام حسين، انتقل االهجوم الى شعب العراق فشعب اليمن، حيث روجت الأجهزة الاعلام سلسلة من الأكاذيب حول معاملة المصريين فى اليمن.. وتصاعد العنف ضد الفلسطينيين، الى حد منعهم من دخول مصر. ثم اقدمت السلطات المصرية على منع سفر قيادات سياسية من أحزاب المعارضة «التجمع- العمل- الأحرار- الناصريون» الى عمان..

بدلاً من الضياع

ولم يكن غريبا فى ظل هذه السياسة الموالية لأمريكا التى انتهجها الرئيس حسنى مبارك وادارته... أن يقرر الرئيس بوش أن يطلب من الكونجرس اعفاء مصر من ديونها العسكرية والتى تقدر ب ٧.١ مليار دولار. وان يعلن الناطق باسم الرئاسة الأمريكية فيتز ووتر» أن من اسباب اعفاء مصر «مشاركتها فى القوات المتعددة الجنسية، ووقوف الرئيس حسنى مبارك فى وجه عدوان صدام حسين وإرسال القوات والمعدات لوقف صدام حسين». «هو عنصر هام فى مساهمة الولايات المتحدة فى تعزيز الوضع فى الخليج.

ولكن ما قاله نائب وزير الخارجية الأمريكى «لورنس إيجلبرجر» أمام الجونجرس فى دفاعه عن قرار بوش اعفاء مصر من ديونها العسكرية، يعد فريدا فى نوعه وغاية فى الوضوح.

قال ايجلبرجر.. «ان الفشل فى مساعدة القاهرة على مواجهة الأعباء قد يهدد الاستقرار السياسى فى مصر... إن الاوقات التى تمر بنا ليست أوقاتا عادية... والشجاعة والجرأة التى تبديها القيادة المصرية والتضحيات التى تبديها مصر، تجعلنا فى الظروف الراهنة أمام حالة فريدة لامثيل لها...ويمكن مقارنة مواقف الرئيس مبارك من أزمة الخليج دون مبالغة بقرار السادات توقيع معاهدة سلام مع اسرائيل عام ١٩٧٩... ان التعاون الاستراتيجى الذى قدمته حكومة مصر كان أساسيا لكى تتمكن الولايات المتحدة من تنفيذ عملية الصحراء، وإرسال قواتها الى المملكة السعودية ومنطقة الخليج..»

وأشار «ايجلبرجر» الى استجابة الرئيس مبارك بإرساله قوات مصرية للمساهمة مع القوات الدولية فى الخليج قائلاً.. «وفى هذا الصدد فإن الرئيس مبارك هو ويجب أن يكون- الدعامة القوية للقيادة العربية فى الأزمة الراهنة..» وأكد أن اعفاء مصر من ديونها العسكرية.. «يمثل رسالة هامة للشعب المصرى تقول أن الولايات المتحدة تهدف الى تقديم مساعدة فعالة لدولة يقف جنودها فى الصفوف الأولى وقت الأخطار..» ولا أظننا فى حاجة الى تعليق على هذا الكلام.

وسيتم هذا الاعفاء نهائيا عند موافقة الكونجرس فى بداية العام القادم. فطبقا لما قالة بيكر».. «فهذا العام هو عام الانتخابات فى الولايات المتحدة. وجلسات الكونجرس متوقفة حاليا. ونأمل أن نستأنف فى أكتوبر الحملة الانتخابية. ولذلك نأمل فى استصدار التشريع الخاص باعفاء مصر فى بداية العام المقبل». وهى فترة كافية لمزيد من الابتزاز واخضاع الادارة المصرية- إضافة الى أن مصر قد دفعت حتى الأن حوالى ٩ مليار دولار تسديدا لفوائد هذا القرض!

ان هذه الحقائق، وهى جزء من كل، كافية من وجهة نظرى لكى يدرك الجميع، الى أى حد وصلت تبعية الحكم للبيت الأبيض الأمريكى. ويعرفوا أن الكارثة قادمة لامحالة... مالم تتجمع القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية فى تنسيق جهودها لوقف هذه السياسات، تمهيدا لانجاز التغيير الشامل - ديمقراطيا لانقاذ مصر والوطن العربى من الضياع.

سر رفض القاهرة

للاقتراح السوفيتى

بعقد

مؤتمر دولى يحل

مشكلة

الاحتلال العراقى

للكويت

للأرض العربية

العلاقات الاسرائيلية المصرية «بفضل» أزمة الخليج شهر عسل و«نحن فى قارب واحد»!

نظير مجلي

الكلام اعلاه عن «شهر العسل» و«القارب الواحد» ليس لنا انما هو لاثنين من المسؤولين المصريين البارزين: الاول لسعادة السفير المصرى فى تل أبيب، محمد بسيونى، والثانى لسيادة الوزير المصرى للشئون الخارجية د. بطرس غالى.

الاول هو تصريح جديد نشرته مجلة «لثشاة» (المرأة) الاسرائيلية فى عددها يوم ١٦/ ٩/ ١٩٩٠ فقالت: «التقى دان وباعيل بايتر (دان باتير هو المستشار الاعلامى السابق رئيس الحكومة ن.م) فى احدى الحفلات بالسفير المصرى محمد بسيونى واخبراه أنهما يرغبان فى السفر الى فندق هلتون فى طابا، واهتما برأى السفير فيما اذا كان هذا الوقت (اى فى ظل تأزم الاوضاع فى المنطقة. ن.م) مناسبا للاستجمام فى مصر. فقال السفير منذ وقت طويل لم يكن شهر عسل كهذا بين مصر واسرائيل».

أما الوزير د. غالى فقد كان تصريحه فى مطلع آب مع بداية انفجار ازمة الخليج، وذلك فى لقاء مع مراسلة «يديعوت اجرونوت» الاسرائيلية فى القاهرة، سهوا بيرى (نشرته الصحيفة فى عددها يوم ١٠/ ٨/ ١٩٩٠) وللأمانة، فان اللقاء عموما جيد ومتزن.. فلم يتشنج الوزير ضد حتى صدام حسين ورفض نعت المراسلة له بأنه متوحش وقال: «انه زعيم عربى يريد توحيد العرب بطريقة معينة. ونحن تختلف تماما مع أساليبة. ولكن علينا ان لاننسى ان العراق جزء من العائلة العربية. وكما تنشب فى بعض الاحيان خلافات بينى وبين شقيقى، هكذا تنشب الخلافات مع دولة أخرى. ولكن الاخ يبقى أخا» لكن هذا التسامح ازاء صدام حسين خفت فجأة لدى الحديث عن ياسر عرفات.. «انه أضعف من ان يعارض صدام حسين»!! (مع ان م.ت.ف. كانت قد أصدرت بيانها فى تلك الفترة وتعرب فيه عن معارضتها الاجتياح العراقى.. ن. م) وسألته المراسلة: من وجهة النظر الاسرائيلية عندما يصبح عرفات وسكان المناطق (المحتلة. ن. م) مؤيدين لصدام حسين الذى يهدد اسرائيل، كيف تريدنا أن نكلمهم؟.

فاجاب سيادة الوزير بقوله: «ليس لنا ما نفعله، فنحن واياكم فى قارب واحد» وهنا تابع مدافعا عن الموقف الفلسطينى

والحقيقة هى ان الشعور بعلاقات «شهر العسل» و«القارب الواحد» متبادل ففى اسرائيل أيضا يبثون مشاعر الود تجاه قصور القاهرة. لكن بفارق واحد بسيط: ان الحب الاسرائيلى ياتى على طريقة اقرب الى طريقة صدام حسين مع الكويت، او طريقة امراء الكويت مع مستعبديهم.

** من اليوم الاول للأزمة!

يعترف رجال السياسة والاعلام فى اسرائيل بأن الموقف المصرى الرسمى من أزمة الخليج فاجاهم وأذهلهم. ولكن ليس فقط الموقف المصرى، بل وايضا الموقف السورى والموقف السوفيتى.

ويمكننا الا نبتعد الى اروقة الحكم الاسرائيلى ونتحدث عنا جميعا: الم تكن مواقف هذه الدول الثلاث بالذات مفاجئة حتى للحلفاء السعوديين والامريكيين (؟!!) الذين طاروا من الفرح وهم يراقبون كيف تندحرج الأمور لصالح اصطفاف جديد للقوى فى المنطقة، خصوصا العربية فكم بالأخرى بالنسبة لاسرائيل وهى ترى انها باتت فى خندق واحد مع نصف الدول العربية والعالم كله ضد العراق، بينما نسى الجميع احتلالها هى وممارستها التى يعجز اللسان عن وصف بشاعتها!!

ان من يستعرض المواقف الاسرائيلية الرسمية من الأزمة ويتبع ردود فعلها على تطورات الموقف العربى يجدها، طول الوقت، تحاول جنى الارباح لسياستها التى كثيرا ماوصفها المسؤولون المصريون بأنها عدوانية ومناهضة للسلام فى المنطقة.

وقد اكد د. بطرس غالى، فى اللقاء المذكور اعلاه «ان اسرائيل هى من اكبر الرابحين»- من ازمة الخليج.

ان الموقف الاسرائيلى الرسمى تمثل، منذ بداية الازمة، بأخذ دور فعال فى توجيهها وتطورها. وقبل ان نفصل فى رؤية ابعاد هذا الموقف تنبغى الاشاره الى التصريح الحازم لوزير الدفاع، موشيه ارنس، فور عودته من الولايات المتحدة الامريكية صباح الاربعاء ١٩/ ٩/ ١٩٩٠، ان موقفى اسرائيل وامريكا من ازمة الخليج متطابقان تماما وعلى طول الطريق.

وعلينا ان نضيف ان هناك اتفاقا استراتيجيا بين الطرفين وانهما بدا منذ اللحظة الاولى لاندلاع الازمة فى تنسيق المواقف والخطوات (وكنا اشرنا فى العدد الماضى من «اليسار» الى طبيعة هذا التنسيق وعمقه وكثافته والمثابرة فى تنفيذه).

** ليسوا متفرجين!

لم يكن حكام اسرائيل فى اية لحظة من مسيرة أزمة الخليج متفرجين او بعيدين عن ميدان الاحداث وزخمها وحتى ما أشيع فى حينه عن كونهم غاضبين من عدم اقحامهم فى النشاط السياسى والعسكرى «لكى لانغضب حلفاءنا العرب» كما قيل عن موقف الامريكان تبين بطلانه.

ذلك ان الحكومة الاسرائيلية تلعب اللعبة كاملة مع بوش وادارته، على جميع المستويات، وتتضح الآن هذه للعبة كمايلى:

** أولا: لقد جاءت التهديدات الاسرائيلية فى بداية الأزمة قبل وصول القوات الامريكية الى السعودية، بهدف اخافة العراق حتى لا يكمل غزوه الى بعد حدود الكويت



بطرس غالى

شارون

(السعودية والامارات) من جهة واخافة الدول العربية التى بدت فى حينه مترددة. فلم تدن الاجتياح العراقى من اليوم الاول ولم تقف ضده بحزم وصلابة (كما فعلت بعد ايام..). وقد نجح التهديد الاسرائيلى فى تحقيق مراميه فالعراق اعلن فورا انه لاينوى مهاجمة السعودية او الامارات. والانظمة العربية المتجانسة مع الولايات المتحدى بدأت تظهر كانها تمسك زمام الامور باتجاه صد العدوان العراقى. وعندما زاد هذا الحزم لدرجة ارسال قوات عسكرية الى الخليج (مصر وسوريا والمغرب..) جاء الامر مفاجئا حتى لحكام اسرائيل.

** ثانيا: الموقف العربى المتطرف فى خدمة المخطط الامريكى العسكرى فى الخليج

لسان حال حكام اسرائيل يقول: اذا كان الزعماء العرب وحكوماتهم يتعاملون مع الفلسطينيين بالطرد والمضايقات والقمع فهل من لائم يلومنا؟!

زاد من طمع حكومة اسرائيل. فأرادت ان يكون لها دور ظاهر وفعال فى المجال العسكرى ايضا وراح العديد من الوزراء والمسؤولين، بمن فى ذلك رئيس الدولة حاييم هوتسوغ، يؤكدون على ضرورة الحسم العسكرى. وقال شارون («معريف»- ١٢/٨/٩٠) ان التأخير فى توجيه ضربة عسكرية الى العراق لايعنى سوى امر واحد: التخلى عن البديل العسكرى وهذا يشجع صدام حسين ان شارون وامثاله يعرفون أن الصدام العسكرى يعنى ارتفاع مكانه اسرائيل الى المقام الاول. ففى اى صدام كهذا سوف يحتاجها الامريكان وجميع الاطراف الموالية لهم او الحليفة. ومثل هذا الامر يضمن لها موقعا رئيسيا متميزا فى اصطفاف القوى الجديد.

لكن صدام حسين أفشل هذه الامكانية حين هدد بضرب اسرائيل بالاسلحة الكيمائية مع اطلاق الرصاصة الاولى ضد العراق. وقد اثار هذا التهديد هلعا وفزعا فى المنطقة، خصوصا لدى الشعب فى اسرائيل ولدى الامريكان وقد ضغط الأخيرون باتجاه منع ذلك ولو على الاقل فى الفترة القريبة المقبلة وهذا ما تم فعلا فتراجع المسؤولون الاسرائيليون واعلنوا انهم ليسوا طرفا فى الحرب وليسوا معنيين بها.

** ثالثا: أرادت الحكومة الاسرائيلية الاستفادة من الوضع الجديد، الذى تظهر به فى خندق واحد مع مصر والسعودية والكويت والامارات وسوريا والولايات المتحدة طبعا وحاولت تحقيق المكاسب فى جميع الاتجاهات:

* اقتصاديا- عندما رأت أن السعودية والكويت والامارات وبعض دول الغرب تمول مصاريف التواجد الامريكى فى الخليج. طرقت باب الخزانة الامريكية لتطلب المزيد من المساعدات المالية- العسكرية وزادت فى الطلب عندما قرر بوش الطلب من الكونغرس محو الديون المصرية بقيمة ٧ مليارات دولار ،ولكن تبين مدى الضرر الذى اصابها من الازمة وضعت خطة تقشف اقتصادى وأفردت للامريكان حصة بها.

* عسكريا قدمت لائحة جديدة بالاسلحة التى تضمن تفوقها على جميع الدول العربية، بما فيها تلك الدول التى تقف معها فى صف واحد اليوم. فمقابل ما حصلت عليه السعودية (بقيمة ٢١ مليار دولار) طلبت اسلحة جديدة متطورة وسافر ارنس الى واشنطن خصيصا لهذا الغرض وحصل على مايريد بالكامل

*سياسيا.. وهنا الطامة الكبرى لقد ادرك حكام اسرائيل ان هذه هى فرصتهم لطمس القضية الفلسطينية وتصفية الانتفاضة وضرب كل ماحققته من مكاسب خلال السنوات الثلاث الاخيرة التى كادت تنتهى بجلوس ممثليهم على مائدة المفاوضات لتسوية هذه القضية واستفاد هؤلاء الحكام ولايزالون من الموقف العربى التعيس والمستهجن ضد القيادة الشرعية للشعب الفلسطينى.

أولا- راحوا يشوهون موقف المنظمة ورئيسها ياسر عرفات من أزمة الخليج زاعمين انه مؤيد لصدام حسين. واستغل حكام اسرائيل وجود شركاء عديدين لهم فى هذا النهج ليس فى الولايات المتحدة الامريكية فحسب، بل وبالاساس فى العواصم العربية لقد اعلنت م. ت. ف بشكل رسمى وواضح وحازم انها لا توافق ولا تؤيد احتلال العراق للكويت. وان كل ماتريده هو ان يتم انهاء هذا الاحتلال بواسطة حل عربى وعلى اساس انسحاب القوات الاجنبية. وعلى الرغم من أن مثل هذا الموقف اتخذته عدة دول عربية أخرى (اليمن ، السودان، ليبيا ، الجزائر، تونس، الاردن وغيرها..) فان الزعماء العرب اختاروا مهاجمة عرفات .م.ت.ف... من الرئيس المصرى حسنى مبارك الى امير الكويت جابر الاحمد الصباح فالملك فهد وغيرهم.

ثانيا- راحوا يستغلون انشغال العالم ووسائل اعلامه بأزمة الخليج ليبطشوا بالانتفاضة الفلسطينية وليصعدوا اعمال القمع ضدها بشكل فظيع، دون ان يسمع او يهتم احد. ومن خلال ذلك يحاولون تصعيد اوساط اجتماعية معينة لاقناعها (!) بان تكون بديلة عن م.ت.ف فى مفاوضات سلام.

واستغلوا بهذا الكبوة المؤسفة فى اليسار الصهيونى (راتص ومبام وسلام الآن..) الذى انجر وراء الهجموم على م.ت.ف والقيادة الفلسطينية فى المناطق المحتلة بحجة تأييدهم صدام حسين

ثالثا- عادوا الى الاسطوانه القديمة المهترئة التى تتحدث عن ايجاد وطن بديل للفلسطينيين. اشاعات تتحدث عن احتلال الاردن وتسفير الفلسطينيين اليه واشاعات اخرى تتحدث عن مواقفة ياسر عرفات على اقامة الدولة الفلسطينية فى الكويت ، وفى هذا يعتقدون انهم يضربون عدة عصافير بحجر واحد. فمن جهة يشوهون طبيعة الكفاح الفلسطينى الهادف الى اقامة دولة فلسطينية فى فلسطين ومن جهة يريدون.. تعميق الهوة بين م.ت.ف والكويت واحداث شرخ بين الفلسطينين والاردن الخ... وهنا يستغلون الواقع الاليم الذى يعيشه الفلسطينيون اليوم فى العديد من الدول العربية الموالية لامريكا- طرد ، ابعاد ، تعجيز ، تضييق الخناق وغير ذلك. ولسان حال حكام اسرائيل يقول اذا كان العرب يتعاملون مع ابناء امتهم الفلسطينيين بهذا الشكل فلماذا نطالب نحن ، اعداءهم بأن تكون ضحية استقبالهم الانسانى واعطائهم دولة على حساب ارض اسرائيل ؟!

**** وصمة العار... على جبين العرب!**

انها لوصمة عار وشنار على جبين عروبتنا ان الذى يفطن اليوم الى قضية شعبنا الفلسطينى ومعاناته هى دول أوربا فحسب.

لقد بادرت دول اوربا والاتحاد السوفييتى الى ابقاء القضية الفلسطينية على السطح حتى لا تطمسها ازمة الخليج، فكانت المبادرة السوفيتية لعقد مؤتمر دولى تبحث فيه كل مشاكل الشرق الاوسط.

والفكرة كما هو معروف مأخوذة من المشروع العراقى الذى اعلنه صدام حسين فى الاسبوع الاول للأزمة وهكذا فان دول اوربا لاتتعامل مع القضية الفلسطينية ولا حتى مع صدام حسين ومشاريعه كما يتعامل معها الزعما ءالعرب.

ومن يتابع تصريحات المسؤولين الاسرائيليين والصحافة الاسرائيلية يدرك مدى الازعاج الذى تسببه لهم اوروبا ومواقفها مقابل المدائح التى يحظى بها الزعماء العرب وحكوماتهم الواقعة فى الظل الامريكى.

لقد كتب محرر صحيفة «معريف» (١٩/٩/٩٠) مقالا افتتاحيا بمناسبة رأس



موشى آرنز

السنة العبرية هنا فيه رئيس الحكومة، اسحاق شامير، على انجازاته العظيمة التى اظهر فيها مدى حكمته وصدق طريقه. فيحييه على افشاله كل الخصوم والاعداء.. بمن فى ذلك الذين قالوا له ان سياسته الرافضة للسلام تعمق الهوة بينه وبين مصر وها هو فى خندق واحد، سياسى واقتصادي وحتى عسكرى، مع مصر وعشر دول عربية اخرى ضد الدولة العربية العراقية.

وبهذه الروح تباهى الوزير اهود اولمرت قبل «معريف».. وهكذا تتحدث قوى اليمين فى اسرائيل (واصبحت كلها شريكة فى الحكم..) فان مصر «بموقفها الصحيح من ازمة الخليج فتحت الآفاق لاحداث ثورة جيوسياسية فى المنطقة كلها.

واما الثورة المقصودة فهى فى مشروع وزير الخارجية جيمس بيكر ليس مشروعه لتسوية ازمة الشرق الاوسط او بدء المفاوضات

حكام اسرائيل يستفيدون أقصى الاستفادة من الاصطفاف الجديد فى المنطقة لضرب القضية الفلسطينية والانتفاضة



شامير

انما مشروع اقامة حلف عسكرى شرق اوسطى على نسق حلف شمال الاطلسى من الدول المصطفة الآن ضد العراق. وبالطبع فان حكام اسرائيل ينتظرون ان يكون لهم فى هذا الحلف دور الولايات المتحدة فى حلف الاطلس (وهل هناك مرشح أفضل ؟!).

ان من سخريات القدر حقا ان تصل الامور الى هذا النحو من التدهور ونحن الذين كنا قبل بضعة اسابيع فى عز المعركة من اجل تحقيق النصر للانتفاضة واهدافها السلمية العادلة. وابطال الانتفاضة الذين فرحوا، فى حينه، لرؤية بوادر التعاون العربى المجدى يصابون اليوم بخيبة امل رهيبة من الانظمة العربية من جهة ويدفعون على جلودهم،و عدة اضعاف مما سبق، ثمن التفكك والانسجام مع اهداف الولايات المتحدة الاستعمارية.

واولئك الذين شعروا بالاعتزاز لعودة مصر الى اخذ موقعها الطليعى فى الجامعة العربية، باتوا فى شعور من الالم والقنوط وهم يرونها تقود نصف الدول العربية الى مسلخ الإمبريالية الامريكية.

لقد تساءلت صحيفة «الطليعة» المقدسية (١٣/٩/٩٠) وبحق، عما اذا كان زعماء تلك الدول التى اختارت الوقوف مع امريكا ضد الشعب الفلسطينى يدركون انهم بذلك يخسرن ايضا وبالاساس بشعوبهم وبمصالحهم فالامبريالية وحلفاؤها ليسوا معنيين بأمن احد، لا الشعوب العربية ولا حتى الملوك والعروش انما يريدون النفط العربى ومن يحرسه لهم. وعندما تنشأ قوة عربية قادرة على مواجهة اى تهديد بالخطر من اية جهة، العراق مثلا يجب ان تضربها وتقصم ظهرها ولو كانت تلك مصر لما تأخروا عنها، المهم يبقى العرب ضعفاء حتى يسهل حكمهم والسيطرة على مقدراتهم ونفوذهم.

رسالة واشنطن

أمريكا ذهبت الى الخليج تطلب العالم كله!

سمير كرم

منذ أن بدأ الأميركيون يدركون مدى ضخامة واتساع «الانتشار العسكرى» للقوات الاميركية فى منطقة الخليج العربى فى أعقاب غزو العراق للكويت أخذت تظهر المخاوف. التى أصبحت تقليدية إثر كل أزمة ساخنة تتحرك داخلها الولايات المتحدة- من احتمالات «فيتنام ثانية».

ولقد يبدو أحيانا أن هذا أحد الموضوعات المفضلة للاعلام الاميريكى.. كل حسب اتجاهه. جانب من الاعلام الاميريكى يحذر من «التورط» فى فيتنام أخرى فى الخليج، أى فى حرب لايؤيدها الرأى العام الأمريكى وتجر على الامريكيين خسائر بشرية ومادية جريا وراء قضية ليست فى الاساس قضية أمريكية. وجانب آخر من الاعلام الامريكى يحذر من «التورط» فى معالجة حرب امريكية أخرى بالطريقة التى عولجت بها الحرب الفيتنامية.. أى عرضها على شاشات التليفزيون الامريكى والانتهاء الى هزيمة للقوات الامريكية فى «الجبهة الداخلية» الامريكية تفضى بدورها الى هزيمة عسكرية فى ميدان القتال.

وبمعنى أوضح فان الذين عارضوا حرب فيتنام وقاوموها داخل الولايات المتحدة.. وأولئك الذين أيدوها والقوا تبعة الهزيمة فيها على الاعلام يقفون عند نقطة أساسية هى انه ينبغى أن لاتتكرر فيتنام- أعلنوا ذلك عندما كانت القوات الامريكية فى لبنان- بعد كارثة تفجير ثكنات «المارينز» عام ١٩٨٣ ومصرع ٢٤١ منهم بضربة واحدة. وأعلنوا ذلك أيضا عندما كانت الولايات المتحدة توشك- طوال سنوات رئاسة ريجان- على أن تدخل حربا ضد الحكومة الساندينية فى نيكاراجوا. وتكرر ذلك فى مواجهة الغزو العسكرى الامريكى لبنما. وهاهو الآن يتكرر بدرجة أعلى من التأكيد فى مواجهة الانتشار الامريكى الكثيف فى منطقة الخليج.. وأمام احتمالات تبدو أقرب للحتمية لصدام عسكرى واسع النطاق مع العراق.

غير أنه مع مضى الوقت بدأ المحللون الاستراتيجيون والسياسيون الامريكيون يتخلون عن مقارنة الوضع فى الخليج الآن والصدام العسكرى المتوقع فيه بالحرب الامريكية فى فيتنام طوال الستينات وأوائل السبعينات.

بدأ نوع من الادراك بأن «البيئة» الطبيعية لمسرح العمليات فى صحراء السعودية مختلفة كليا تقريبا عن البيئة التى جرت فيها الحرب الفيتنامية.. بيئة الغابات الكثيفة والممرات الجبلية المغطاه التى شلت فاعلية السيطرة الجوية الكاملة للقوات الامريكية

ثم بدأ إدراك آخر.. ربما أكثر أهمية.. بأن الولايات المتحدة كانت تخوض الحرب الفيتنامية وحدها تقريبا، وفى مواجهة رأى عام عالمى مناهض لها بل «معاد» لامريكا، للامبريالية الامريكية. وصحيح انه كانت هناك قوات مشاركة الى جانب الامريكيين فى حرب فيتنام من الفيلبين وتايلاند وكوريا الجنوبية ونيوزيلندا.. الا انها كانت مشاركة الاضطرار تحت أحكام حلف جنوب شرق آسيا «السنتو» بينما ترى الولايات المتحدة الآن انها تحتشد لحرب الخليج ووراءها تأييد دولى يتمثل فى ستة قرارات متعاقبة ضد الطرف الخصم فى هذه المواجهة، وهو العراق، بل وراءها تأييد عربى لايقتصر على التصويت فى الامم المتحدة..

انما يأخذ شكل مشاركة فعلية بقوات عربية ضد العراق العربى الخصم. فضلا عن تأييد الاتحاد السوفييتى الرسمى للانتشار الامريكى.

وأضيف عامل ثالث أكد الابتعاد عن المقارنة مع الحرب الفيتنامية وهو وضوح عنصر العدوان فى سلوك العراق باستيلائها بالقوة على الكويت... وهو عنصر كان غائبا تماما فى حالة فيتنام.

وهكذا تشكلت العناصر اللازمة للاقتراب فى التحليلات الاستراتيجية و«الجيوبوليتيكية» من تشبيه الوضع الراهن للقوات الأمريكية فى الخليج بحرب كوريا فى أوائل الخمسينات.. وان بقيت عناصر اختلاف سياسية أساسية أهمها أن حرب كوريا وقعت بينما كانت المنظومة الاشتراكية فى وضع وحدة ايديولوجية وسياسية، وفيها وقوف الامم المتحدة وراء الجانب الامريكى بل رفع اعلام الأمم المتحدة باللونين الازرق والابيض. على القوات الامريكية التى حاربت ضد كوريا على أنها قوات دولية. كان نتيجة هيمنة النفوذ الامريكى آنذاك على الامم المتحدة نتيجة سيطرتها الفعلية الاقتصادية والعسكرية على معظم الدول الاعضاء.

وعلى الرغم من أية أختلافات بين الوضع الراهن للتدخل العسكرى الامريكى فى الخليج العربى... والتدخل العسكرى الامريكى فى كوريا فى السنوات الثلاث الاولى من الخمسينات فان المقارنة تبدو فى جوانب كثيرة منها مفيدة للتصورات الامريكية الحالية. ومفيدة اكثر للأهداف وأساليب العمل التى تنتهجها ادارة الرئيس الامريكى بوش فى هذه الأزمة.

فمن الواضح تماما أن الولايات المتحدة تريد إضفاء صبغة الشرعية الدولية على تحركها العسكرى فى الخليج تماما كما فعلت فى كوريا على ١٩٥٠.

وتريد فى الوقت نفسه. دفع المنطقة التى انتشرت فيها قواتها، شعوبا وحكومات الى توقع «اقامة طويلة الأمد» ان لم نقل «إقامة دائمة» للقوات الامريكية فى الخليج على النحو الذى نتج عن حرب كوريا... وبصرف النظر عن النتائج التى يمكن أن تنتهى اليها المواجهة العسكرية الآتية.

وليس خافيا- بعد مرور مايقرب من شهرين على بدء الانتشار السريع للقوات الامريكية فى الخليج- ووسط أجواء التوقع الملح بقرب حدوث هجوم امريكى ضخم على العراق أن ادارة الرئيس الامريكى بوش تعمد الى المبالغة فى تضخيم تقديراتها بقوة العراق العسكرية وقدرات هذه القوات القتالية وخطورة أسلحتها، خاصة الاسلحة الكيماوية. وتلائم هذه المبالغات التى يتبلعها الرأى العام الامريكى بسهولة رغبة الادارة الامريكية فى حشد قوات أمريكية فى الخليج لم يسبق حشد قوات بضخامتها فى مثل هذا الوقت القصير منذ الحرب العالمية الثانية. وهى تلائم- من ناحية أخرى- المبالغة الموازية فى القيمة الاقتصادية «الحيوية» لمنطقة الخليج العربى (البترول) بالنسبة للولايات المتحدة وحلفائها.

والولايات المتحدة فى هذا كله لا تفصح عن نواياها أو أهدافها بصراحة أو وضوح. بل الواقع أنها تعمدت طوالى الاسابيع التى مضت منذ انفجار الأزمة اشاعة الغموض والتناقض فى بياناتها الرسمية وتصريحات قادتها بشأن الهدف من وجود القوات الامريكية فى المنطقة... بما فى ذلك ما أعلنه فى مناسبات مختلفة الرئيس الامريكى بوش نفسه والنتيجة أن المناقشات، داخل الولايات المتحدة نفسها تكشف عن حيرة والتباس بشأن «الاهداف الحقيقية» للولايات المتحدة. فقد حدد المسؤولون الامريكيون هذه الاهداف فى بداية عملية الانتشار بأنها الدفاع عن المملكة العربية السعودية ضد احتمالات غزو عراقى. واخذ هذا الهدف يكبر مع زيادة أعداد وأحجام القوات والمعدات التى نقلت جوا وبحرا إلى السعودية- وبعد ذلك الى باقى دول الخليج واماراته. وأصبحت الأهداف الامريكية تشمل حماية مصادر النفط الحيوية للاقتصاد الغربى والأمريكى خاصة.. بل والحيوية للعالم كله. ثم أصبحت -بتعبير الرئيس الأمريكى نفسه- تشمل الدفاع عن «طريقة الحياة» الامريكية.. عن أسلوب حياة الامريكيين والقيم التى يدافعون عنها... وزاد تصعيد الأهداف فأصبحت تشمل الدفاع عن حرية الولايات المتحدة واستقلالها وأنها فى مواجهة أخطار العراق. وعندما حدث هذا التصعيد للأهداف كان لابد أن يواكبه تصعيد فى تبشيع صورة العراق والخطر الذى يمثله فأصبح العراق يشبه بالمانيا النازية قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية. وأصبح صدام حسين رئيس العراق يشبه بهتلر وسياسته تقارن بسياسات النازى.

ومن المؤكد ان الولايات المتحدة استندت الى عدد من «الحقائق» فى هذا الصدد.. اذ وجدت فى سجل صدام حسين الداخلى مايجعل التشبيهات تبدو معقولة.. وان كانت قد نسيت أو تناست انها دعمته وتعامت عن كثير من سياساته الداخلية والخارجية، عندما ساندته فى الحرب ضد ايران. حينما كانت ايران تمثل العدو الرئيسى لها فى المنطقة.

فى الوقت نفسه فان الولايات المتحدة لم تمانع- ان لم تقل شجعت- فى تقديم تقييم لأزمة الخليج على أنها أول أزمة لعصر مابعد نهاية الحرب الباردة. فقد لا م ذلك استراتيجية وضعت الولايات المتحدة خطوطها الرئيسية فى وقت سابق لم تكن فيه أزمة الخليج بصورتها الحالية تخطر بتصور أحد.. ولم يكن احتمال وقوع الغزو العراقى للكويت قد بدا للعراقيين فضلا عن مخططى الاستراتيجية ونعنى استراتيجية تحويل اهتمام أميركا العسكرى وتركيزها الاستراتيجى نحو العالم الثالث.



تشينى: اعتراف بعيون الاسلحة الامريكية

لقد عمدت ادارة بوش- قياداتها المدنية العسكرية على السواء- منذ بداية الحقبة الأخيرة من الوئام فى العلاقات الامريكية السوفياتية. وبالاخص منذ وقوع مايسميه المراقبون الامريكيون ثورة ١٩٨٩ التى سلخت أوروبا الشرقية من التحالف الاشتراكى، الى انتهاج استراتيجية تسير فى خطين متوازيين:

* الدفاع عن «البريسترويكا» كسياسة وفلسفة سياسية- اجتماعية فى الاتحاد السوفياتى.. وبالتالى تأييد سياسات الرئيس السوفياتى جورباتشوف.. باعتبار ذلك البديل الوحيد الممكن- فى الفترة الحالية على الأقل- الذى يضمن فتح الأبواب أمام الاقتصاد الامريكى المنهك للبحث عن استثمارات وأعمال واسعة تعيد اليه النشاط والحيوية فى الاتحاد السوفياتى وأوروبا الشرقية.

* نقل المواجهة الاستراتيجية مع الاتحاد السوفياتى وحلف وارسو- بعد التطورات الكاسحة التى وقعت- الى مواجهة استراتيجية مع العالم الثالث.. بالاخص مع الاخطار الجديدة التى تشكلها قوى اقليمية تملك من أساليب وأسلحة التهديد مايشكل خطرا على مصالح الولايات المتحدة وكانت هذه النقلة بمثابة ضرورة اقتصادية من نوع آخر للنظام الامريكى.. ضرورة تتعلق بتوفير أسباب الاستمرار لمؤسسات الصناعات الحربية التى أصبحت تشكل القسم الأكبر من الاقتصاد الامريكى.. وبمعنى أوضح أصبح الخطر المتمثل فى العالم الثالث - وأسلحة الصاروخية والكيماوية.. واحتمالات التسلح النووى فى بعض دوله الاقليمية- هو البديل الوحيد المتاح عن غياب الاتحاد السوفياتى وأوروبا الشرقية كمصادر خطر استراتيجى على أمريكا والأمن القومى الامريكى فلابد للاقتصاد الامريكى من ميزانية ضخمة للتسلح.. وهذه يلزمها خطر خارجى داهم.

من الأمر الذى لاشك فيه أن اقدام العراق على غزو الكويت فى أغسطس الماضى قد أوجد مبررا لم تكن الولايات المتحدة تحلم بأفضل منه لجعل «سيناريوهات» أخطار العالم الثالث التى أخذت تصورها طوال العامين الأخيرين تبدو «واقعية» للغاية بل ومثيرة للخوف.

ولهذا فان التصورات التى تكونت سريعا اثر وقوع الغزو العراقى وبدء الانتشار الامريكى الواسع فى الخليج بأن الولايات المتحدة ستقدم بسرعة- دون تأخير- على توجيه ضربة عاجلة وقاضية تحطم بها الجيش العراقى وقيادة صدام حسين للنظام فى العراق أخذت تخفت فى الأيام الاخيرة- وان لم

ماذا وراء التمهل فى الاقدام على عمل عسكرى ضد العراق؟... وماذا وراء المبالغة فى تقرير قوة العراق العسكرية؟

وزير الخارجية الاميركية بيكر كشف أخطر خطط اميركا عندما تحدث عن الناتو الشرق أوسطى...

تختف تماما- ذلك لان ضرورات استمرار بقاء القوات الامريكية لأهداف تتعدى كثيرا الاطاحه بصدام حسين. واخراج القوات العراقية قسرا من الكويت، بل تتعدى تحطيم «جيش المليون جندى» الذى يشكل «خطر جسيما» فى المنطقة ، تقضى بترتيب أوضاع أكثر ثباتا فى المنطقة.. أكثر مما تقضى بالانتهاء سريعا من صدام حسين وخطر الجيش العراقى. ومن الواضح ان تعقيدات المشكلة امام المحافل الاقليمية، الجامعة العربية والتكتلات الاقليمية العربية المختلفة وأمام المحافل الدولية- القمة الامريكية السوفيتية وحلف الاطلسى والمجموعة الاوربية. بالاضافة الى الامم المتحدة ومجلس الأمن- تعطى الفرصة لادارة بوش لاطالة أمد الأزمة . مرة بانتظار معرفة مدى تأثير العقوبات الاقتصادية الدولية المفروضة على العراق، ومرة بانتظار ظهور نتائج للجهود التى تبذل من هذا الجانب أو ذاك لتحقيق حل دبلوماسى للأزمة.

وعلى النقيض من هذا التظاهر باعطاء الفرصة للدبلوماسية والعمل الدولى فان الدلائل تشير الى أن واشنطن تعتبر القيام بعمل عسكرى فى الخليج العربى أمر ضرورى فى حد ذاته ودلت على ذلك أقوال الرئيس بوش نفسه- خاصة فى خطابه أمام مجلس الكونجرس الامريكى فى أعقاب قمة هلسنكى

حرب أميركا فى الخليج كوريا أخرى أكثر منها فيتنام أخرى

تصاعد متوازى بين حجم القوات الاميركية فى الخليج وحجم الاهداف التى تسعى اليها اميركا

بينه وبين جورباتشوف- ودلت عليه تأكيدات زعماء الكونجرست بأن وجود مئات أو الاف من الرهائن الامريكيين والغربيين بأيدى العراق لن يكون قيدا على حركة الولايات المتحدة عسكريا. ودلت عليه- ثالثا- التصريحات شبه اليومية للقادة العسكريين الامريكيين سواء الموجوديين الآن فى «الميدان» فى الخليج.. أو فى مناصب القيادة فى امريكا... وبالأخص تلك التصريحات التى أدلى بها الجنرال مايكل دوجان رئيس أركان حرب القوات الجوية الامريكية.. تلك التصريحات التى أدت الى فصله من هذه القيادة بعد أقل من ٢٤ ساعة من نشرها، لأنه كشف الكثير عن خطة الهجوم الجوى الأمريكى والأهداف العراقية التى سيوجه اليها هذا الهجوم.

وقد يختلف الامريكون وغيرهم فى تقييم الخطأ الذين وقع فيه قائد السلاح الجوى الامريكى بهذه التصريحات. وما إذا كانت تعتبر إفشاء لاسرار عسكرية او انها لاتختلف عن باقى التصريحات التى أدلى بها قبله غيره من القادة العسكريين الامريكيين والتى أدرجت ضمن بنود حرب الأعصاب التى تشن على القوات العراقية والشعب العراقى.. وبالأخص على صدام حسين.. ولكن الأمر الجدير بالملاحظة ان المعلومات التى تضمنتها تصريحات قائد السلاح الجوى عن «أهداف» الهجمات الجوية التى تنوى قواته شنها داخل

بوش



العراق ليست أهم ولا أخطر من المعلومات التى تضمنتها تصريحات وزير الخارجية الأميركى جيمس بيكر فى ٤ سبتمبر الماضى عن خطط الولايات المتحدة البعيدة المدى من مداه أزمة الخليج والى «اقامة حلف أطلنطى شرق أوسطى».

وفى حين أدت تصريحات الجنرال دوجان رئيس أركان السلاح الجوى الأميركى الى فصله مع أنها- حتى اذا سلمنا باتهامات وزير الدفاع الامريكى له- لم تراع الكتمان التقليدى بالنسبة للأهداف العسكرية.. فان تصريحات الوزير بيكر لم تؤد الى اى لوم له داخل الادارة ولا من صديقه الحميم الرئيس بوش .. مع أنه كشف بها ما هو أخطر بمراحل من مجرد مجموعة أهداف عسكرية ومدنية.. كشف بها خطة السيطرة الأميركية الشاملة التى من أجل تنفيذها تم تحريك هذا القوات الضخمة الى المنطقة.. ولايمكن اعتبارها- مثل تصريحات الجنرال دوجان- جزءا من حرب الاعصاب او الحرب النفسية المتبادلة مع العراق، خاصة وأن بيكر أدلى بها فى شهادة رسمية أمام الكونجرس الأمريكى.

* لقد أكد بيكر فى تلك الشهادة أن القوات الامريكية ذهبت الى الشرق الاوسط للبقاء هناك لأمد طويل.. وهذا تغاير تماما، الى حد التناقض لما أعلنه الرئيس بوش عندما أبلغ الامريكيين لأول مرة فى الأسبوع الأول من أغسطس بقراره بارسال قوات امريكية الى السعودية

* أكد بيكر للكونجرس أن ازمة الخليج واستجابة الولايات المتحدة والأمم المتحدة لها «قد غيرت القواعد بشأن امن الشرق الأسط».

* وأكد ثالثا بصراحة امتدحها كثيرون من زعماء الكونجرس بينما ذمها الآخرون- انه أصبح من الضرورى أن تقيم الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط «نظاما اقليميا دفاعيا» لاحتواء الأخطار العراقية. ولم يفت أحد ممن امتدحوا بيكر او ممن ذموه على السواء أنه يعنى بهذا التعبير اقامة حلف عسكرى بقيادة الولايات المتحدة- ووجود عسكرى غربى فى المنطقة.

ولعل أوضح تعليق أو تفسير على شهادة بيكر هذه ماقالته صحيفة «دالاس تاميزهيرالد» الامريكية فى اليوم التالى لشهادته.» أذن فان سياسة احتواء العراق ستكون على الدرجة نفسها من الأهمية التى كانت لسياسة احتواء الاتحاد السوفياتى طوال الأعوام الخمسة والأربعين الماضية. وبدلا من مرابطة القوات الامريكية فى كوريا الجنوبية



بوش يراقب مناورة عسكرية

والمانيا الغربية فان من المؤكد أن الولايات المتحدة ستبقى قواتها فى السعودية والدول المجاورة لها فى شبه الجزيرة العربية. لقد أعطانا مستر بيكر لمحه واضحة الى المستقبل».

واذا كان الجنرال دوجان لأنه لايملك النفوذ الكبير نفسه فى المؤسسة الامريكية المالكة الذى يملكه جميس بيكر فانه قد فصل.. ولكن انزعاج المؤسسة الحاكمة من أفشاء بيكر اسرار خطتها الكبرى فى الشرق الاوسط التى اصبحت تحمل منذ أن ادلى بها اسم «الناتو الشرق اوسطى» لم يؤد الى فصل بيكر، كل مادى اليه هو دفع هذه الشهادة الى دائرة النسيان.. فى البداية بنفى من وزارة الخارجية لفكرة الناتو الشرق اوسطى، وبعد ذلك باتاحة بعض الوقت لمنتقدى الخطة للحديث عن استحالة اقامة حلف أطلنطى فى الشرق الأوسط بين دول لايرتبط بينها مايربط بين دول حلف الاطلنطى الصناعية المتقدمة... ثم ترك الفكرة تغرق بعيدا عن أى اهتمام.. بينما من المؤكد أنها تبقى أساس الوجود العسكرى الامريكى الراهن فى المنطقة وهدفه.

وسيأتى الوقت الذى تجده ادارة بوش ملائما لطرح الفكرة علنا من جديد، وربما طرحها من جانب بيكر أمام الكونجرس بمثابة بالون اختبار لمدى التأييد الذى يمكن أن تحظى به.. ليس فقط من جانب الكونجرس والرأى العام الامريكى... بل ايضا من جانب دول المنطقة ومن جانب الاتحاد السوفياتى والامر الذى لاشك فيه ان الادارة الامريكية تعتقد انها تستطيع «اقناع» موسكو بقبول «أطلنطى شرق اوسطى» كما سبق أن اقنعت موسكو بقبول استمرار عضوية المانيا بعد اعادة توحيدها- فى حلف الاطلنطى.

اما متى يأتى الوقت الملائم لطرح فكرة الحلف الجديد الذى تسنده القوات الامريكية الضخمة بوجودها وبصرف النظر عن النهاية التى ستنتهى اليها المواجهة الحالية مع العراق- فان الامر يتعلق باللحظة التى سيتحتم فيها على واشنطن أن تواجه الربط المحتوم بين أزمة الخليج التى نجمت عن احتلال العراق للكويت.. وأزمة الشرق الاوسط الأصلية الناجمة فى صورتها الأخيرة عن استمرار احتلال اسرائيل للضفة الغربية وغزه.

لكن الأمر لايتعلق بالشرق الأوسط وحده- بوجهيه أو أزمتيه انما يتعلق بتصور أمريكا لدورها فى المستقبل.. دورها فى العالم فيما بعد نهاية الحرب الباردة فى مرحلة أخطار العالم الثالث بدلا من أخطار العالم الثانى والشيوعية. وصحيح أن وزير الخارجية الأميركى لم يخض فى التفصيلات وهو يتحدث عن دور امريكا فى العالم فى الشهادة نفسها الكونجرس- ولكنه كان صريحا وقطعيا الى حد القول: «فى هذا الجهد (من أجل وقوف العالم متحديا وراء مبادئ الأمم المتحدة) لابد ان تكون أميركا هى القائدة ولابد أن يفهم شعبنا هذا اننا نبقى الدولة الوحيدة التى تملك الادوات السياسية والعسكرية والاقتصادية لانجاز استجابة جماعية ناجحة من جانب المجتمع الدولى».

فماذا بقى تساؤل بعد ذلك عن أهداف الولايات المتحدة من وراء الانتشار العسكرى الضخم فى الخليج فان الاجابة الوحيدة المنطقية والاكيدة هى أن ثمة هدفا أمريكيا واحدا : العالم كله.



صدام حسين

الصحافة الغربية تبالغ فى قوته



حسنى مبارك

ارسال القوات تنفيذا للارادة الامريكية




جيمس بيكر

قرار الكونجرس بالنسبة للديون العام القادم

من أشجان غزو الكويت

د. جلال أمين

أن مايثيره غزو العراق للكويت من أشجان لانهاية لها والشعور بالمرارة الذى بدأ يسرى فى النفس منذ ٢ أغسطس لايريد أن ينقضى. والتساؤلات التى تظل تخطر بالبال لا أول لها ولا آخر.. وهذه بعضها.

لقد مرت ساعات طويلة، بل وبضعه أيام على غزو العراق للكويت دون أن يصدر تصريح واحد من المملكة السعودية أو الامارات أو سائر الدول الأعضاء فى مجلس التعاون الخليجى، أو حتى من جمهورية مصر العربية.

الكويت يجرى غزوها واحتلالها ولاتنبس السعودية بحرف؟ وبقية الأعضاء فى مجلس التعاون الخليجى لاينبسون ببنت شفة؟ والحكومة المصرية لا تتكلم حتى ينطق ناطق بلسان البيت الأبيض؟

فاذا نطق البيت الأبيض خرجت البيانات من الحكومات العربية، واحدة بعد الاخرى، فى حذر أولا ثم فى طلاقة لسان. مشهد يدعو للرثاء حقا، تتلوه التصريحات الأمريكية بأن الولايات المتحدة سترسل عشرات الألوف من الجنود الى السعودية لحمايتها، ومعهم اعداد غفيرة من كافة أنواع الأسلحة

فأين اذن أسلحة السعودية التى أنفقت عليها عشرات البلايين من الدولارات منذ تدفقت ثروة النفط؟ لاى شئ كانت تشترى هذه الأسلحة، اذا كان الأمر يتطلب تدخلا بهذا الحجم، ليس فقط من الولايات المتحدة بل وأيضا بعض المساعدة من دولة فقيرة كمصر؟ مامعنى الثروة السعودية بالضبط؟ وماالذى كان يقصده المتكلمون عن «النفوذ السعودى» اذا كان الأمر بهذا الضعف؟ ولماذا كان الكونجرس الأمريكى يتشدد وهو يبحث بيع الأسلحة للسعودية؟ من أي شئ كانوا يخافونه؟ فها قد اتضح أن السعودية لاتستطيع بكل أسلحتها ان تؤذى ذبابة، ناهيك عن الصمود للجيش العراقى أو الاسرائيلى وهل كان أساتذة السياسة الدولية والعلاقات العربية العظام يضحكون على عقولنا ام على أنفسهم وهم يتكلمون عن صراع القوى بين النظم العربية المختلفة، وعن «الحقبة السعودية» أو عن «النظام الاقليمى العربى» أو عن التنافس بين الحكومات العربية على «زعامة» العالم العربى.. الخ؟

* * *

أما ارسال مصر لبعض القوات الى السعودية فليس من الواضح بالضبط مايحققه من نفع. فمن الواضح أن الجيش الأمريكى يكفى وزيادة «لحماية» الأماكن المقدسة وحقول النفط وأن بضعة آلاف من الجنود المصريين لن يضيفوا الى هذه القوة كثيرا.

الفائدة الوحيدة، فيما يبدو، هى أسباغ بعض القبول على الوجود الأمريكى فى الجزيرة العربية، ومن الواضح من التصريحات الأمريكية أن وصف القوات الموجودة هناك بانها قوات «دولية» و«متعددة الجنسيات» يجعل الأمر أكثر قبولا بكثير أمام الرأى العام الأمريكى، فلا يعيد لهم ذكرى فيتنام، وان كان يذكر باشراك بريطانيا للجيش المصرى معها فى فتح السودان منذ مائة عام حتى تتجنب القيل والقال من جانب الدول الأوربية المتنافسة معها على التهام أفريقيا.

طبعا تستطيع مصر أن تجد الكثير من الكلام الجميل عن وقوفها الى جانب شقيقتها السعودية، واشتراكها فى حماية الأماكن المقدسة، والوقوف فى وجه جيش غاز ظالم أطاح بدولة مسالمة هى الكويت. كل هذا كلام جميل ولكنه لايمس جوهر الحقيقة فالحقيقة هى أن مصر تفعل كل ذلك لأن الولايات المتحدة تريد منها ذلك، وأن القوات المصرية لن تفعل شيئا لاتريد منها الولايات المتحدة أن تفعله اذا قررت امريكا الهجوم فعلت واذا قررت الوقوف حيث هى وقفت وقد وضعت القوات المصرية والسعودية القليلة فى الصف الأولى على الحدود الكويتية ووقف وراءها الجنود الأمريكيون ليقوموا بالواجب اذا عجز عنه المصريون.

فى مقابل هذا أعلن أن مصر سوف تعفى من الديون العسكرية المتراكمة عليها لصالح الولايات المتحدة، وهى فى أكثرها فوائد متراكمة عجزت مصر عن سدادها، وماليس بفوائد هو مبالغ حصلت بها مصر على أسلحة لم تستخدمها قط فى معركة وطنية أو قومية، بل هاهى تستخدم بعضها الأن فى معارك الولايات المتحدة. وقد كانت الحكومة الأمريكية تتعلل دائما بأنها لا تستطيع التنازل عن هذه الديون لعذر سخيف تقدمه بعد آخر، فهاهى الآن تعلن عن تنازلها عنها عندما قدرت أن هذا فى مصلحتها. ولكن الطريف أن القرار لازال ينتظر موافقة الكونجرس، رغم ماأحيط به من دعاته من الجانبين، والكونجرس قد لايتخذ قراره، على حد قول وزير الخارجية الامريكى الا فى اوئل العام القادم!

هناك اذن أربعة أو خمسة أشهر على الأقل يمكن للحكومة الأمريكية أن تبتز خلالها من مصر ماتشاء من تنازلات، اقتصادية او عسكرية او -طبعا- تنازلات لصالح اسرائيل، قبل أن تنعم علينا بالموافقة

النهائية على القاء الدين العسكرى! وأيا كان الأمر فان المبلغ يجرى تعويضه فورا من ناحية اخرى.

اذ فلنلتفت الى مايتم صنعه بالسعودية وبأموال دولة الكويت التى كانت تدخرها لتأمين مستقبل شعبها لمواجهة ظروف من هذا النوع السعودية المسكينة تتعهد بدفع كل نفقات الحملة العسكرية الأمريكية وأمير الكويت المعزول يتعهد بالإيس بأن يدفع ماقيل انه أربعمائة مليون دولار شهريا للخزانة الامريكية بالاضافة الى مائة مليون شهريا من الامارات، لتمويل نفس الحملة التى تزعم أنها أتت لحمايتهم من جيش صدام حسين ، الذى سبق أن بدد بلايين مماثلة، عربية وايرانية لصالح نفس الخزانة.

* * *

فى غمار هذا كله تستمع الى وسائل الاعلام البريطانية والأمريكية فيصيبك الهلع مما تتحلى به هذه الدول المتمدينة من نفاق: هجوم مستمر على صدام حسين وهو ربيبتهم وصنيعتهم، وإمعان فى المبالغة فى تصوير قوة صدام حسين وجبروته، وهم الذين باعوا له الطائرات والدبابات طمعا فى ماله ومال العرب، وتخويف من أسلحته الكيماوية وهم الذين علموه استعمالها وباعوا له الصواريخ اللازمة لاطلاقها. وهم ينتهزون الفرصة بالطبع للتسوية بين صدام حسين وبقية العرب بل وسائر المسلمين حتى يتعلم أطفالهم أن العربى مجرم بطبعه سافل بطبعة ومتوحش بطبعه.

ثم يصرخون فزعا وهلعا لدى ظهور بريطانى صغير اسمه «ستيوارت» فى التليفزيون بجوار صدام حسين، وكأن الرئيس العراقى سيأكله وينهش لحمه. ذلك أن صدام حسين فى محاولة يائسة لتحسين صورته لدى الرأى العام العالمى قد ظهر فى التلفزيون العراقى وحوله مجموعة من الاسر الأوربية المحتجزة فى بغداد وجعل المصور يصوره وهو يلاطف هذا الطفل الانجليزى ستيورات. فظهرت الجرائد البريطانية فى اليوم التالى وعلى صفحتها الأولى صور مكبرة لهذا الطفل وهو ينظر الى الرئيس العراقى بخوف يختلط بكبرياء. والرئيس العراقى يحاول أن يبدو وكأنه انسان رحيم لايريد بالأطفال الانجليز سوءا. فاذا بالقيامة تقوم فى انجلترا لأن الرئيس العراقى يرعب الأطفال الانجليز ويستخدمهم فى الدعاية وكتبت بعض الصحف تتخيل شعور هذا الطفل حينما لمسه الرئيس العراقى بيده، وتصف القشعريرة التى لابد أنها سرت فى جسده عندما لمسه هذا العربى بيده. الدنيا اذن تقوم اذا مست مشاعر الطفل الانجليزى ستيوارت، ولكن مشاعر عشرات الألوف من العمال المصريين وزوجاتهم وأطفالهم الذين يتعرضون للضرب والاهانة والطرد الى الصحراء ويقاسون العطش والازلال وهم يقطعون مئات الأميال ليصلوا الى وطنهم خاليى الوفاض ولايطعمون فى أكثر من كوب ماء وتأشيرة مرور، مشاعر هؤلاء وعشرات الآلاف من النساء من الفلبين وسيرى لانكا والهند وبنجلادش اللاتى يتعرضن لنفس المصير لاتلتفت إليهن جرائدهم وتليفزيوناتهم الا عرضا، مع أن هؤلاء لم يضطروا الى تلك الهجرة المشئومة الى الكويت الا بسبب سياسات اقتصادية غاشمة فرضها حكام مرتشون وضعتهم السياسة الامريكية والاوربية على رأس دولهم تحقيقا لنفس الغرض المعروف:

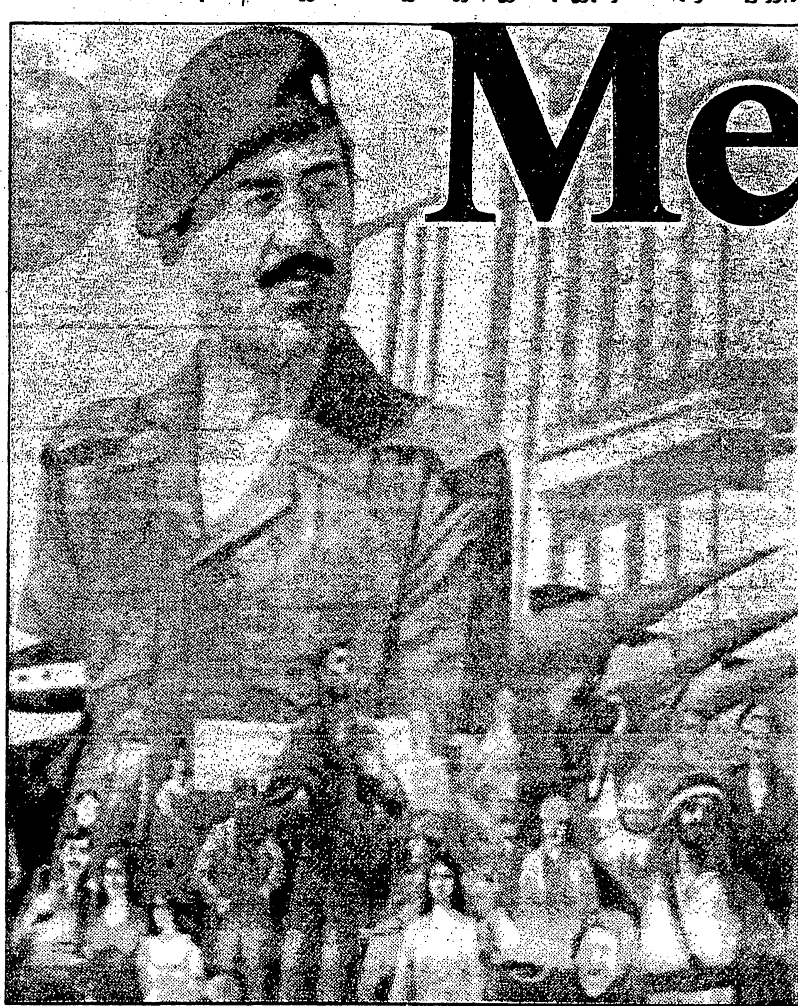
تحويل ثروات بلادهم الى جيوب الامريكيين والاوربيين.

المهم هو ماقد يشعر به هذا الطفل الأبيض ستيوارت ذو الشعر الأصفر والعيون الزرق، على الرغم من أن الاطفال الانجليز العائدين قد صرحوا هم أنفسهم لدى وصولهم الى مطار لندن أنهم عوملوا معاملة طيبة ولم يعانوا الامن القلق والتلهف على العودة الى الوطن.

نفس الشئ حدث أثناء العدوان البريطانى/ الفرنسى/ الاسرائيلى على مصر فى ١٩٥٦، حيث لم يكن لدى وسائل الاعلام البريطانية من شاغل الا مقتل الضابط الانجليزى «مورهاوس» دون أن تعير اهتماما لآلاف المصريين الذين قتلوا ظلما فى بورسعيد.

صورة نشرتها الصنداى اكسبريس (لندن) تحت عنوان

«بورتريه للقوة»... العراقيون يحتفلون بغزو الكويت تحت صورة صدام حسين



مَن لم يمت بالسيف.. مات بغيره

لواء/ مصطفى ضيام

أصاب الشاعر العربى عندما عدد أسباب الموت موجها حكمته هذه الى بعض من أبناء بلدته، ولم يدر بخلده يوما أن حكمته سوف تنطبق على طموحات الشعوب فى زماننا هذا الردئ

والقتيل هنا هو التضامن العربى الذى نما وترعرع فى ضمير الاجيال حتى أصبحت الأمة العربية بأسرها كالجسد الواحد اذا أصاب الضر طرفا من أطرافه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى- وكانت الوحدة العربية هى المشروع القومى الذى يراود أخيله المفكرين والزعماء وحتى أواسط الناس وكذلك رجل الشارع- وهو كذلك الذى كانت تخطط دول الغرب لوأده والقضاء عليه منذ أجيال وأجيال وحتى اليوم لقد استشعرت أن فى الوحدة العربية قوة تخشاها قوى الغرب

لذلك فقد ابتدأت زرع اسرائيل عقب انتهاء الحرب العالمية مباشرة، ذلك الجسم الغريب الذى جعلته فاصلا- يفصل بين المشرق والمغرب ودخلنا معه فى حروب أربعة جرنا إليها المخطط الغربى فاستنزف أموالنا. وخرب اقتصادنا وقضى على زهرة شبابنا وأوقف خطط التنمية والتقدم فى بلادنا

الا أن ذلك أشعل نار الكراهية لهذا الدخيل- واسترجعوا مافعلته الفرنجة فى حروب الصليبين والحروب التى امتدت سنينا عدداً طالت فبلغت المئتين- والنار يزداد أوارها، حتى طردهم صلاح الدين وآل أيوب بجيوش مصر- التى استدارت وأوقفت زحف التتار وهزمتهم فى معركة عين جالوت.

ثم استرجعوا ظهور محمد على فى مصر واخضاع بلاد الشام وتهديده الاستانه عاصمة الاتراك فاجتمعت دول الغرب انجلترا وفرنسا والمانيا مع تركيا وهزمت أسطوله فى موقعة «نافارين» ثم وقع معهم معاهدة سنة ١٨٤٠ التى قررت تقلص نفوذه وجيشه داخل مصر مع بقاء ولائه للخليفة التركى

ثم بزغ نجم جمال عبد الناصر الذى اتخذ من القومية العربية والوحدة سندا وعضدا ودان الكثير لآرائه- بعد أن جسد آمالهم فابتدأت الدسائس والمؤامرات بل ومحاولة غزو مصر فيما عرف بالعدوان الثلاثى- للقضاء عليه هو شخصيا واسقاطه والقضاء أيضا على زعامة مصر للعالم العربى وعزلها وجرها الى التبعية بحيث تدور فى فلك الرأسمالية العالمية التى وجدت ضالتها فى خليفته- انور السادات- فلم يمضى وقت كبير حتى وقع على معاهدة كامب ديفيد تحت مظلة أمريكا وبذلك تمكنت الرأسمالية العالمية من عزل مصر عن العالم العربى وتعريه سيناء من السلاح- وادخال القوات المتعددة الجنسية كعازل بين مصر واسرائيل لاتخرج الا بموافقة الدولتين معا.

وأطلقت كامب ديفيد يد اسرائيل تعربد فى المنطقة لتتوسع على حساب جيرانها تنفيذا للمخطط الاستيطانى- ولاستجلاب مهاجرين جدد ذوى قدرات ثقافية عاليه لكى تمكنها من تطوير سلاحها النووى وصواريخها عابره القارات وأقمار التجسس على العرب.

وكان تحالفها الاستراتيجى مع أمريكا يعنى إيقاف أى تفكير فى محاولة مهاجمتها- أو التصدى لهذا الجسم الغريب عن الكيان العربى

ولم تكتف دول الغرب بذلك بل عمدت الى منع أى تقدم تقنى أو اقتصادى أو حتى تقارب عربى.

وليس غريبا اذن أنه بمجرد عودة مصر الى الجامعة العربية واهتمامها بالقضية الفلسطينيه- أن تحدث أزمة الخليج ويحدث الانشقاق فى الجامعة العربية وهى رمز التضامن العربى ولو كان تضامنا هشا- فلا ترضى أمريكا والغرب أبدا أن تعود مصر الى





ـ ياخبر إسود.. دول كلهم طالبين الحصول على الجنسية الكويتية!!



ـ ونروح العراق ونطلب مقابلة صدام.. جايز قلبه يرق وينسحب ونرجع شغلنا هناك تاني..!!

الجامعة وأن تقيم علاقات ود حتى وصل الأمر الى تصفية خلافاتها مع سوريا- فكان لابد من أن يحدث شئ ما- أن يحدث زلزال فقد طال صبر أمريكا والغرب على هذا المشرق العربى- فكان لابد من مقتل جديد يصل الى القلب مباشرة بحيث يضمن مصالح الغرب ويمزق الوحدة العربية

لذلك كانت حرب الخليج- وهى فى لبها عباره عن صراعات وتوازنات القوى العالمية- وما دور صدام حسين فى هذه اللعبة اللعينة الاكقطعه الشطرنج حركها الاخرون- حتى يكون هناك مبرر لتنفيذ المخطط الاستعمارى الرهيب واحتلال منابع البترول التى هى رحيق الحياه تمتصه دول الغرب الصناعية المتقدمة- وفى خضم التوازنات والصراعات سارت الأمور كما تهوى أمريكا وتشتهى.

وهى أى أمريكا لم تكن لترضى بأن تصبح القوة العالمية الثانية بعد لم يعد فى الامكان السيطرة على المارد اليابانى- ثم اذا بالمارد الألمانى يتوحد فى ظل توحيد أوروبا سنة ١٩٩٢- وما يمثل ذلك من ظهور المارد الأوربى هو الآخر، فكان لابد من التخطيط والترتيب ودفع الأطراف بحيث يؤدى كل طرف دوره إما عن اقتناع وإما كمخلب للآخرين وإن ظن فى نفسه العنتريه والبطولة- المهم أن يؤدى كل طرف دوره فى اللعبه وأن تدار هذه اللعبه بكل الحزق والمقدرة.

ولقد انتصر العراق فى حربه مع ايران وطور أسلحته وأصبح قوة خاضت حربا لثمانى سنوات- ولكنها أنهكته اقتصاديا وهو وايران فالتفت يبحث عن مخرج لأزمته- وهنا دفع الى احتواء الكويت او زين له انها نزهة وأنها صراع عربى عربى لا دخل للآخرين به- فاجتاحها وقضى على الشرعية فيها وأذابها فى كيان العراق.

وهنا كانت الفرصة لاتستهدف العراق فقط ولكن تستهدف ايضا التضامن العربى والكيان العربى فقد طالما أرقت بلدانه- الاستعمار وبات هو الآخر يبحث عن فرصه مواتيه- لانهاء الأوضاع لصالحه.

وارتفعت أصوات الغرب تتبعها أصوات كتاب السلطة فى الوطن العربى يبكون على الشرعية وضم الأراضى بالقوة- وتنتصر للحق المسلوب- وماعهدنا فيها الا الغدر ومؤازره الباطل وليس اجتياح جرينادا وبنما ببعيد- وما استعمال حق الفيتو تأييدا لاسرائيل ضد العرب ببعيد أيضا- وأصبح الذئب الذى لايرعى ذمه- هو الذى يتباكى على الاعراف الدولية والشرعية.

وتحت شعار الشرعية الدولية وحماية الأراضى المقدسة والسعودية احتلت أمريكا منابع البترول وانتشرت قواتها فى كل الجزيره العربية واساطيلها فى مياه الخليج والبحر الاحمر وشرق البحر الابيض.

وهنا تسابقت بعض البلاد لتحاول المشاركة فى اللعبة بعضها جاء لتغطية التواجد الأمريكى وليكون كبش الفداء عند اللزوم وبعضها جاء لمحاولة التواجد واقتسام الغنيمة- كل حسب حجمه وقوته أما اسرائيل الحليف لاستراتيجى لأمريكا التى تحتل الجزيره العربية فقد وقفت تنتظر مايطلب منها مستقبلا وتتجهز لذلك وتزيد من ترسانتها المسلحه.

أما المقتل الذى ينهى أحلام العرب فى التضامن والوحدة فهو الحلف المقترح الجديد- نظام أمن المنطقة أو هو حلف بغداد يعود فى صوره جديده- بعد ماتت بعد إصرار الشعوب بقيادة عبد الناصر على رفضه- يعود اليوم ويتم التحضير له ولكن بعد القضاء على العراق- ليس فقط صدام حسين ولكن كقدرات شعب وكقوة يمكن لها أن تؤثر فى المنطقة كلها مستقبلا الأمر الذى تخشاه اسرائيل- كما يرفضه حكام المنطقة - لذلك فكان لابد من استئصال شأفة صدام حسين والقضاء على قدرات العراق وتحجيم قوتها وجيشها والبلاد المرشحة للانضمام للحلف الجديد هى السعودية والامارات وعمان والبحرين وقطر ومصر وتركيا- بزعامة أمريكا ومشاركة انجلترا

أما اسرائيل فلاحاجة لدخولها علنا فى هذا الحلف- حتى لاتثير ذلك الشعوب العربية ويقوى جبهة الرفض فى الجامعة العربية- وهى على كل حليف لأمريكا التى سوف تكون حليفة وحامية حمى الدول العربية- المعتدلة!!

وابتدأت أمريكا فى جس نبض الاتحاد السوفيتى ودول الغرب وابتدأت تلوح بمكاسب مالية- وصفقات اقتصادية للدول التى تعانى من اقتصاد متردٍ- والتلويح ايضا بالغاء المديونات او زيادة التسلح أو غيرها

وعندما تستقر الأمور- فسوف تصبح أمريكا هى السيد المطاع ولها أن تمنح أو تمنع أو تقنن تزويد التكتلات الاقتصادية بالبترول- وسوف تطرح جانبا القضية الفلسطينية- ويصبح الكفاح المسلح بعيد المنال فى هذه القضية- ولن تسمع بعد الآن عن الوحدة العربية أو التضامن العربى الذى ابتدأ بانشقاق الجامعة الى أغلبية وأقلية- وابتدأ التخاصم على مقرها وعلى كل أمر قد يطرأ مستقبلا.

المهم أن يموت التضامن العربى ولايبقى الا وجها أمريكا وإسرائيل وبالهما من وجهين قبيحين- وصدق الشاعر عندما قال

من لم يمت بالسيف مات بغيره!!

عن الدم و«جلالة النفط»!

فالح العطاونة

المسافة بعيدة بين «القدس» و «القاهرة» بعيدة!

وربما بسبب من ذلك البعد القسرى غمرتنى فكرة الكتابة الى «اليسار» المصرية بغبطة تسللت الى ارتعاشات القلب.

وفكرة الكتابة فى اليسار لحظتها، انتشلتنى من الغرق فى حديث شائك عن «حرب الخليج الجديدة»، واحتمالات الموت الكيماوى التى صعدت إلى رؤوس الزملاء فى مكاتب صحيفة الطليعة» بسخرية مرة، بفعل الحرب التى تزحف على حواس البشر. كلما عبر مسؤول اميركى عن غضبه من احتلال العراق للكويت. ومن حالة عدم الاستقرار فى الشرق الاوسط التى خلقتها عملية الاجتياح.

وقلت- لنفسى لاباس.. ها هى الانتفاضة، رغم الحرب الجديدة فى الخليج، تحملنا على اكف من حجارة، لنخلق، نحن الكتاب الفلسطينيين اسهامنا فى التواصل مع الاشقاء العرب الذين يحاولون تلمس نبض الحياة الفلسطينية عبر شاشات التلفزيون».

ونحن الفلسطينيين فى الاراضى المحتلة، وبفعل الحرب غير المتكافئة التى يخوضها سواء الشعب هنا، حيث تتفجر ينابيع الدم من لحم البشر بدعوى «الاخلال بالنظام العام»!! بفعل ذلك، بدا لنا الموت «بالوصفة الكيماوية» سخيفا.. الى درجة ايقظت فينا الضحك عندما طلب منا زميل ظريف ان نكتب وصايانا لمن سيرثون الارض، عن عصر عربى ردىء وشعب عظيم قاتل بالحجارة وبطولة الاطفال واوجاع الامهات..» واخيرا قد يدهمه الموت بقنابل كيماوية.. قد تسقط سهوا!!» - من يدرى؟!

فى ذلك الوقت بالضبط بعد اسبوع واحد من الاجتياح العراقى للكويت، وفى غمرة الضحك المر الذى تيقظ فى صدورنا، كانت القدس خارج مبنى «الطليعة» تشهد هجمات لجموع غفيرة من الاسرائيليين على سيارات المواطنين العرب، بدعوى «التهاب مشاعر الغضب الاسرائيلية» بعد ايام من مقتل شابين اسرائيليين طعنا بالسكاكين!

وكانت الهجمات تدار «بفوضى» تقصدت امهات وأطفالا وشيوخا، فلسطينيين يتفهمون معنى لوعة الامهات عندما تنقطف اعمار الادهن كما تنقطف وردة فى عمر التفتح.. يتفهمون ذلك بفعل التجربة القاسية والطويلة!

ومن يعرف؟! ربما صاح عناترة الحكومة الاسرائيلية اليمينية على طريقة ارخميدس «وجدتها.. وجدتها!!»، عندما وصلتهم التقارير «الامنية» ووجدوا ان «الجموع اليهودية» اخذت تتفاعل مع الانتفاضة الفلسطينية على طريقتها.

احدهم - وزير «الامن» الاسرائيلى- لابد فرك كفيه اغتباطا بهذه «الظاهرة الجديدة فى اوساط الشارع الاسرائيلى. فهو عندما يطلق ايدى المتطرفين من اليهود فيحشدون الجموع بدعوى «الانتقام للدم اليهودى»، مستغلا انشغال «العالم الحر» و «غير الحر» بحرب الخليج الجديدة. قد يسجل «براءة اختراع» فى اطار فكرته الجديدة التى تقتضى «محاربة الانتفاضة بأدوات الانتفاضة»!

وفى فكرة لاتزال تتجلى فى الميدان، ضد الاجتياح العراقى للكويت، بشراسة كبيرة: جنود اسرائيليون ملثمون يرتدون زيا مدنيا تنكريا، يهاجمون البيوت ويعتقلون ويكتبون شعارات باسم هذا الفصيل الفلسطينى يشتم ذلك الفصيل الفلسطينى.

وهكذا.. «دم على الشوارع فى فلسطين» و.. «حرب نفط قادمة تحرق العرب بنفطهم». ولكن اين الدم من «جلالة النفط» ؟!. فحرب الخليج القادمة، طفت. بنفطها وأساطيلها على دمنا، وبين ليلة وضحاها اصبح الدم الفلسطينى فى درجة متأخرة من اهتمام الاذاعات العربية وغير العربية.. واصبح الفلسطينى «فاشيا مؤيدا للاحتلال»- هكذا بتقصر بالغ، يجرى تشويه الموقف الفلسطينى.

والفلسطينى الذى يواجه الموت بعتاد من حجارة وصدور عارية تحاصره الاذاعات بطنينها: «بسبب نفط العرب انقسم العرب، وذهب «اليسار» الى اليمين، وابدى الاميركى القادم من «جورباجيا» و «كاليفورينا» حرصا بالغا على «عدم جواز احتلال ارض الغير بالقوة». والعرب بدورهم يتفهمون براءة الدور الاميركى فيفتحون ابوابهم وقلوبهم - «ماشاء الله!».

والاذاعات تقول: «العالم الحر من اقصاه الى اقصاه يذود عن فاعلية قرارات الامم المتحدة. فيقرر بشكل غير مسبوق تطبيق القرارات لئلا تتأكل بفعل التقادم، فيهب برا وبحرا وجوا، حرصا منه على سرعة اعادة الحقوق الى اصحابها.

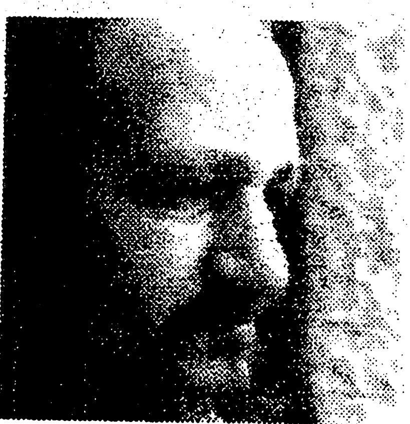
وتقول: «جيوش عربية ترابط فى الجزيرة العربية، انسجاما مع مقررات «القمة العربية» و «هيئة الامم» و «المؤتمر الاسلامى العالمى» و.. يصبح العربى بجانب الاميركى، والاميركى بجانب الباكستانى، والباكستانى بجانب البريطانى، والبريطانى بجانب المجاهد الافغانى.. ويمتزج الدم فى «تجربة اممية جديدة» تقتنص من العرب احتكارهم الطويل لسبل حل مشاكلهم بأنفسهم.

ويتواصل الطنين. وفجأة يكتشف المرء انه بحاجه الى فنجان شاى..وارتشف الوقائع بأناة و «اكتشف» ان «فوضى الوقائع» منظمة باحكام شديد، يستهدف اغراق الشعوب العربية مسافة اخرى الى القاع..

ها.. ماذا ستكتب لليسار؟».

وباغتنى السؤال.. وعلى الطاولة كومة اوراق بأخبار طازجة عن اعتقالات وهدم بيوت ومداهمات واسعة فى ضواحى المدن والقرى وعن امهات تجهضن حملهن بفعل قنابل الغاز الكيماوية، وعن اطفال بحقائب من كراريس وحجارة قبض عليهم فى الشوارع.

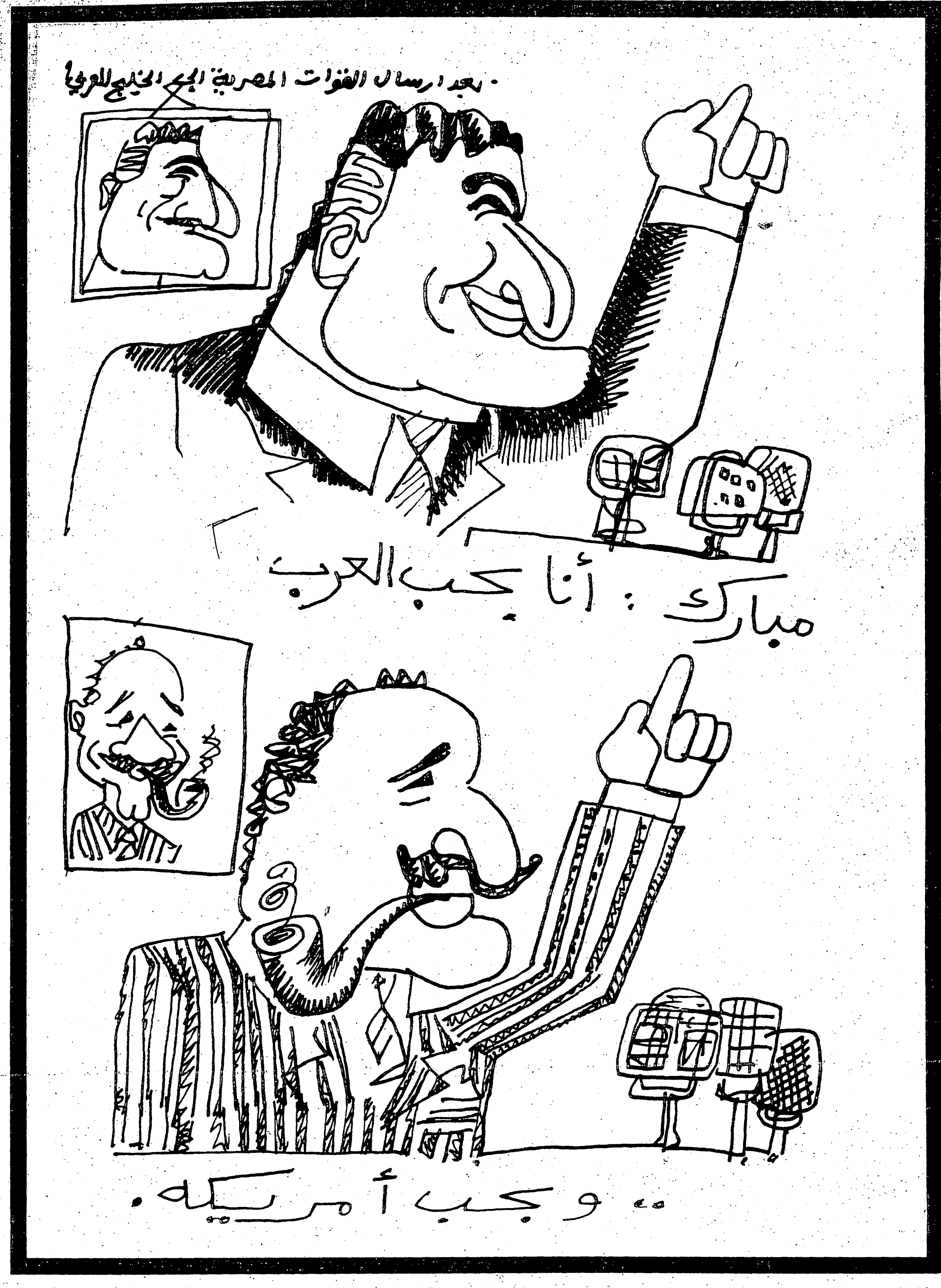
George Bahgory
22, rue Saint-Louis-en-l'Ile
75004 PARIS
☎ 329.56.52





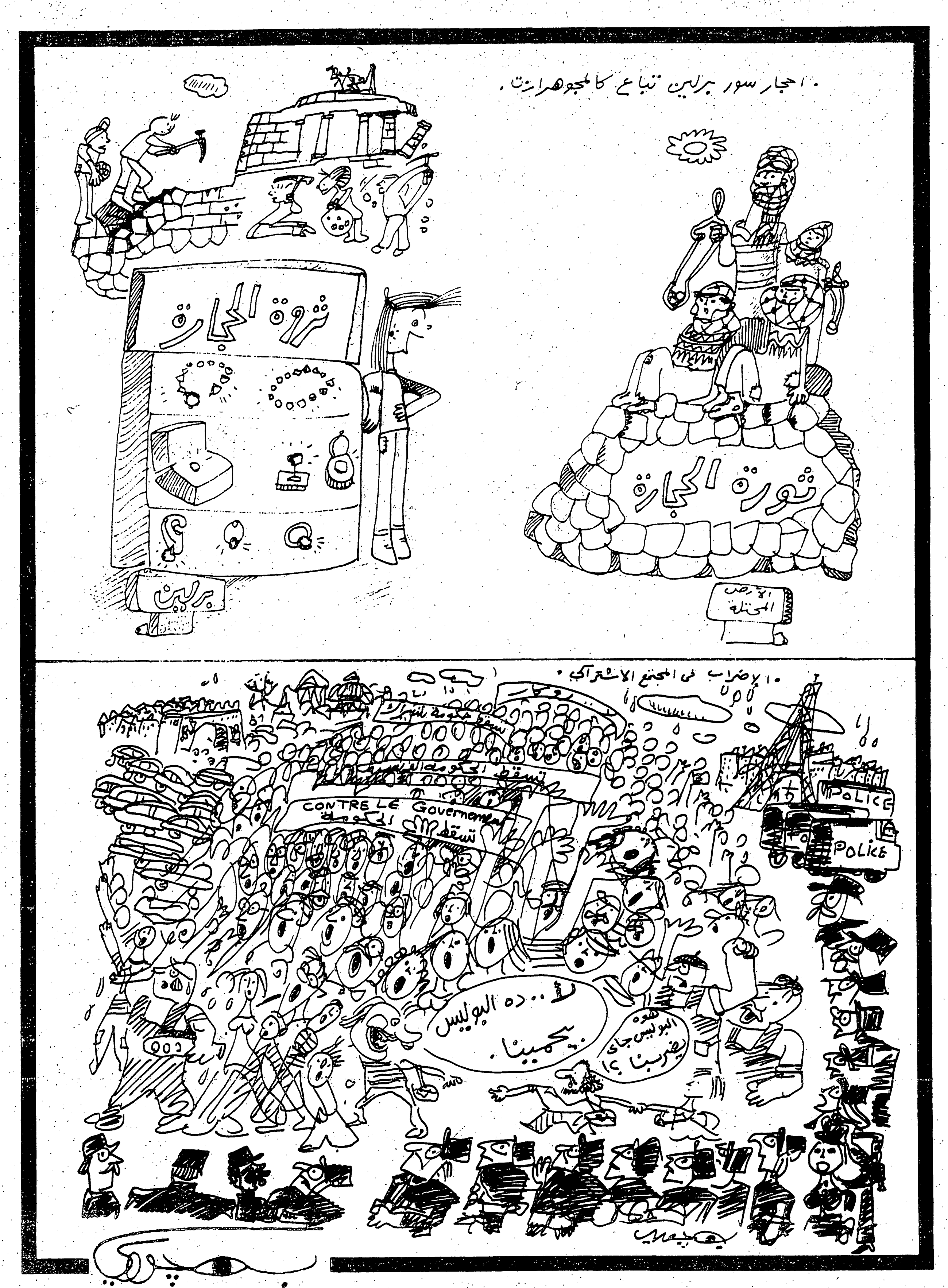
غسطس


.لقاء مانديلا عرفات .
.. وانا كمان عندى انتفاضة من ٢٧ سنة
القوات الأمريكية سبقتنا واحنا رايحين علشان ندافع عنها .
القوات المصرية إلى الخليج العربي



• بعد إرسال القوات المصرية الى الخليج العربي
مبارك : أنا يحب العرب
.. ويحب أمريكه •


اليسار
دول بيحرضوا الطلبة
مدينة الطلبة
الإدارة والتحرير
مبروك المنبر عقبال ال
منبر ديمقراطي
مع تمنياتي
اليسار
منبر ديمقراطي


٠ احجار سور برلين تباع كالمجوهرات .
ثروة الحجارة
برلين
ثورة الحجارة
الأرض المحتلة
٠ الإضراب فى المجتمع الاشتراكي .
CONTRE LE Gouvernement
تسقط الحكومة
POLICE
POLICE
لا .. ده البوليس يحمينا .
هوه البوليس جاى يضربنا ؟!



جولة هامة من المفاوضات بين مصر وصندوق النقد

محمود الخضرى

بدأت قبل أيام فى واشنطن أول جولة من المباحثات بين مصر وصندوق النقد الدولى بعد أحداث الخليج يمثل مصر فى هذه المباحثات ولأول مرة خمسة وزراء وهم د. كمال الجنزورى نائب رئيس الوزراء ووزير التخطيط، ود. صلاح حامد محافظ البنك المركزى، ود. عاطف عبيد وزير شئون مجلس الوزراء، ود. محمد الرزاز وزير المالية، ود. موريس مكرم الله وزير التعاون الدولى.

يستهدف الجانب المصرى فى هذه الجولة توقيع الاتفاق النهائى مع الصندوق، خصوصا بعد الخسائر التى أصابت الاقتصاد المصرى نتيجة أحداث الخليج، وتوقف العديد من المشروعات الممولة من استثمارات خليجية، وبشكل خاص من الكويت، بالاضافة للمشروعات التى كانت مدرجة فى اتفاقيات مجلس التعاون العربى.

وتعلق الحكومة الآمال على هذه الجولة، بعد موافقة الرئيس الامريكى بوش على الغاء الديون العسكرية القديمة على مصر. وتعتبر الحكومة أن الموقف الامريكى، له تأثير مباشر على المفاوضات مع الصندوق، والتى تأتى ضمن الاجتماع السنوى للدول المؤسسة له وتشارك فيه أكبر الدول الدائنة لمصر. ومن المقرر أن يجرى الوفد المصرى مباحثات منفرده مع تلك الدول بشأن الديون المستحقة على مصر لها، تمهيدا لاتفاق الجدولة بنادى باريس، والذى سيعقب إتفاق الصندوق.

وسبق جولة واشنطن، جولة أخرى من المفاوضات بالقاهرة، بناء على طلب مصر، إستمرت أسبوعين، رأس وفد الصندوق فيها بول شابوييه نائب رئيس الصندوق، وقد وصف د. عاطف صدقى رئيس الوزراء تلك الجولة بأنها ناجحة، حيث لعبت دوراً فى تضييق نقاط الخلاف بين الحكومة وإدارة الصندوق.

وكانت الحكومة قد تقدمت بمذكرة لصندوق النقد أثناء مباحثات القاهرة، أعربت فيها عن قلقها إزاء تأخير توقيع الاتفاق، خاصة فى الظرف الراهن الذى تمر به مصر، بعد الاحداث المتفاقمة بمنطقة الخليج العربى... وتحميل الدولة بأعباء جديدة لم تضعها فى حساباتها عند إعداد الموازنة للعام المالى الجديد، وعند وضع خطط مشروعات الخطة الخمسية الحالية، وقالت مذكرة مصر ان عدم توقيع الاتفاق فى الوقت الراهن، سيضاعف من الأزمة الاقتصادية فى مصر، وربما يضع الحكومة فى موقف سئ مع الدول الدائنة كما أن مصر بحاجة لموارد نقدية سريعة لتمويل مشروعات بالخطة، ولتغطية إحتياجات الدولة من السلع المستوردة خاصة الغذائية منها.

وأشارت المذكرة الى أن الحكومة رغم كل هذه الظروف الطارئة ملتزمة ببرنامج الاصلاح الاقتصادى فى الحدود التى لاتثير أية ردود فعل اجتماعية، وتتفق والأضاع الاقتصادية للمواطنين. وقالت الحكومة فى مذكرتها انها قررت تخفيضا جزئيا فى دعم رغيف الخبز، وبدأته فى الدقيق المخصص لمنتجات الحلويات والنواشف، والخبز غير الشعبى (الفينو) بالاضافة الى تحريك كافة الأسعار للسلع الغذائية وكشفت الحكومة عن خطة لرفع أسعار جديدة، تأتى ضمن برنامج الاصلاح الاقتصادى، وتشمل رغيف الخبز الشعبى (البلدى) والمازوت، والبنزين واستهلاك الكهرباء ورسوم الدمغات والنقل البريدى العادى والسريع، والاتصالات التليفونية والنقل الداخلى والسكه الحديد. بالاضافة الى رسوم إستخراج شهادات الميلاد والشهر العقارى ورخص السيارات، ورسوم من خطوط المياه والكهرباء والتليفونات.

ولم تحدد الحكومة فى مذكراتها للصندوق نسب الزيادة فى هذه السلع والخدمات، ولكنها قالت مخاطبة الصندوق، ان هذه الخطة ستحقق مايقرب من ٣ مليار جنيه سنوياً، لتغطية جزء من العجز فى الموازنة العامة للدولة، والبالغ ٧ مليار جنيه، وأشارت مذكرة الحكومة الى أن هذا العجز متوقع أن يرتفع بنسبة لاتقل عن ٣٠٪ بعد أحداث الخليج والعودة الكبيرة للعمالة المصرية. وتوقف تحويلاتهم، إضافة لانخفاض حجم موارد الدولة من النقد الأجنبى.

وفى نفس الوقت لم تكشف الحكومة عن المدى الزمنى لتحريك وزيادة الأسعار لكنها قالت أنها خطة حكومية مستمرة، ولم تتوقف منذ توقيع الاتفاق الأول الصندوق فى مايو ١٩٨٧.

وعبرت الحكومة فى مذكرتها عن أملها فى أن تلقى مطالب مصر بتوقيع الاتفاق مع صندوق النقد، وتنفيذ خطة الاصلاح فى مدى زمنى ملائم القبول، وأن تلقى وجهة نظرها فى حل مشكلة مصر إقتصاديا الموافقة. وذلك حتى يتسنى للحكومة المصرية أن تثبت وجودها السياسى فى المنطقة خاصة فى ظل الأزمة الحالية، وتواجه- ما أسمته- بالتدهور الاقتصادى فى الموارد، والذى تجاوز ٤٥٪ من موارد النقد الاجنبى.

وقالت مصر فى المذكرة التى عرضتها فى مباحثات القاهرة، وحملها الوفد المصرى لواشنطن، ان الولايات المتحدة الامريكة وهى من أكبر الدول المؤسسة لهيئتى (صندوق النقد- والبنك الدولى) لمست عن قرب الوضع الاقتصادى المصرى، وجاءت موافقة الرئيس بوش على إلغاء «الديون العسكرية» تعبيرا عن موقف صحيح تجاه الوضع الاقتصادى المصرى. وفى الوقت المناسب، كما أن امريكا وافقت على تعديل جدول صرف المساعدات لمصر، بما يتفق واحتياجات مصر للموارد المالية فى الوقت الحالى.

وقالت المذكرة ان امريكا لعبت دورا بارزا فى اقناع عدد من الدول الكبرى، خاصة

اليابان، وعدد من دول السوق الأوربية المشتركة بتعويض مصر عن خسائرها في الخليج. وهذا يعد تعبيرا عن موقف مصر ازاء كافة القضايا الدولية- والتزامها تجاه كل الدول فيما تعهدت به...

وأعربت الحكومة عن أملها أن يكون هذا الموقف نقطة في صالح توقيع الاتفاق مع صندوق النقد.. حتى تتمكن مع توقيع الاتفاق النهائي مع البنك الدولي الذي تم تسويته في فبراير الماضي.

نقاط إلتقاء

وأسفرت جولة المباحثات بين مصر ووفد صندوق النقد في سبتمبر الماضي عن نقاط إلتقاء خاصة حول مطلب الصندوق برفع سعر الفائدة، وتوسيع نطاق السوق المصرفية الحرة، لتشمل ماتبقى من تعاملات في سعر صرف البنك المركزي، وذلك بتقويم كلي للجنية المصري، والغاء مجمع البنك المركزي نهائيا..

وأسفرت المفاوضات التي شملت ١٥ إجتماعا، شارك فيها د. صلاح حامد د. موريس مكرم الله د. عاطف عبيد وشارك في بعض جلساتها . د. عاطف صدقي ود. كمال الجنزوري. أسفرت عن وضع جدول زمني محدد، يتم الاتفاق على سنواته في واشنطن، بحيث لايقل عن عامين، وذلك لتعميم السوق المصرفية الحرة التحجيم التدريجي لنشاط مجمع البنك المركزي فيما يختص بتمويل الاستيراد ومستلزمات الموازنة.. على أن يتم في نفس الوقت إنشاء، ماتم تسميته بصندوق موازنة الأسعار، كبديل مستقبلي للدعم المباشر للمواطنين، مع تحرير كافة السلع المنتجة في القطاعين العام والخاص.... ووافق الصندوق مبدئيا على وجهة نظر مصر بعدم الدمج الفوري لسعر صرف مجمع البنك المركزي في السوق المصرفية الحرة.

وبخصوص رفع سعر الفائدة ، وهو نقطة الخلاف الثانيه مع الصندوق، فقد تم الاتفاق على حد ادنى ١٢٪ كسعر فائدة فيما عدا شهادات الاستثمار.. ووضع حد اقصى ٢٢٪ على الابداع أو الاقتراض .. ومنح الحرية لكل بنك لتحديد سعر الفائدة في إطار الحدين الأدنى والأقصى وذلك خشية الدخول في مجال المضاربة بين البنوك، وبماينعكس على إقتصاد الدولة بالسلب. وتم الاتفاق على بحث هذه الأمور في اجتماع واشنطن الذي بدأ منذ أيام.

ويتوقع المسئولون المصريون أن يسفر هذا الاجتماع عن توقيع الاتفاق النهائي قبل نهاية العام الحالي.

تقرير للسفارة الأمريكية بالقاهرة

الاقتصاد المصري مثقل بالديون... والحكومة تستجيب للمطالب الدولية



قالت السفارة الأمريكية في تقرير أخير لها أن إجمالي الديون المصرية لامريكا حتى عام ١٩٩٠ بلغ (١٣٦٣١) مليون دولار ، منها ٢٨٢ مليون ديون ضمن برنامج المساعدات لمصر، ٦٩٥٣ مليون دولار ديون عسكرية و ٣١٠٦ مليون عبارة عن ديون ضمن برنامج السلع الغذائية والساعدات السلعية، بالاضافة الى ٢٥٢ مليون ديون بنكية.

أضاف التقرير أن الاقتصاد المصري مثقل بالديون، ويعاني من حالة تضخم شديدة.. وان الخطوات التي أتخذتها الحكومة المصرية لتصحيح المسار الاقتصادي لم تحقق الهدف المنشود منها، فمازال التضخم يرتفع حتى بلغ ٢٠٪!!

ويواجه الاقتصاد المصري عدة مشاكل، اهمها عدم توافر السيولة في النقد الاجنبي، وضعف التجارة الخارجية. ووصف التقرير القطاع العام الصناعي بأنه يحتضر ، وأصبح ضعيفا للغاية... وهناك روح من عدم الثقة بين رجال الاعمال والحكومة المصرية.

ويرى تقرير السفارة الأمريكية أن الأمل لانقاذ هذا الوضع المتردي، يكمن في التوجه للاستثمارات الخاصة والتي بدأت الحكومة المصرية تحققها في مجالي السياحة والزراعة. وعن التجارة الخارجية قال التقرير أن حجم الصادرات المصرية يتضاءل باستمرار حتى أصبح ربع حجم الواردات.

ونصحت السفارة الحكومة المصرية بأن تاخذ في إعتبارها وسائل تدبير السيوله النقدية لسداد خدمة الديون الخارجية وذلك بتنشيط الصادرات التجارية والسياحة وقناة السويس والبترول خاصة أن الحكومة مازالت تبحث عن موارد نقدية لتغطية حجم وارداتها من الغذاء بعد قرار الدول المصدره للقمح بالسداد نقداً.

وأشار التقرير بالتجاوب الحكومي المصري مع المؤسسات المالية الدولية، والبدء في استراتيجية تنطلق من الحريه الاقتصادية والدعوة لبيع القطاع العام وتطبيق الخصخصة ويرى التقرير أن هذا سيعطي مصر فرص تأييد عالمية لجدولة ديونها بنادي باريس ويسهل الاتفاق مع صندوق النقد خاصة بعد استجابتها لمقترحاته برفع الدعم النقدي للسلع الغذائية، وتحريك أسعار منتجات البترول والكهرباء بنسبة ٣٠٪ ورفع سعر رغيف الخبز تدريجيا للوصول لسعر يتفق مع حجم العرض والطلب.

وأضاف التقرير أن إنتاج البترول المصري في انخفاض مستمر رغم إكتشاف ١٨ حقل بترولي، حيث إنخفض من ٩٣٠ ألف برميل يوميا عام ١٩٨٦ الى ٨٤٣ ألف برميل عام ١٩٩٠ .. وانخفض العائد منه الى ٨٣٨ مليون دولار عام ١٩٨٩ مقابل ٢٫٥ مليار دولار عام ١٩٨٥. كما انخفض انتاج القطن وقصب السكر الى الثلث، نتيجه سياسة التسعير التي تسيطر عليها الحكومة، التي أدت لهروب الفلاح من زراعات مثل تلك المحاصيل ، لأخرى أكثر ربحية.

وأفرد التقرير جزءا خاصا عن التبادل التجاري بين مصر وأمريكا، قال فيه أنه رغم الظروف والمشاكل التي يعاني منها الاقتصاد المصري، فان حجم التبادل التجاري الأمريكي المصري لم يتأثر فقد بلغت الصادرات الامريكية لمصر ٢٫٥ مليار دولار ، وتبلغ الواردات المصرية من أمريكا ٢٧٪ من وارداتها الخارجية، وتعد مصر السوق التاسعة للصادرات الزراعية الأمريكية (مليار دولار عام ١٩٨٩) ومصر أكبر مستورد للقمح والقطن الامريكي بينما الصادرات المصرية لأمريكا فقد إنخفضت من ٤٩٨ مليون دولار الى ٢١٦ مليون دولار بين عامي ١٩٨٦ و ١٩٨٩.

وقال التقرير أن استثمارات أمريكا في مصر بلغت ١٫٧ مليار دولار منها ١٫٤ مليار في البترول فقط، حيث تسيطر شركة «أموكو» على نصف إستخراج البترول المصري. وقد تأسست ٣٠ شركة مشتركة بين مصر وأمريكا خلال السنوات الأربع الأخيرة .. اضافة لوجود ٦ بنوك و٨٢٧ شركة حتى عام ١٩٨٩

صدر هذا التقرير قبل أحداث الخليج

تحقيق

حتى تنتهى صناعة العنف

الحوار بالرصاص أطلقه السادات وأصبح سياسة معتمدة

هشام مبارك

بين يوم وآخر تنقل الينا الصحف أنباء من مسلسل العنف الدموى الذى يتحرك من موقع لآخر فى دائرة مفرغة من العنف والعنف المضاد بين الشرطة والجماعات الاسلامية وتحصد معها أرواحا جديدة كل يوم فخلال ٣ سنوات هى فترة تولى زكى بدر مسئولية وزارة الداخلية قتل (٣٠) شخصا برصاص الشرطة فى الشوارع.

كما سقط (٤٢) قتيلاً فى الفترة من يناير الى يوليو الماضيين فى عهد الوزير عبد الحليم موسى، أى بمعدل ٦ قتلى كل شهر من الجماعات الاسلامية بالاضافة لعدد آخر من رجال الشرطة والمواطنين الأبرياء المقطوعى الصلة لهم بهذا الصراع الدائر.

وتبدو الصورة فى ظل عنف الشرطة والعنف المضاد لهذه الجماعات أقرب الى حلقات مسلسل تليفزيونى تراجيدى..

الحلقة الاولى

فى بداية السبعينات أعطى السادات الضوء الأخضر لتشكيل ماسمى بالجماعات الاسلامية فى الجامعات لتواجه التيارات اليسارية المتنامية آنذاك، مستخدمة فى ذلك وبدعم من السلطة الأسلحة البيضاء فى مواجهة خصومها. وعلى الجانب الآخر بدأت الانشقاقات تدب فى الجسد المترهل للاخوان المسلمين أثر فترات السجن والتعذيب فى الستينات، وخرجت منها تيارات أكثر تشدداً لتعلن رفضها لمفاهيم الجماعة الأم المعتدلة نسبيا ولتتخذ العنف سبيلا فى دعوتها.

وقد استطاعت قيادات هذه التيارات المنشقة أن تسطو على جسد الجماعات الاسلامية المتنامى، لتغزوه فكريا وتجند عناصر منه الى وعائها التنظيمى الناضب. وفى هذا الاطار نجح «صالح سرية» فى جذب عناصر من الجماعة الى تنظيمه الداعى الى قلب نظام الحكم، وبدأ فى تنفيذ مخططه بحادث الفنية العسكرية فى سنة ١٩٧٣ وتكررت المحاولة فى السيطرة على الجماعات الأسلامية من قبل جماعة «التكفير والهجرة» بزعامة «شكرى مصطفى» والتى نجحت فى تنفيذ عدة عمليات قتل منها اختطاف الشيخ الذهبى وتنفيذ حكم الاعدام فيه.

وبعد فترة وجيزة نجح تنظيم الجهاد، وليس فحسب فى تجنيد عدد من عناصر الجماعات الاسلاميه، بل فى الحاق وضم غالبية الجماعات اليه وتثوير أفكارها فى اتجاه معاداة الدولة ورموزها وتحويلها الى واجهة علنية له. وعلى أثر هذه الخطوة تنامى تنظيم الجهاد للحد الذى فاق كافة التصورات الأمنية ولم يصبح فقط خطراً على الأمن بل على الدولة ذاتها وتطورت الأحداث سريعا وكان ذروتها حادث اغتيال السادات فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١ وما أعقبه من وقائع دموية فى أسيوط حيث قتل (١١٥) ضابطا وجنديا فى مديرية الأمن على يد الجناح العسكرى لتنظيم الجهاد برئاسة عقيد المخابرات السابق عبود الزمر.

وباغتيال السادات أصبح الدور الأساسى فى مسلسل العنف للدولة وجهازها الشرطى فأعقب ذلك حملة اعتقالات واسعة لمئات من الجماعة الأسلامية وزج بهم فى السجون حيث تعرضوا بداخلها لتعذيب بشع أثبتته الأحكام القضائية المختلفة فى هذه الفترة ومنها الحكم فى قضية تنظيم الجهاد الصادر فى ١٩٨٤.

الضرب فى المليان

وأصبح تعذيب المعتقلين والسجناء من الجماعة الاسلامية فى السجون عملا روتينيا يمارس على نطاق واسع بعد حادث المنصة فى سنة ١٩٨١ حتى الآن. ومع اعتلاء زكى بدر وزارة الداخلية، اتخذ مسلسل العنف بين الطرفين طابعا شرسا فبالإضافة الى استمرار التعذيب لأعضاء هذه الجماعات فى السجون لـ «كسر شوكتهم» واثنائهم عن أفكارهم المتشددة، كهدف معلن لوزارة الداخلية فى العهود المختلفة لوزراء الداخلية بعد عام ١٩٨١، ابتكر زكى بدر أسلوب التصفية الجسدية لعناصر من هذه الجماعات، باطلاق الرصاص عليهم فى الشوارع والمنازل. ليضفى على السياسة الأمنية للوزارة ملامح أكثر تشددا من ذى قبل.

لقد أعطى زكى بدر الضوء الاخضر لمرؤوسيه فى استخدام الذخيرة الحية لمواجهة أية تجمعات جماهيرية، وتصيد أية أخطاء أو هفوات لعناصر من هذه الجماعات واتخاذها ذريعة لاطلاق الرصاص عليهم وتواكب هذا الأسلوب مع تصريحاته بأن «أسلوب التعامل مع الخارجين عن القانون هو المدفع ثم المدفع ثم المدفع «والضرب فى سويداء القلب» و«فى

المليان»

لقد بات من المؤكد أن سياسة الوزارة فى عهد زكى بدر، اتسمت بطابع دموى غير مسبوق فقد أسفرت عن مقتل (٣٠) شخصا فى ثلاث سنوات سقطوا برصاص الشرطة فى الشوارع معظمهم ينتمون الى الجماعة الاسلامية.

ماذا بعد زكى بدر؟

وقوبل هذا الأمر بالرفض من التيارات السياسية المختلفة فى المجتمع، ولكن معارضتها اشتدت عندما تطاول بسب قيادات هذه التيارات بل وعدد من المسؤولين فى الدولة، ولم يجد رئيس الجمهورية مفرا من اقالة زكى بدر كمخرج لهذه الأزمة.

وبتعيين عبد الحليم موسى وزيراً للداخلية، راودت الآمال الكثيرين من المعارضين فى أن ينزع الوزير الجديد الفتيل من السياسة الأمنية للوزارة، وأن يسلك الطريق الصحيح لمواجهة التطرف وأن يتجنب سياسة التصفية الجسدية. وتزايدت هذه الآمال التى على شخص «موسى» صاحب التجربة الطويلة فى التعامل مع المتطرفين والتحاور معهم فى أسيوط عندما كان محافظا لها.

وتواكب ذلك مع تصريحات بناءة للوزير تعهد فيها بأن «المرحلة القادمة لن تشهد أى تجاوز للقانون أو امتهان لكرامة الانسان المصرى».

وفى ظل هذا المناخ الهادئ، بدا لعدد من المراقبين، أن هناك عناصر تنتمى الى الجماعة الاسلامية، شرعت فى تنفيذ عدة اختبارات قوة للوزير الجديد، ولم تكن أحداث الفتنة الطائفية بالمنيا الا ذروة هذه الاختبارات.



رجل أمن محترف

وسرعان ماغابت التصريحات الطيبة للوزير الجديد وبدأت تميل الى التشدد فى محاولة منه على مايبدو لاظهار قدرته على القسوة بل والعنف أحيانا. فأعلن أنه «لم يشارك فى أى حوار مع الجماعات» فى أسيوط عندما كان محافظا و«لايعرف كيف يتحاور» «الوفد ٨ مايو» وأعلن رفضه للقب «شيخ العرب» الذى أطلقته عليه الصحف واعتبره لقب يظهره «كرجل هليهلى» معتبراً نفسه «رجل أمن محترف» على حد تعبيره «المصور ١١ مايو»

ومع الوقت وصلت تصريحاته الى النقطة التى انتهى اليها زكى بدر وكرر تصريحات مشابهة له حين صرح بأن ... الظروف السابقة تستحق سياسة أكثر من الضرب فى المليان..» «الوفد ٨ مايو»... وهى السياسة التى عادت للظهور مرة أخرى فى عهد «عبد الحليم موسى» مما أسفر عن مقتل (٣٦) شخصا من يناير الى يوليو الماضيين، ومعظم الضحايا من الجماعة الاسلاميه وعدد من المواطنين الابرياء لاصلة لهم بالاحداث وهو رقم يفوق أعداد القتلى فى ٣ سنوات فى عهد زكى بدر الذى بلغ (٣٠) مواطنا.

وعلى الجانب الآخر قتل (٦) على الأقل من الشرطة وأصيب جنديان فى المعادى، عندما أطلق مجهولون الرصاص عليهم وعلى جندى حراسة فى المهندسين زعمت تقارير بأنهم ينتمون الى الجماعات الاسلامية

من هنا نبدأ

لقد بدأ مسلسل العنف والعنف المضاد بين الشرطة والجماعات فى عهد «موسى» مع قرار تعيينه وزيرا للداخلية فى يناير الماضى حيث قوبل هذا القرار برفض قاطع من الجماعات وهو ما أوضحته منشوراتها طوال الفترة الماضية، فأشارت الى أن الوزير الجديد سيمارس نفس سياسات سلفه زكى بدر وانه «تلميذ نجيب له» ومع ادانة الجماعات للوزير الجديد بدأت حلقة جديدة من مسلسل العنف المتبادل.

ففى ٢٣ يناير، بعد (١١) يوما فقط من توليه الوزارة، نشبت معركة بين الشرطة والجماعات عقب مظاهرة لهم فى أسيوط للمطالبة بمحاكمة زكى بدر عن جرائمه، أسفرت عن مصرع شخص ينتمى للجماعة برصاص الشرطة «الاخبار ٢٤ يناير» ثم انتقلت الأحداث الى منطقة عين شمس، حيث أطلقت الشرطة الرصاص على عضو الجماعة «أحمد كامل» فأردته صريعا خلال محاولة أجهزة الأمن القبض عليه، وعللت هذه الاجهزة مصرعه بأنه أطلق الرصاص على الشرطة من منزله «الاهرام ٢٧ يناير».

وفى عين شمس أيضا هاجم مجهولون سيارة شرطة وألقوا عليها عبوات حارقة مما أدى الى اصابه ضابط وجندى بحروق بالغة وقالت أجهزة الأمن أن الجناة من الجماعة الاسلامية.

اختطاف النساء

وردا على ذلك اختطفت الشرطة (١٢) سيدة من عين شمس واحتجزتهم بقسم الشرطة كرهائن لحين تسليم أشقائهم وأزواجهم أنفسهم للشرطة، لأشتباهها فيهم بارتكابهم عملية الهجوم على سيارة الشرطة، وتعرضت السيدات الـ (١٢) الى تعذيب بشع لاجبارهم على الادلاء بمعلومات عن أماكن اختفاء ذويهم المطلوبين، وتمثل التعذيب فى الضرب بالعصى والأيدى، وتعليقهن على الأبواب فضلا عن الصعق بالكهرباء وأثبتت التقارير الطبية للمجنى عليهم آثار التعذيب على أجسادهن

وفى السويس وقعت مصادمات عنيفة بين الشرطة والجماعات أسفرت عن اصابة (٣) أشخاص من الجماعات من جراء اطلاق النيران «النور ١٢ أبريل». وفى المنيا اشتعلت أحداث الفتنة الطائفية أثر بيانات عديدة للجماعة الاسلامية هناك زعمت وجود شبكة للدعارة من فتيات مسلمات يديرها شبان مسيحيون. وأعقبت هذه الأحداث حملة اعتقالات واسعة لأفراد من هذه الجماعات ومقتل (٣) منهم «الحقيقة ١٧ مارس»

العنف والعنف المضاد يقتل أبرياء فى منفلوط وديروط

أيام العهد الدموى

وفى منفلوط فتحت الشرطة نيرانها على مسيرة نظمتها الجماعة الاسلامية هناك فى أول أيام العيد تعرف باسم «المحمل» مما أدى الى مصرع (٥) أشخاص من بينهم على الاقل اثنين من المواطنين لاصلة لهم بالاحداث، أحدهما طفل يبلغ من العمر (١١) عاما، كما أصيب (٣٤) شخصا واعتقل (١٨٠) آخرين. «الجمهورية، الوفد ٢٨ أبريل»

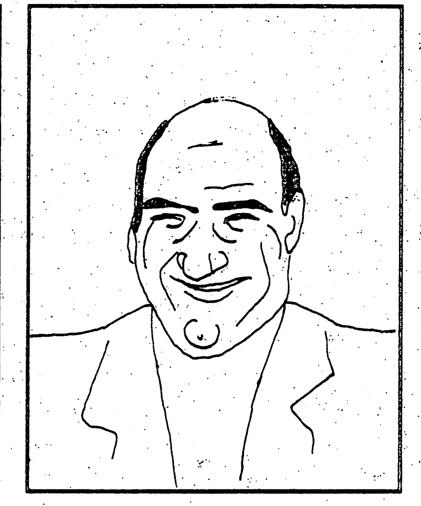
والى الفيوم ينتقل مسلسل العنف، حيث قتل مساعد شرطة من قوة حراسة كنيسة العذراء، بعد أن ألقى مجهولون قنابل وأطلقوا عليه الرصاص، «الوفد ٢٦ أبريل».

ولم تمر أيام على هذا الحادث حتى نشبت معركة حامية بين الشرطة وعناصر من الجماعة الاسلامية فى قرية كحك بالفيوم والمعروفين هناك باسم «الشوقيون»، استخدم فيها الطرفان الأسلحة النارية، وسقط فى هذه المعركة (١٨) قتيلا وأصيب أربعة قالت المصادر الامنية انهم من الشوقيين، وسقط خفير شرطة قتيلا بعد أن سرق الجناه بندقيته «الاهالى والاخبار ٢ مايو»

الرصاص فى الشوارع

وفى أعقاب هذه الأحداث الدموية، قام مجهولون زعمت أجهزة الأمن بانتمائهم للجماعة، بالاعتداء على عدد من ضباط الشرطة عندما أوقفوا أتوبيسا كان يقلهم، واستخدموا السنج والجنازير والعصى فى الاعتداء عليهم مما أسفر عن اصابات، جسيمة بالضباط ثم قامت الشرطة بحملات تفتيش واسعة النطاق بحثا عن الجناه، واسفرت الحملات عن مصادمات عنيفة بين الشرطة والجماعات أدت الى مقتل واصابة (١١) شخصا «الحقيقة ٢٦ مايو»

وفى ١٣ يوليو الماضى نشبت معركة فى ديروط بين الشرطة والجماعة لاتقل دموية عن نظيراتها فى حكك بالفيوم، فعلى أثر اعتصام تظمته الجماعة بمسجد «السايح» احتجاجا على اعتقال عدد منهم حاصرت الشرطة المسجد بأعداد كبيرة من قوات الامن. وبعد مفاوضات مضنية مع قيادات المعتصمين أجراها نائب مجلس الشعب عن الحزب الحاكم بديروط وافق المعتصمون على فض اعتصامهم بعد أن طلبوا من الشرطة السماح لهم بالانصراف، الا أن الشرطة اشترطت أولا تسليم (٦) من الجماعة مطلوب القبض عليهم للتحقيق معهم فى أحداث سابقة، الأمر الذى رفضته الجماعة الاسلامية، ودون سابق انذار أطلقت الشرطة الرصاص على المعتصمين أثناء خروجهم من المسجد، وظلت تطلق الرصاص على فلول الهاربين فى الشوارع الجانبية المحيطة بالمسجد مما أدى الى مصرع (٣) يعتقد بأنهم مواطنون لم تكن لهم صلة بالأحداث واصيبوا برصاص الشرطة أمام منازلهم على بعد كبير من موقع الأحداث فى مسجد السايح.


عبد الحليم موسى

اغتيال الخصوم

لقد أثار العديد من المراقبين شكوكا على مزاعم البعض فى أن أجهزة الأمن تنفذ فعليا سياسة «الضرب فى المليان» و«فى سويداء القلب» لكن أساليب مواجهة الأمن للأحداث فى الفيوم ومنفلوط وأخيرا ديروط، حسمت الى حد كبير هذه الشكوك واتضح للكثيرين أن هذه السياسة الدموية جرى تنفيذها فعلا. ليس هذا وحسب بل أن هذه الأجهزة الأمنية لاتحتاط من أن تطول سياساتها الدموية مواطنين أبرياء، وهو ماحدث فى منفلوط وديروط على الأقل.

لقد برهنت هذه الأحداث على أن هناك مخاوف جدية من عودة الشرطة لاتباع أسلوب التصفية الجسدية فى صراعها مع الجماعة الاسلامية، بعد أن ظن الكثيرون بأنه أسلوب اختفى مع اختفاء صاحبه زكى بدر.

وفى هذا الاطار أشارت المنظمة المصرية لحقوق الأنسان فى تقرير لها عقب أحداث ديروط الى «استخدام الشرطة للأسلحة النارية جاء بالمخالفة للقانون وبكثافة مبالغ فيها مما أدى الى مقتل واصابة مواطنين أبرياء» وأشارت المنظمة الى «أن الشرطة فى ديروط لم تلزم نفسها بالقيود التى فرضها القانون- على استخدام الاسلحة النارية- وبادرت باطلاق الرصاص رغم أن تسليح عناصر الجماعات الاسلامية لم يكن يتضمن الأسلحة النارية كما أنها لم تكن فى موقع المجابهة معها بل كانت تبحث عن وسيلة للانصراف وليس الى استمرار اعتصامها بالمسجد».

هل من مخرج

هذه هى وقائع العنف التى تدور رحاها فى المجتمع طوال الفترة الماضية فمن ناحية لم تنجح الشرطة، لا بالتعذيب ولا بالسجون ولاحتى بالتصفية الجسدية فى كبح جماح تطرف هذه الجماعات واثنائها عن أفكارها المتشددة تجاه المجتمع ومؤسساته. ومن ناحية أخرى رغم النجاحات المؤقته، فلم تستطع أيضا الجماعات الاسلامية فرض أفكارها ومعتقداتها على المجتمع كما لم تنجح فى قلب نظام الحكم كماهدفت دائما.

وهكذا يصبح الطرفان خاسرين فى معركة لم تنته بعد، فهل تبدأ حلقة جديدة فى مسلسل العنف؟؟؟

الإجابة كانت فى الهرم فى ٣ سبتمبر الماضى، عندما أطلق مجهولون الرصاص من مسدس كاتم للصوت على شخص فأردوه صريعا على الفور... ولم يكن هذا الشخص سوى علاء محيى الدين المسئول الاعلامى والمتحدث الرسمى للجماعة الاسلامية.....

٤٢ قتيلا

حصيلة

سبعة شهور

فى عهد عبد الحليم

موسى

طبت حياً وميتاً يا رفيق خالد



فى البدء كانت الاسكندرية ١٩٢٥

وفى الختام كانت الاسكندرية ١٩٩٠

صلاح عيسى

وبينهما ٦٥ عاماً من التاريخ، عريضة كمساحات الصحراء التى اصطدم رأسه بإحدى صخورها، ليتوسد أمه الأرض، هادئة ورصينة، فوراة وعاصفة كالبحر، كالحلم الذى به عاش.. وبه مات..

وحين كان «المكان/ الزمان» اسكندرية منتصف العشرينيات، ولد فى العاصفة: رخات المطر تغسل الجدران من الأتربة، لكنها- رغم غزارتها- أعجز من أن تغسل همّ القلب. ست سنوات كانت قد مضت على ثورة ١٩١٩، التى ستكون أحداثها اللاهبة، موضوع حكايات، يرويها له، وهو طفل أبوه، فخورا بأنه شارك فيها ضمن عمال العنابر، والتى سيمضى طفولته وصباه، وهو يتابع نكساتها المتتالية، فتلهمه الفكرة التى سيعطيها عمره بعد ذلك: النضال من أجل ثورة من نوع جديد.

وفى السنة التى ولد بها- ١٩٢٥- كان الستار قد أسدل على الفصل الواحد السعيد من تاريخ ثورة ١٩١٩، وهو فصل لم يستغرق سوى عشرة أشهر، انتهت باغتيال السردار، واستقالة وزارة سعد زغلول، بعد أن رفض المطالب البريطانية بسحب الجيش المصرى من السودان، وإطلاق يد حكومته فى زراعة القطن بلا حدود، معلناً أن ذلك يخرج عن حدود الوكالة التى منحتها له الأمه، معتكفاً فى فندق مينا هاوس»، وهو يردد بحسرة:

كانت غلطتنا أننا صدقنا إننا مستقلون..

أما حين كان يدب بأقدامه الصغيرة على أرضية شوارع «بحرى»، بين منزله، وبين مدرسة «عباس الثانى الابتدائية» فإن سنوات كانت قد مضت على وفاة «سعد زغلول» جرت خلالها فى النهر مياه كثيرة:

بين أواخر العشرينيات، ومنتصف الثلاثينيات، أخذت المكاسب الضئيلة التى انتهت اليها ثورة ١٩١٩، تزداد تراجعاً يوما بعد يوم. انتهز الجيروند المصريون- من يمين البرجوازية- فرصة الهجوم الاستعمارى الذى أعقب مقتل السردار، وانتهى باقصاء خصومهم من اليعاقبة، ليمسكوا بزمام السلطة ويقلصوا مساحة الديمقراطية، لكى يضمنوا إلاّ تحمل أصوات الطبقات الشعبية، خصومهم من الوفديين المتشددين فى الوطنية إلى مراكز الحكم مرةً أخرى، فيثيروا بتشددهم غضب الاستعماريين، ويدفعونهم للعصف، بالمكسب الوحيد الذى حصلت عليه البرجوازية المصرية من قيادتها للثورة، وهو أن تكون شريكاً صغيراً فى السلطة السياسية.

وكانت تلك هى حقبة الانقلابات الدستورية التى بدأها «زيور» فى عام ١٩٢٥، واستأنفها «محمد محمود» فى ١٩٢٨، وجاء «اسماعيل صدقى» ليصل بها إلى ذروتها فى الأعوام بين ١٩٣٠ و ١٩٣٥، فيلغى دستور ١٩٢٣، ويصطنع دستور ١٩٣٠ الذى أعطى الملك سلطات واسعة على حساب سلطة الأمة الممثلة فى البرلمان..

ولو كان «سعد زغلول» حيا فى تلك السنوات، لأضاف متوجعاً:

- وكانت غلطتنا كذلك أننا صدقنا أن الأمة قد أصبحت حقا مصدر السلطات.

فى تلك الحقبة من التاريخ، بدأت البرجوازية المصرية الصغيرة، التى ساهمت بدور رئيسى فى ثورة ١٩١٩، رحلة خروجها الكبير، من تحت مظلة الفئات الأخرى التى قادت الثورة، والتى كانت المعركة الشرسة من أجل تثبيت الاستقلال والحفاظ على الديمقراطية، قد فتت فى عضدها، فدفعها إلى نوع من المهادنه مع أعدائها. وهكذا تشكلت- فى سنوات متقاربة من تلك الحقبة «الاخوان المسلمون» - الداعية إلى البعث الاسلامى، «ومصر الفتاة»- الداعية إلى مزيج من البعث الفرعونى والقومية المصرية- وتحرك الطلاب- بعيداً عن التوجيه المباشر للوفد، لمقاومة ديكتاتورية «اسماعيل صدقى» وخلفائه، فكانت انتفاضة نوفمبر ١٩٣٥، التى ظل «فؤاد مرسى» يحتفظ فى ذاكرته- بعد نصف قرن منها- بصورة لصفحة من «الأهرام» تحمل تصريحاً لضابط انجليزى فى البوليس المصرى، يقول فيه مفاخراً، أنه أطلق النار على ثلاثة من الطلاب المصريين الذين شاركوا فى الانتفاضة.

في العام التالي- ١٩٣٦- أنهى «فؤاد مرسي» دراسته الابتدائية.. وغادر «مدرسة عباس الابتدائية» إلى «المدرسة المرقسية الثانوية»، حيث بدأ يهتم بكتابات وأفكار «مصر الفتاة» التي كان أخوه الأكبر متعاطفاً معها. وهكذا وجد نفسه في منزل يجمع بين تيارين من تيارات الفكر الوطني، إذ كان أبوه من أوائل الذين انضموا إلى فرع الحزب الوطني- حزب مصطفى كامل- بالاسكندرية، وكان من أوائل الذين انضموا إلى نقابة عمال الصنائع بالسكة الحديد، وقد احتفظ الأب بانتمائه العاطفي والسياسي إلى الفكر الوطني التقليدي من مصطفى كامل إلى محمد فريد ثم سعد زغلول ومصطفى النحاس، بينما عرف عن طريق أخيه، التيار غير التقليدي في الفكر الوطني، الذي كانت تمثله «مصر الفتاة»، فلفت ذلك نظره إلى التنوع في الاجتهادات الوطنية، وأتاح له فرصة المقارنة بين المدرستين.

في كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية، التي أمضى بها السنوات بين ١٩٤١و١٩٤٥، تبلور انحيازه إلى التيار غير التقليدي في الحركة الوطنية المصرية،



ولكنه لم ينضم إلى «مصر الفتاة» التي كانت تتعرض آنذاك لحصار أمني شديد، بسبب الشك في عواطفها للفاشست، بل أسس جماعة تضم عدداً من الطلاب والعمال، أطلق عليها اسم «حركة الجيل الجديد»، تولى رئاستها، بينما قام بمهمة سكرتيرها العام، موظف في شركة الغزل والنسيج الرفيع بكفر الدوار، أصبح اسمه شهيراً بعد ذلك، هو «ابراهيم عامر»، وكانت أفكارها خليطا من الفاشية، والاشتراكية البرجوازية الصغيرة، مع نزوع للقبول بالديكتاتورية، ومن بين الشعارات التي كانت ترفعها «أيها العامل.. إعمل لتكون لك آلتك.. أيها الفلاح إعمل لتكون لك أرضك»..

في ظلام سنوات الحرب- التي كانت مرحلة جزر وطني وديمقراطي- عاش «فؤاد مرسي» سنوات دراسته الجامعية، متنقلاً بين مدرجات الجامعة، ومكتبتها، ومكتبات المدينة، ونواديها الثقافية، يقرأ باهتمام، وبرغبة عارمة في المعرفة، كل مايقع بين يديه من كتب.

وما لبثت قراءاته أن نظمت وخططت، فتركزت على تاريخ مصر، وعلى أوضاع العالم المعاصر، الذي كانت خريطته السياسية والفكرية، توشك على التغير بعد الحرب.

وتلفت رغبته العارمة في المعرفة، وإقامته الدائمة في المكتبة، وقراءاته المتصلة في المذاهب السياسية والاقتصادية، نظر أحد زملائه في الكلية، هو «كمال جوجو»- وكان على صلة بالحلقات الماركسية التي بدأ تشكليها آنذاك- فيلمح له، بأن له صديقاً يمكن أن يمدّه بكتب ودراسات من النوع الذي يحب أن يقرأه.. ويقوده إلى مكتب محامي مصري يهودي، ويعرفه به... وعن طريقه يتعرف «فؤاد مرسي» لأول مرة على الماركسية، ويقرأ مبادئها في كتب «ماركس» و «انجلز» و «لينين» و «ستالين».. ويتردد على منتديات الماركسيين بالاسكندرية، ومن بينها «ندوة الثقافة الجديدة»، ليكتشف- بعد قليل أنه يدور في إطار التجمعات التي تكونت منها فيما بعد منظمة «الشرارة»- إيسكرا- بقيادة «هليل شوارتز»..

على أن الطابع الأجنبي الذي كان غالبا على هذه التجمعات، سرعان مانفره منها، فانقطع عن الاتصال بها.. ولكن تأثيراتها الفكرية على عقله المشتعل المتوهج، لم تنسحب عنه.. وكان أبرز ما تركته من بصمات على عقله وروحه، أنها فسرت له هماً كان يثقل قلبه، فقد كان عاجزاً عن تفسير ظاهرة الخيانة الوطنية، وعن العثور على تبرير لانضمام مصريين إلى البريطانيين، ومساعدتهم لهم في حكم وطنهم. أما بعد أن قرأ «البيان الشيوعي» فقد أدرك أن الوطنية ليست مفهوماً مجرداً، وليست جنسية، ولكنها مصالح فئات وطبقات إجتماعية، وهكذا فهم المعنى الحقيقي للاستعمار والمعنى الصحيح للوطنية، وبرقت في ذهنه تلك الفكرة التي سيعطي لها عمره بعد ذلك: نحن في حاجة إلى حزب من نوع جديد...

وخلال الفترة التي انشغل فيها بالقراءة في الماركسية، والاتصال بحلقاتها في الاسكندرية ثم في القاهرة، تراخى نشاط «حركة الجيل الجديد»، على أنه جمع أعضاءها في صيف ١٩٤٥، وعرض عليهم الأفكار التي كان قد توصل إليها، معلنا لهم أن الحركة قد وصلت إلى طريق مسدود، وأن أمامهم آفاقاً جديده للعمل وللنشاط ضمن التوجه الجديد، الذي كان قد توصل إليه.

وقد انقسمت الحركة إلى قسمين، أيده الأول، وكان يضم «يوسف موسى» و «جلال جوجو»- وهو ابن عم كمال جوجو- وتمسك الباقون بالرؤى التي كانت تنشط على أساسها المنظمة، بينما شكل المؤيدون له، حلقة ماركسية صغيرة، عرفت فيما بعد باسم «طليعة الاسكندرية»، ظلت تنشط إلى أن اندمجت في الوحدة التي تشكلت منها فيما بعد الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني «حدتو»، ومثلت في لجنتها المركزية بعضو واحد هو «لطفي عزوز».

وما كادت سنوات الحرب تنتهي.. حتى كان «فؤاد مرسي» قد أنهى دراسته الجامعية وتخرج من كلية الحقوق وعمل- لمدّة شهور-



معاونا لنيابة المنشيه، أوفدته الجامعة بعدها في بعثة دراسية إلى «جامعة باريس» للحصول على الدكتوراه.. ولأنه لم تكن هناك بعثات مخصصة لكلية الحقوق في «الاقتصاد» الذي فتنه، فقد اختار أن يدرس المالية العامة أقرب العلوم إلى الاقتصاد وأوثقها صله به.

وفي باريس عاش حياة متقشفه، ساعدته عليها نشأته في أسرة فقيرة، وطبيعته التي لاتستمتع بشيء خارج نطاق العلم والفكر، وظروف فرنسا التي كانت قد خرجت من الحرب، بعد أن تدمر اقتصادها، وقد مكنته هذه الحياة المتقشفه من إنهاء بعثته في ثلاث سنوات بدلاً من خمس، وأتاحت له- فضلاً عن هذا- أن يقرأ الماركسية بعمق أكثر وفيما بعد، قال لي:

- خلال هذه القراءة المتواصلة والمنتظمة للفكر الاشتراكي العلمي، أدركت معالم النظرية المناسبة لمصر.. إذ كانت الدراسات التطبيقية «لماركس» و «انجلز» على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لي، وخاصة ثلاثية ماركس الشهيرة عن فرنسا، ودراسة «انجلز» عن الثورة في «ألمانيا»، فهذه الدراسات، هي التي علمتني كيف أطبق المادية الجدلية والتاريخية على الواقع المعين، وقد نبهني كتاب «انجلز» بالذات، الى ظاهرة خطيرة، تتعلق بأوضاع مصر.. إذ لفتت نظري دعوته إلى أن الاطاحة ببقايا الاقطاع، ينبغي أن تسبق التفكير في تحويل ألمانيا إلى دولة اشتراكية.. وفيما بعد تنبهت إلى أن هذه هي الفكرة الغائبة عن ممارسات الحلقات والتنظيمات الماركسية في مصر..

وفي العامين الأخيرين من إقامته في «باريس»، تلاقت أفكاره، مع اثنين من

زملائه المبعوثين، كان أحدهما زميلاً له في جامعة الاسكندرية، ومبعوثا من مبعوثيها لدراسة الفلسفة، هو «مصطفى صفوان»، وكان والده الشيخ صفوان أبو الفتح، أحد مؤسسي الحزب الشيوعي المصري الأول، وكان الثاني- وهو «اسماعيل صبري عبد الله»- أحد مبعوثي جامعة القاهرة للحصول على الدكتوراه في الاقتصاد، فاتصل ثلاثيتهم بالحزب الشيوعي الفرنسي، وطلبوا الانضمام إلى عضويته باعتبارهم شيوعيين، وأتاح لهم هذا استكمال معرفتهم النظرية، وخبراتهم التنظيمية والحركية..

ولأن «فؤاد مرسي» كان أول من انهى دراسته منهم، وحصل على الدكتوراه بدرجة امتياز عن رسالته «العلاقات الاقتصادية والمالية بين بريطانيا ومصر ابتداء من عام ١٩٣٩»، فقد اجتمع الثلاثة عشية سفره إلى مصر، ليحددوا الدور الذين سينشطون على أساسه بعد عودتهم.. وانتهت المناقشات بينهم إلى أن تكون حركتهم في اتجاهين:

الأول: محاولة توحيد الشيوعيين في مصر في حزب واحد وإعلان تكوينه.

الثاني: أن يسير هذا الحزب في اتجاه تحقيق الثورة الوطنية التي ليست فقط معادية للاستعمار، بل وساعية كذلك لتصفية بقايا الاقطاع، والتي تفتح الباب أيضا لتحقيق الاشتراكية.

وحمل «اسماعيل صبري عبد الله» - الذي كان يمثلهم في الاتصال بالحزب الشيوعي الفرنسي، هذه الاراء إلى الحزب، فوافقهم عليها..

في يناير ١٩٤٩ عاد «فؤاد مرسي» إلى مصر ليلتحق بهيئة التدريس بكلية حقوق الاسكندرية، وليحاول تلمس الطريق نحو ذلك الحزب الجديد، الذي كان متيقنا منذ شبابه الباكر أن مصر في حاجة إليه: حزب يستنقذ ثمار ثورة ١٩١٩ التي كانت قد تبددت بين مطامع الاعداء، والورثة الذين انهكهم النضال وفت في عضدهم، فيستقل الوطن حقا، وتعود الامه مصدراً للسلطات فعلاً، والأهم من هذا أن تستفيد الطبقات الشعبية التي كانت ومازالت وقود الثورة الحقيقي من ثمارها..

وكانت مجموعة «طليعة الاسكندرية» التي أسسها قبل سفره إلى البعثة، من بين المنظمات الماركسية التي اندمجت في «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني» عند تأسيسها عام ١٩٤٧.. لكنه عندما عاد، لم يجد «حدتو» نفسها، إذ كان معظم كادرها الأساسي قد تبدد، بسبب الانقسامات التي شهدتها، والتي بدأت بالتكتل الثوري»- الذي قاده «شهدي عطية الشافعي» عام ١٩٤٨- وتواصلت في دوامات أخذت تتسع حتى أدركتها حملة اعتقالات ١٥ مايو ١٩٤٨، التي شنتها حكومة «النقراشي» بمناسبة حرب فلسطين الأولى.. فأطبقت المعتقلات على كادر «حدتو» الرئيسي، بينما تبدد من ظلوا خارج المعتقلات، بين الانقسامات والمطاردات..

وكان طبيعياً أن يلتقي الشاب العائد من فرنسا، يحمل مشروع «حزب جديد»، بكادر «حدتو» المطارد، أو المنقسم الذي يبحث هو الأخر عن حزب جديد.. ولأن التجمعات الماركسية المصرية، لم تكن غريبة عليه، فإنه لم تكد تمر شهور على عودته، حتى لتقى ب «أسعد حليم» وعن طريقه تعرف ب «مصطفى طيبة»- الذي كان مسئولاً سياسياً عن تنظيم حدتو خارج السجن ثم «سعد زهران» و «دراود عزيز».

وعن طريقهم تجمعت أمامه معظم وثائق الحركة الشيوعية المصرية، منذ بداية الأربعينيات وحتى نهايتها.. فانكب عليها يدرسها بعناية واهتمام.. ويعيد - في الوقت ذاته- قراءة الأعمال الأساسية للماركسية قراءة مخططة ومنسقة،

وانتهى من دراسته- كما قال لي فيما بعد- إلى أن الحركة الشيوعية الجنينية في مصر، كانت اسيرة رؤيتين أساسيتين.

- رؤية تركز على القضية الوطنية دون سواها، ولاترى في مصر إلا التناقض مع الاستعمار فقط، وبالتالي ترى أن التحرر من الاستعمار هو هدفها

- ورؤية تتوهم أن الأوضاع في مصر، هي ذاتها الأوضاع في أوربا عشية الثورة الاشتراكية، وأنها بلد رأسمالي متقدم، وانها مهيئة لثورة اشتراكية

وهكذا برقت في ذهنة الفكرة التي كانت قراءاته لدراسات «ماركس» و «انجلز» التطبيقية على الثورتين الفرنسية والألمانية، فقادته إلى اليقين بشيء ثالث مختلف، هو أن الثورة التي ينبغي أن يسعى الشيوعيون لانضاج ظروفها، ليست هي الثورة الاشتراكية، وليست هي الثورة الوطنية التقليدية، وانما الثورة الوطنية التي تفتح الباب للثورة الاشتراكية، وأنه لابد من إزاحة بقايا الاقطاع في مصر أولاً.. ولابد من الربط بين إزاحة بقايا الاقطاع وبين التخلص من الاستعمار..

وعلى ضوء هذا التحليل كتب «فؤاد مرسي»- وهو في الخامسة والعشرين من عمره- تقريره الأول، الذي نشر بعنوان «تطور الرأسمالية وكفاح الطبقات في مصر» وبتوقيع «الرفيق خالد» - اسمه الحركي- ثم أضاف إليه- بعد ذلك- تقريره الثاني «ثورتنا المقلبة»، ليكون الاثنان، الأساس النظري والحركي، الذي انطلق منه «الحزب الشيوعي المصري»، وقد ميز بعد ذلك، باسم «الراية» نسبة إلى صحيفته الجماهيرية «راية الشعب».



وستمر في النهر وفي البحر بعد ذلك التاريخ، مياه أربعين عاما كاملة، تتقلب فيها به، وبالوطن، وبالأمة، والأحداث والظروف.. ويظل خلالها «الرفيق خالد» واقفاً في الخندق نفسه، يقرأ ويكتب ويفكر ويحلم ويعلم.. ويقود..

سيختلف مع كثيرين ويتفق مع كثيرين، وسيشتبك في معارك سياسية وفكرية طاحنه، مع الأعداء، ومع الاصدقاء..

سيبرق اسم «الرفيق خالد» في سماوات مصر الملكية ثم مصر الجمهورية على امتداد الخمسينيات داعيا إلى تحرير الوطن وتحرير الشعب، فيحشد حوله عواطف جياشه لجيل جديد، لم يكتف بثورة ١٩١٩، ولابثورة ١٩٥٢، وظل يحلم ب «ثورتنا المقبله»..

سيعرف عذاب السجن وعذاب النفي، ويخرج منهما ليعرف منصب رئيس مجلس الإدارة، ومنصب الوزير، فيظل في الحالتين هو نفسه: عقلاً ذكيا متوهجاً، وروحاً إنسانية غامرة، تأبى أن تستكبر على الأخرين، وترفض أن تساوم على الحق.

سيعيش زاهدا في متع الحياة الفانية، قانعا بنشواتها العليا، قريبا من الفقراء والبسطاء، يفضل أن يكتب تحليلاً سياسياً للتجمع- الذي كان صاحب فكرة صيغته- عن أن يكتب مقالا ينشره في صحيفة فيعينه اجره على مواجهة أعباء الحياه..

ستنقلب الدنيا التي عاش يحلم بها، فلا يفقد تفاؤله، ولايتخلى عن حلمه بالحرية وبالعدل..

وستنقلب به سيارته وهو في طريقه إلى الاسكندرية، ليصطدم رأسه بحجر، فينام ساكنا على مشارف المدينة التي أحبها في الوطن، وأحب فيها الوطن..

تتبخر الأحزان والأحلام.. استنشقها على البعد دامعاً، وأنا أقول:

- طبت حياً.. وميتا يارفيق خالد!

فؤاد مرسى
«مفكرًا ومنظرًا»
وفكرة «البرجوازية من نوع جديد»
فى تطور الحركة الاشتراكية المصرية

محمد سيد أحمد

طمح فؤاد مرسى طوال حياته الى ان يكون قائدا فكريا.. قائدا فكريا بأرقى معنى يمكن أن يعطى للكلمة.. بما ينطوى عليه من عطاء، الى حد التفانى..وفى بساطه.. ودون شعور بالرضى الا فى الحدود التى اعتقد فيها انه فعلا قد انجز مهمته بنجاح..

كانت المهمة صعبة وكانت لها، بوصفه ماركسيا، مواصفات ومتطلبات معينة. فقد كانت هناك «النظرية» وهى المرشد. وكان هناك «الواقع» الذى يتعين تحليله. وكان هناك على الدوام هذا الجهد من اجل الجمع بين تعاليم «النظرية» وبين مستحدثات «الواقع». ولم تكن هذه التعاليم وتلك المستحدثات، فى كل ظرف، فى حالة تطابق بديهى.

وبقدر عدم التطابق كان هناك مجال لأعمال الفكر والاجتهاد والتنظير.

والذين يتصدون لهذه المهمة الشاقة، كما فعل فؤاد مرسى، لابد ان تكون حياتهم صنع الإحداث، ولاتكون صانعة للاحداث فقط.. انهم يتطلعون الى تفسير الاحداث، ويتطلعون الى التأثير فيها.. الا ان الاحداث لابد ان تؤثر هى الاخرى فيهم.. ويصعب فى العادة التكهن سلفا بالمحصلة النهائية: هل ينجح «القائد الفكرى» فى اعادة تصميم مجريات الاحداث، ام يعجز عن انجاز المهمة، وتسقط عنه صفة «القائد».. والنتيجه دائما نسبية.. ولابد عند اصدار حكم من وضع ظروف المكان والزمان فى الاعتبار..

واريد فى هذا الصدد ان اتناول معركة بالذات كان لفؤاد مرسى دور مقرر فيها.. هى احدى المعارك التى خاضها فى حياته النضالية الحافلة بالمعارك المتنوعة الجوانب، المتعددة الحلقات.. ولكنها تظل تعبيرا ناطقا عن شخصيته، وعن عبقريته الابداعية..

اول لقاء

التقيت بفؤاد مرسى لاول مرة منذ ما يقرب من ٣٥ سنة.. كانت فى الايام المجيدة التى اعقبت معركة السويس.. وكان وقتذاك شخصية غامضة، مهابة محاطة بالكتمان الشديد.. كان معروفا باسم حركى هو «الرفيق خالد».. وقليلون جدا الذين كانوا يعرفون الهوية الحقيقية، والاسم الحقيقى، «للرفيق خالد»..

وقد اعتقد البوليس لفترة انه الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله.. وتعرض الدكتور اسماعيل للتعذيب البشع فى السجن الحربى من اجل ان يبوح بالسر، ويعترف بمن هو «الرفيق خالد» ان لم تكن تقارير البوليس صحيحة.. ولم يبح اسماعيل صبرى بكلمة. ويتحمل الى اليوم فى جسدة اثار هذا التعذيب.

وفى يوم ما من عام ١٩٥٦، عرفنى عديلى «الهام سيف النصر» بالرفيق خالد، فى الشقة التى كنت اقطن فيها وقتذاك فى قلب القاهرة، طبعا، دون ان اعرف عنه شيئا غير هويته كقائد للتنظيم.. واخذنا نلتقى بعد ذلك كثيرا.. اصبح يقيم معى فى شقتى كلما حضر الى القاهرة من الاسكندرية موطنه الاصلى..

كان يجرى وقتذاك بحث وحدة الشيوعيين الذين كانوا مازالوا منقسمين ينتمون الى تنظيمات مختلفه متشاحنة.. كان عبد الناصر قد اقدم على اجرأ عمل كان من الممكن ان يقدم عليه قائد وطنى ضد الاستعمار، هو تأميمه لقناة السويس، الامر الذى عرض نظامه للعدوان الثلاثى.. وقد اختلفت اجتهادات الشيوعيين حوّل طبيعة النظام الناصرى قبل اقدامه على هذه الخطوة البالغة الجراه. لقد كانوا وقتئذ مجمعين على ان عبد الناصر ليس بالبداهة اشتراكيا. فلقد كان يسجن الشيوعيين، ويعرضهم فى السجون لشتى اصناف سوء المعاملة. وقد تعددت اجتهادات الشيوعيين فى محاولة تفسير الطبيعة الطبقية للنظام، وارجاع هذا التفسير الى اصوله النظرية.. وكان فؤاد مرسى قائد مدرسة نسبت الى حركة الجيش فى اعقاب قيامها صفة «الفاشية» وصفة «الدكتاتورية العسكرية». ولم يكن هذا الوصف متعارضا مع اصول نظرية كانت دارجة وقتذاك، بالذات تلك المستمدة من تجارب امريكا اللاتينية حيثما كان ينظر الى الانقلابات العسكرية- الكثيرة الحدوث فى ذاك الوقت- على انها ذات صفة دكتاتورية فاشية، معادية لحركة الشعب النضالية، وان المقصود بها احلال الجيش محل الشعب للحيلولة دون اندلاع ثورة شعبية ذات طابع حقيقى اصيل.

ولكن برز لعبد الناصر مواقف معادية للاستعمار لاتحتمل التأويل، وبصورة كانت تخالف تعاليم الماركسية الدراجة وقتذاك.

كانت «النظرية الماركسية» المعتمدة تقول ان سلوكيات عبد الناصر، فى بداية نظامه، تندرج تحت باب ما يوصف بالدكتاتورية العسكرية، والديماجوجية ذات النزعة الفاشية.

وكان «الواقع» يقول ان عبد الناصر قائد وطنى عظيم. ولم يكن هناك ما يعطى الانطباع - وقتذاك- بانه ينتسب الى الاشتراكية على اى نحو، ولو لمجرد عدائه الصارم للشيوعية.

وكان لابد وقتذاك من تجميع الشيوعيين المصريين وتوحيدهم، ولو لمجرد انه لم يكن يعقل ان يؤيد الشيوعيين المصريون عبد الناصر فى مواقفه الوطنية التى لاتحتمل التأويل، تأييدا لاتحفظ فيه، وان يكونوا مختلفين بينهم، وعاجزين عن تحقيق وحدتهم.. وهنا برز اجتهاد فؤاد مرسى عن فكرة «البرجوازية من نوع جديد»، اراد بها لا مجرد تفسير «واقع» لايجد سوابق فى «النظرية» يمكن الاستناد اليها والاستعانه بها فحسب، بل ايضا توفير «الاداة» التى يمكن بها اقامة وحدة الشيوعيين على اسس مؤصلة..

فكرة «البرجوازية من نوع جديد»

اذكر ان نظرية فؤاد مرسى «عن البرجوازية من نوع جديد، فى عالم جديد»، كانت وقتذاك بدعة.. انطلقت من سؤال كانت له وجاهته، وكانت محاولة للاجابة عليه: لماذا ظهرت برجوازية من نوع جديد فى بلدان معينة مثل مصر، اصبحت تخوض معارك

كبرى، كمعركة القناة، من اجل استقلالها الوطني- بالمعنى الحقيقي للكلمة- في عالم جديد مختلف في اعقاب الحرب العالمية الثانية؟

واذكر ان «ماكسيم رودنسون» الذي كان وقتذاك عضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي، ومفكرا بارزا فيه متخصصا في شئون العالم العربي الاسلامي، قد خصص مقالا في مجلة كانت تصدر في ذلك الوقت باسم «كراريس أممية» لنظرية «الرفيق خالد» عن البرجوازية من نوع جديد»، باعتبارها اجتهادا، ليواجه بها واقعا عالميا جديدا.

كانت المحاولة وقتذاك كما قلت، محاولة لتشخيص تجربة عبد الناصر في اطار استبعاد تفسيرين له: اولهما ان حركة الجيش كانت في الاصل حركة فاشيه ودكتاتورية عسكرية، وثانيهما انها حركة ذات طبيعة اشتراكية منتمية على نحو او آخر الى تعاليم الماركسية.. وكان المخرج فكرة «البرجوازية من نوع جديد».

انها، على حد قول فؤاد مرسي وقتذاك، برجوازية من نوع خاص، حكمتها مستجدات العصر وبصورة خاصة تعاظم شان الاشتراكية العالمية، وتأثيرها على سلوكيات البرجوازية في البلدان النامية. فان البرجوازية ضد الاشتراكية، ولكن من الممكن للبرجوازية في البلدان النامية ان تستفيد من الاشتراكية العالمية في مواجهتها مع البرجوازية العالمية، البرجوازية الامبريالية، ومن اجل تأكيد وتثبيت استقلالها الوطني.

ومن هنا لم يعد صحيحا ان البرجوازية ينبغي في كل الظروف ان تظل داخل الرأسمالية العالمية، وان تظل في كل الظروف معادية الى النهاية للاشتراكية.

الفكرة المحورية هنا هي ان الاشتراكية اضحت كفيلة بان تطيل من حياة البرجوازية في البلدان النامية، ولذلك كانت لها مصلحة في ان تتعاون، في ظروف معينة، مع قوى الاشتراكية العالمية، وان الراسمالية العالمية والبرجوازية الامبريالية اضحتا تشكلان الخطر المباشر، اكثر مما يتمثل هذا الخطر في الاشتراكية والشيوعية.

وكانت ممارسات عبد الناصر في ذلك الوقت تنسجم مع هذا التحليل، وتوحي بصحة هذه النظرية. فلقد رفض الاحلاف مع الاستعمار رفض الأنتماء الى أحلاف موجهة ضد الاتحاد السوفييتي وضد المعسكر الشيوعي. واعتبر تحقيق الاستقلال،



طالب ابتدائي

واستثمار كل فرصة متاحة على الساحة الدولية لتثبيت الاستقلال، مهمة تسبق في الاهمية محاربة الشيوعية، على النحو الذي اراده قادة النظام الرأسمالي العالمي.

بهذا المعنى، نسب فؤاد مرسي الى عبد الناصر صفة تمثيل «البرجوازية من نوع جديد». وبديهي ان هذا القائد «لبرجوازية من نوع جديد» كان يتعين على الشيوعيين تأييده رغم عدائه للشيوعية، ورغم عدم اعترافه بهذا التأييد. وكان ذلك من مفارقات الموقف: ضرورة التقدم بتأييد سلطة من المسلم به أنها تناصبك العداء!..

وشكل ذلك في حد ذاته معضلة، ذلك ان عبد الناصر كان قائدا وطنيا يلهب حماس الجماهير ويدفعها الى الحركة، ولكنه ايضا كان شديد الحرص على نظام «التنظيم السياسي الواحد»، ولايعترف باحزاب تقدمية اخرى، ويرفض مبدأ التعددية الحزبية تماما. والتالي كانت هناك مشكلة تتعلق بالديمقراطية.

مشكلة الديمقراطية

وكان لابد ان تتداعى من ذلك قضية: ماذا تعني الديمقراطية في اطار مثل هذه الانظمة الوطنية؟ انظمة تستبعد الديمقراطية القائمة على التعددية، لتحاشي قيام نظام ليبرالي يفسح المجال للقوى الرجعية كي تستثمر لصالحها الحريات المتاحة، ولكن يترتب على ذلك أيضا حرمان القوى التقدمية

واليسارية والشيوعية من فرص حشد الجماهير وتحريكها لتؤثر في مجريات الاحداث وتدفعها اماما.

ووجه الشيوعيون بضرورة «تأييد» سلطة عبد الناصر الممثلة لقوة تقدمية هي «البرجوازية من نوع جديد»، ولكن كانت هناك حقيقة ان «التأييد» لا يمكن ان يصل الى حد محو دور الشيوعيين، وإذ ابتهم داخل النظام، خاصة في ظل مناخ ما زال يتسم بالعداء للشيوعية، وبمواصلة الدولة ملاحقاتها للمنظمات الشيوعية.. فانه لم يكن هناك مفر من التحفظ في «التأييد». وحتى من «المعارضة» ولو لمجرد ان ايديولوجية البرجوازية حتى لو كانت «من نوع جديد»، لابد ان تختلف عن ايديولوجية الاشتراكيين.. ومن هنا استعين بالشعار الذي رفعه

الحزب الشيوعي الصيني وقتذاك: شعار «الوحدة والصراع معا».. ولكن.. الى أي حد تكون «الوحدة» والى اي حد «الصراع»؟.. لقد ظل تقدير ذلك موضوعا خلافيا في صفوف الشيوعيين.. وعجزت نظرية «البرجوازية من نوع جديد» ان تحدد له ضوابط لاتحتمل التأويل او الخلاف..

هذه مشاكل اعترضت طرح فؤاد مرسي وقتذاك. ولكنها لم تنل من المهمة التي سعى الى انجازها بطرح فكره، وهي ايجاد ارضية فكرية تبرر وتحث على التقارب والتوحيد بين المنظمات الشيوعية.. ذلك انه لم يعد ممكنا او متصوراً ان تظل هذه المنظمات متنابذة متصارعة فيما بينها في وقت سعت فيه جميعا الى ان تقترب من السلطة الوطنية القائمة، والى الوحدة الوطنية معها. لقد اصبح لزاما على الشيوعيين ان يتحدوا، وكان لفؤاد مرسي دور كبير في قيادة معركة التوحيد. كان فكره وقتذاك يعطي المبرر النظري لهذا التوحيد.. كان فكرا أراد به ان يوائم بين النظرية والتطبيق، بين التحليل ومحاولة استيعاب واقع جديد، ومن اجل التأثير على مجريات الاحداث، وليس مجرد تحليلها فقط.

ولا استطيع ان ازعم ان كافة فصائل الشيوعية المصرية قد تبنت بالكامل افكار فؤاد مرسي وقتذاك... وربما كان هناك ما يبرر التساؤل: هل من الممكن ان يعكس فكر معين



صورة الخطوبة

«الواقع» بصدق وهو يستهدف تحقيق استراتيجية سياسية معينة؟ وكان هذا السؤال موضع جدل فلسفي تجدد مرات عديدة بين الشيوعيين وخصومهم، خاصة في الغرب.. غير ان مثل هذا التسؤال لا اعتقد انه يجوز طرحه بين الشيوعيين انفسهم، ذلك ان المادية الجدلية تربط بين الفكر والعمل، بين التنظير والممارسة، وانه لامجال للقول بان فكرا معينا حكمته دواعي الممارسة، ذلك ان المفترض اصلا في المادية الجدلية ان الممارسة هي دائما مصدرصنع الافكار..

وأذكر بعد اعتقالنا في ١٩٥٩، والتقائنا جميعا في سجن الواحات الخارجة، ان جرى حوار مثير، بحضور المحبوسين الشيوعيين جميعا، بين فؤاد مرسي وزكي مراد «تشاء الاقدار ان تكون وفاة فؤاد مرسي صورة مكررة من حادث وفاة زكي مراد منذ ١١ عاما. فقد مات كلاهما في حادث سيارة في طريق مصر الاسكندرية». حوار تعلق في جوهره بفكرة فؤاد مرسي عن «البرجوازية من نوع جديد»، في ظرف بدا فيه ان هذه الفكرة تعرضت لامتحان عسير، ابرز معالمه اعتقال الشيوعيين بالجملة ابتداء من اول يناير ١٩٥٩، ومع ذلك فلا مجال لانكار انه لم يكن في الساحة، فيما بين ١٩٥٧ و ١٩٥٩، فكر متكامل كفيل بمناهضة فكر فؤاد مرسي في صفوف الشيوعيين المصريين، وتقديم بديل عنه.

«رأسمالية الدولة الاحتكارية»..
و «المجموعة الاشتراكية».. على رأس السلطة

لقد برزت نظريات مخالفة لفكر فؤاد مرسي في الفترة اللاحقة،عندما اعتقل الشيوعيون لسنوات عديدة مع مطلع الستينات، فلقد حدث تطرف في اتجاهين متضادين. برزت نظرية قالت بان عبد الناصر يمثل سلطة «رأسمالية الدولة الاحتكارية»، بمعنى أنه بتصديه لثورة العراق، وبمعاداته للشيوعية، قد ارتد لمواقع موغلة في الرجعية.. وبرزت في المقابل نظرية حملت الشيوعيين مسئولية اعتقالهم بسبب جمودهم ويساريتهم الطفولية، وذهبت الى ابعد من نظرية فؤاد مرسي بقولها ان هناك «مجموعة اشتراكية» على رأس السلطة يقودها عبد الناصر.

وهكذا مع دخول الشيوعيين السجن، ومع بروز ظروف ازالت عنهم القدرة على التأثير على «الواقع»، ظروف اصبح الوارد والممكن فيها فقط هو تفسير مايجرى، لا التأثير عليه.. في هذه الظروف تعرض فكر الشيوعيين لانفصام الى فكرين على طرفي النقيض: فكر يصف السلطة التي اعتقلت الشيوعيين بانها موغلة في الرجعية، وفكر يصفها على العكس بانها موغلة في التقدمية، الى حد انها قد حلت محل الشيوعيين انفسهم في التوجه نحو اقامة الاشتراكية.. وبين هذين الفكرين لم يكن هناك مكان للفكر الذي طرحه فؤاد مرسي في المرحلة السابقة.. ان الانفصال عن «الواقع» قد ترتب عليه انفصام الفكر الشيوعي ذاته، وتخليه عن «البنية النظرية» التي طرحها فؤاد مرسي، اساسا لبناء وحدتهم..

وبينما كان الشيوعيون في الواحات، بدأت تظهر نظرية سوفيتية تقول بان الدول النامية، بفضل قوة المعسكر الاشتراكي العالمي، بات متاحا امامها ان تنتهج طريقا الى الاشتراكية لايستدعي، كشرط سابق عليه، السير بالنمو الرأسمالي حتى نهاية المطاف.. لقد وصف هذا الطريق بانه «طريق لارأسمالي»، ولم يوصف بانه «طريق اشتراكي»، ذلك ان اجنحة من البرجوازية هي التي تنهض به وتقوده.. انها اجنحة - اذا ما توافرت شروط معينة - كفيلة بان تفرز قيادات تنفصل عن الرأسمالية كطبقة، وان تتجه الى الاشتراكية.. وذكر وقتذاك كأمثلة لهذه القيادات كاسترو في كوبا وبن بيلا في الجزائر. واعتقد ان عبد الناصر خليق بان يكون مثلهما..

ولم تنجح تجربة «الطريق غير الرأسمالي الى الاشتراكية»- عمليا- الا في كوبا.. وفي مصر، وقعت هزيمة ١٩٦٧ التي نالت من توجهات عبد الناصر «الاشتراكية» في الصميم.. وجاء بعده السادات.. وفي اعقاب حرب اكتوبر نادى «بالانفتاح الاقتصادي» الذي عبر عن تطلعات نوعية من البرجوازية المصرية لم يكن واردا على اي نحو وصفها بانها «من نوع جديد».

وواصل فؤاد مرسي جولاته الفكرية في المراحل التي اعقبت سنوات السجن.. كان لفؤاد مرسي اجتهادات من اجل تفسير وتأصيل

وتطوير وحدة القوى التي اصبحت تتخذ آفاقا اشتراكية، على اختلاف اصولها، والتي شكلت اساسا لالتقاء هذه القوى في اطار تنظيمي واحد في السنوات الاخيرة من حكم عبد الناصر، وتحت قيادته.. ثم كانت هناك اجتهاداته في محاولة تفسير الردة في السبعينات.. وايضا اجتهاداته إزاء ماجرى من تحولات على صعيد كوني أوسع ابتداء من منتصف الثمانينات.. لفؤاد مرسي جهوده الفكرية المتجددة كمفكر من ابرز مفكري العالم الثالث في الاقتصاد.. وجهوده التي لم تتراخ في صياغة وتطوير خط حزب التجمع.. ومن الممكن ان يكون هذا كله مجالا خصبا لدراسات وتعقيبات عديدة.. ولكننا اردنا التركيز في هذه العجالة فقط على مرحلة واحدة- بالغة الثراء - من جهوده الفكرية اتيحت لي فرصة متابعتها عن كثب، واعتقد ان احدا لن يخالفني في انها سوف تترك بصمة باقية على حركة الاشتراكية المصرية..

الفخ الذي لم يقع فيه

فريدة النقاش

مدرس جامعة

ورحل عنا «الدكتور فؤاد مرسي» في حادث موجع، وكأنما يوغل القدر في السخرية منا وهو يوجه لنا الضربات القاسية ويؤلمنا دون رحمة.

رحل فارس آخر من فرسان العلم «الماركسي اللينيني» ومناضل شجاع تحت رايته وفي مقدمة الصفوف، مناضل حافظ على هذه الراية بثبات حين ألقى بها الكثيرون أرضا.

وبرحيله يكون جيله من مؤسسي الحركة الشيوعية الوسطى في مصر، قد فقد أحد أبرز المقاتلين، وواحدا من أبرز رجال هذه الكتيبة من المحبين الشجعان، الذين لم يتوقفوا عن النضال رغم كل ماتعرضوا له من آلام على الصعيدين الشخص والعام.

قدرلي أن أقترب منه في آخر أيامه لأعرف عمق انشغاله بالبحث عن مخرج من الأزمة التي يواجهها اليسار المصري بكل تشكيلاته وقواه، خاصة بعد الانهيارات المتوالية والتقلبات العنيفة في العالم الاشتراكي. كان مدركا رغم خلافات تفصيلية هنا وهناك - أنه لا حركة ثورية حقا بدون نظرية ثورية، وأن حزب اليسار الواسع- حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي- الذي وهبه بعض أغنى سنين عمره، لن يتقدم وينجز المهمة التي طالما حلم بها وخطط لها، أي بناء «الجبهة الوطنية الديمقراطية المصرية» كأداة للتغيير، دون انعطاف حقيقي وجدي نحو الجماهير الكادحة، أي غالبية الشعب المصري من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين..

وطالما تعرض انعطافه الشخصي والوجداني هذا للكادحين الى الانتقادات، خاصة حين كانت تبرز اجتهاداته اللامعة نظريا في هذا السياق، وهي انتقادات كانت مراوغتها تؤذي وجدانه الحي، خاصة حين إتهم بأنه بدلا من أن ينعطف بتقريره ومشاعره نحو الجماهير قد إنعطف يسارا!!

إن الخبرة الحقيقية لحياة هذا المفكر الجسور، والمناضل الشجاع، تتمثل أولا في المزاوجة بين العلم والنضال. فقد ظل حتى آخر لحظة أستاذ اقتصاد بارع، يتابع ويضيف الى آخر ماوصل اليه هذا العلم الذي يشهد جديدا كل يوم..

لكن علمه الغزير هذا تحول الى سلاح بتار في ساحة الصراع الطبقي، ولم يجر صاحبه أبدا الى فخ الحياد باسم العلم، والذي سقط فيه الكثيرون منتقلين من موقع طبقي لآخر فظل هو وفيا للطبقة العاملة والكادحين ومنحازا لهم، لا فحسب انحيازا انسانيا ووجدانيا، وإنما أيضا علميا إذ أن المعرفة العالية والنزيهة التي تملكها خير تملك، لم تقدم له أبدا ولا برهانا واحدا على فساد الماركسية كعلم وفلسفة لتغيير العالم، وكان لذلك مطمئنا تمام الاطمئنان الى أن مسعى حياته هو رغم كل شيئ.. رغم الصعوبات والاخفاقات.. كان دائما في اتجاه التاريخ لا ضده.

وتتمثل خبرة حياته ثانيا في يقينه الثابت الذي رضى عنه كل الرضى، بأن الاختيار السياسي التقدمي هو أيضا نمط



حياة، ومجموعة من المثل والقيم والممارسات، وأشكال السلوك التفصيلية في الحياة اليومية. وأنه اذا مانشأت فجوة بين هذا الاختيار الشعبي التقدمي ونمط الحياة وأشكال السلوك والممارسات، فلابد أن يرتبك الفكر ويتحلل وتهتز أسسه، ويفقد بالانتقال الاجتماعي جذوته وقدرته على الالهام ولابد أن تتميع الممارسة وتنحل في كلمات بلامعنى أو حماله أوجه.

لذا لم ينغمس «فؤاد مرسي» أبدا في تكوين ثروة، وكان يستطيع ذلك ببساطة لو أراد. ولم يسمح لأي طموحات للانتقال الاجتماعي أن تشغله عن نضاله النظري والعملي.. فكانت ثروته وظلت، حتى آخر لحظة في حياته، أسرة صغيرة متماسكة محبة متفهمة، وعلما غزيرا يربي أجيالا من الاقتصاديين والمناضلين، وولاء للشعب بلاحدود.

وكان بأسلوب عيشه البسيط قريبا الى الشعب يستمع الى نبضه الحقيقي فتؤلمه الآهات وتلهمه اجابات فذة على الأسئلة الصعبة فيضع المهمات للحزب وعينه وقلبه مشدودان دائما وأبدا الى حياة الشعب الكادح، ومستوى معيشته ودرجه وعيه وتنظيمه

وقد كان من حسن حظي ومن بواعث حرقتي الآن، أن اقتربت منه كثيرا في الأيام الأخيرة، وعرفت كم أنه ماركسي حقيقي، وتابعت انشغاله المضني باستخلاص اجابات عن الأسئلة الجديدة التي طرحتها الحياة على الاشتراكية اجابات تبث الثقة والأمل في مستقبل الاشتراكية، وترد لها العافية في قلوب المناضلين، دون أن تستخف بعقولهم أو تخاصم العلم، وهي المهمة التي غادرنا متعجلا دون أن يتمها ليكون علينا نحن التلاميذ المخلصين لأستاذهم أن ينجزوها، تماما مثلما كان يتمنى هو. وأن تكون لوعتنا لفراقه طاقة عمل لبناء الحزب والانعطاف به نحو الجماهير.

وفي كل خطوه على الطريق سوف يكون «فؤاد مرسي» معنا، يحمل عملنا أنفاسه وبصماته التي لن تنمحي علاماتها أبدا، لامن قلوبنا ولا من عقولنا. اذ نجتهد- كما علمنا- أن نكون جديرين بالراية التي نحملها.. وسنظل نحملها.. راية الفكر الاشتراكي العلمي..

ولن نقول وداعا اذ سيبقى كل انجاز «الدكتور فؤاد مرسي» حيا وملهما جيلا بعد جيل لا للاشتراكيين فقط وانما للوطن كله....

الأردن... تعادى أمريكا والغرب
القوميون والشيوعيون والأخوان المسلمون
ضد الوجود الأجنبي

سليمان قبيلات

منذ الثاني من أغسطس والشارع الاردني في حركة دائمة وقلقة. وعلى الرغم من الحذر الأولي الذي قوبل به «دخول» الجيش العراقي للكويت الا انه سرعان ماساد الوضوح في الموقف الشعبي بعد ذلك، فقد سادت أجواء انبعاث للمقولات القومية. والوحدة العربية، بل لقد تبنت بعض الاحزاب فكرة طرح وحدة اندماجية فورية بين الاردن والعراق، باعتبار أن مثل هذه الوحدة اصبحت مطلبا شعبيا وضرورة لمواجهة متطلبات المرحلة التي تمر بها المنطقة ولاخراج العراق من العزلة التي وضع بها، وكذلك لاستقطاب تأييد مزيد من الجماهير العربية التي لديها حاجة وحنين قوي للوحدة مستعدة في سبيلها ان تسقط اي تحفظات وحجج، ويضيف أصحاب هذا الرأي ان وحدة مثل هذه ستشكل احراجا للأنظمة العربية التي قامت بارسال قوات الى الخليج.

وقد طرح هذا الاقتراح على ممثلي الاحزاب والقوى السياسية التي عقدت اجتماعا للتداول حول احداث الخليج في بداية الاحداث، الا ان هذا الاقتراح قوبل بالتحفظ من جانب ممثلي بعض الاحزاب ويستند ذلك الى سببين:

الاول: ان دخول الاردن في وحدة اندماجية كهذه وبمثل الظروف الحالية سيقدم لاسرائيل تبريرا لأي عدوان تنوي القيام به تجاه الاردن، خاصة في ضوء تهديدات قادة الدولة الصهيونية بسبب علاقة الاردن المتميزة مع العراق، وقد بدأت هذه التهديدات في الفترة السابقة لاحداث الخليج وموقف الاردن منها.

الثاني: وهو أن قيام وحدة اندماجية فورية مسألة لايجوز طرحها بمثل هذه السرعة والانفعالية كما ان دخول الاردن في هذه الوحدة سيدفع الولايات المتحدة الامريكية واعوانها الى شمول الاردن بقرار المقاطعة والحصار الاقتصادي مما سيزيد من عبء المواجهة ويلغي دور الاردن السياسي والاقتصادي.

ومن الظواهر الملفتة التي برزت، ذلك الالتقاء الذي حدث- ربما لأول مرة- بين التيارين المتنافسين دوما على كسب ود الشارع الاردني، انهما التيار الديني والتيار القومي، فمنذ بداية الاحداث دعا كلا من ممثلي هذين التيارين الى وحدة الموقف وتقديم الدعم والسند للشعب العراقي، والى ضرورة المواجهة والتصدي للوجود الاجنبي وتحرك كل تيار منطلقا الى جماهيره معبئا لها من اجل تناسي أي خلاف او تناقض، باعتبار ان القضية المطروحة الان تدفع الجميع الى ضرورة الالتقاء والوحدة لمواجهة ليس الاخطار التي تواجه الشعب العراقي الشقيق فحسب بل ايضا للتصدي لاي عدوان او خطر يتعرض له الاردن ولمنع الضغوط التي تمارس الان على القيادة الاردنية من أن تؤثر او تمس بالتجربة الديمقراطية.

لقد عكست الاجواء الديمقراطية السائدة نفسها على سلوك ومواقف الشعب الاردني، فلا يوجد مدينة في الاردن، لم تخرج بمظاهرة او مسيرة معربة عن تأييدها لشعب العراق، ولخطواته وللمبادرات التي اطلقها الرئيس العراقي صدام حسين واعتزازها ومساندتها للموقف الاردني الرسمي، ولمواقف الدول التي عارضت الوجود الاجنبي في الخليج، وبالمقابل كان هناك تنديد شديد بانظمة الدول الخليجية وسخرية من سيادتها وشرعيتها المستمدة من وجود القوات الاجنبية، وايضا ساد الشارع الاردني استنكار واستياء شديدان من انظمة الدول التي ارسلت قواتها تغطية للقوات الامريكية في الخليج كسوريا ومصر والمغرب ولم يفت الجماهير الاردنية مقارنة هذه الازمة بازمة السويس عام ١٩٥٦، مستذكرة موقف الزعيم التاريخي جمال عبد الناصر، هاتفة لمجد مصر ولشعب مصر العربي.

ويمكن التأكيد على ان مظاهر العداء لامريكا والوجود الغربي تجلى لدى فئات المجتمع الاردني، فحتى الاصدقاء التقليديون للولايات المتحدة الامريكية والغرب لم يستطيعوا ان يجدوا حجة او تبريرا بل ان جمعية الصداقة الاردنية الامريكية التي تأسست بمبادرة من شخصيات في مواقع رسمية او محسوبة عليها لم يجد هؤلاء امامهم في وسط محيط غاضب وحاقد على السياسة الامريكية، الا ان يعلنوا عن حلها لفشل الجمعية في تحقيق اهدافها وايجاد صداقة متوازنة مع الشعب الامريكي بسبب سياسة حكومته المعادية للشعب العربي وآماله. كما جاء في اعلانهم.

ومن جهة اخرى، فقد تم تشكيل لجان في كل مدينة باسم اللجان الشعبية للتصدي للعدوان الاميركي ونصرة الشعب العراقي. وفتح مراكز لتسجيل المتطوعين في الجيش الشعبي للدفاع عن العراق، وقد شهدت هذه المراكز اقبالا ملحوظا حيث زاد عدد المتطوعين عن (٨٠) الف متطوع.

وتشكلت لجان اخرى باسم لجان التعبئة والطوارئ، غايتها التعبئة الوطنية بكل اشكالها للدفاع عن الاردن حيث تم تنظيم دورات تدريب جيش شعبي ودورات في الاسعافات الاولية والوقاية من الاشعاعات كانت تتم بالتعاون بين الاجهزة الرسمية كالقيادة العامة والدفاع المدني وبين التنظيمات الشعبية كالاتحاد النسائي والنقابات والجمعيات والاندية.

ومنذ الايام الاولى للأزمة برزت مشكلة معقدة ذات ابعاد تتمثل في الاعداد الهائلة من الوافدين من مختلف الجنسيات الذين عبروا الاردن قادمين من العراق والكويت ليعودوا الى اوطانهم.

وتقدر الاحصائيات الرسمية عدد الذين

عبروا الحدود بما يزيد عن خمسمائة الف فدان، واحتاجوا للمساعدة والايواء والرعاية والطعام وتقديم الخدمات الصحية والارشادية وعلى الرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التي يمر بها الأردن الا انه تم تقديم ما تحتاجه هذه الاعداد الهائلة من التجمعات البشرية من خدمات بكل السبل المتاحة، وباقصى الامكانات وقد تداعت المؤسسات الشعبية والنقابات والاندية الى ايواء اعداد غفيرة من هؤلاء الوافدين وكذلك الحال بالنسبة للمنظمات الانسانية والخيرية الدولية.

لقد اتاحت احداث الخليج للمجتمع الاردني التخلص من بعض الهنات والثغرات التي كانت سائدة ويمكن ذكر مثالين لهذا الامر:

أولا: الوحدة الوطنية: فقد ساد المجتمع الاردني في فترة سابقة شيء من الوهن في ترابطه، حيث كانت هناك نغمة اقليمية وطائفية تم تغذيتها من جهات غير راضية عن التجربة الديمقراطية وراغبة في تدميرها وافشالها لما كشفته هذه التجربة من فساد وخراب ساد اوساط المجتمع والنظام السياسي والاداري، جعلها تفقد مكاسب كانت حاصلة عليها في المرحلة السابقة تلك التي سادت بها الاحكام العرفية والمحاكم العسكرية والكبت ولقد استفادت هذه الاوساط من حساسية كانت موجودة في السابق لم تعالج بموضوعية وعلمية من قبل الجهات المعنية.

لكن الامر اختلف منذ بداية احداث الخليج حيث أختفى اي مظهر لتفرقة او طيش وساد جو حميم بين افراد المجتمع وتحققت الوحدة الوطنية بشكل عملي وملفت للأنظار، خاصة لممثلي الصحافة الاجنبية، الذين راحوا يتساءلون عن سر ذلك- وبعضهم يسال عن خبث ونوايا مفرضة كما كشف عن ذلك باكثر من حادثه- وهذه الوحدة كانت مجال فخر واعتزاز كونها تتحقق في اصعب الظروف، الامر الذي حدا بالملك الحسين أن يقول في لقائه الصحفي مع ممثلي الصحافة المالية في ٢٢/٨/ ١٩٩٠ ان الاردن لم يكن موحدا واكثر وضوحا كما هو عليه اليوم

ومن مظاهر الوحدة ايضا التنسيق الواضح في تنظيم المهرجانات والمسيرات بين مختلف التيارات والقوى سواء أكانت دينية أو قومية أو يسارية.

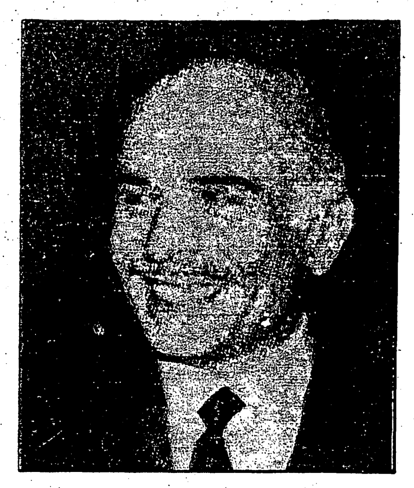
فالقوى القومية واليسارية نظمت مهرجانات ومسيرات كبيرة ومعبرة وناجحة في أكثر من موقع، مثل مهرجان ومسيرة التصدي التي نظمها التجمع العربي القومي الديمقراطي الاردني- تجمع احزاب وقوى يسارية وقومية وشخصيات وطنية- حيث جرت هذه المسيرة بتاريخ ١٢/٨/ ١٩٩٠ في مدينة المفرق القريبة من الحدود العراقية، وقد جابت هذه الحشود الجماهيرية الضخمة التي زادت عن (٥٠) الف شخص، جاءوا من جميع المدن والقرى الاردنية والمخيمات الفلسطينية في الاردن، ارجاء مدينة المفرق وانطلقت الى مقبرة الشهداء العراقيين الذين سقطوا على الارض الاردنية اثناء التصدي للعدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧.

ومن جهة اخرى قام التجمع بتنظيم مؤتمر للقوى الشعبية العربية في عمان في الفترة ١٥-١٧ ايلول ١٩٩٠ بهدف حشد وتعبئة القوى الشعبية العربية لمواجهة الهجمة الامبريالية الاميركية الصهيونية التي ابتدأت باحتلال الغزاة للجزيرة العربية ومياه الخليج.

اما القوى الدينية كالاخوان المسلمين وحزب التحرير الاسلامي فقد نظمت هي الاخرى مهرجانات ضخمة كانت تنطلق من الجوامع او يتم تنظيمها في الساحات العامة كالمهرجان الذي نظمته جماعة الاخوان المسلمين يوم الجمعة ٣١/٨/ ١٩٩٠ في منطقة المحطة في عمان حيث يقدر عدد الحضور بـ (٥٠) الف شخص، وفي هذه المهرجانات الدينية يلاحظ اختلاف صيغة الخطاب فيها عما كان مستخدما سابقا فنجدها تدعو الى تجاوز الخلافات والتعدد في الرأي مهما كان ليجعل التناقض الرئيسي هو فقط مع العدو الاميركي والصهيوني، والدعوة لتعزيز الجبهة الداخلية وتأييد العراق والتنديد بحكام الخليج واعمالهم الفاسدة ونجد هذا أيضا في خطب الجمعة في الجوامع التي أخذت هذا المنحى المتقدم.

ثانيا: الانماط الاستهلاكية: لقد كان من اثار الحقبة النفطية التي سادت حتى منتصف الثمانينات ان خلفت في المجتمع الاردني عادات وقيما استهلاكية اضرت وافسدت نمو وتطور المجتمع بشكل طبيعي فقد سادت الفهلوة والاستعراضية في الانفاق وعقلية الربح السريع.

غير انه مع احداث الخليج برزت مفاهيم وقيم جديدة تدعو الى ترشيد الاستهلاك والانفاق ودخل المجتمع الاردني مرحلة تدريب عملي للتخلص من الانماط الاستهلاكية الضارة ولعل ابرز تلك الخطوات كان قرار الحكومة بتوزيع السلع التموينية المدعومة كالسكر والرز والحليب بواسطة البطاقة التموينية وذلك منذ بداية شهر ايلول وجرى تقبل هذا الامر وماتبعه من خطوات بهدوء ويسر لاشك ان لاحداث الخليج فضلا فيه.


الملك حسين

ويمكن اختتام موضوعنا بالحديث عن الموقف الاردني الرسمي الذي لاشك ان له دورا هاماً في ان يعبر الشارع الاردني عن رايه بوضوح واندفاع خاصة انه قوبل بالارتياح والدعم من قبل الجميع وقد يكون الموقف من هذه الاحداث هو من المواقف المعدودة التي اتفق والتقى بها الموقفان الرسمي والشعبي. فمن خلال التصريحات الرسمية المتعددة والمؤتمرات الصحفية التي عقدت للمسؤولين الرسميين لم يكن خافيا تأييدهم وموقفهم الايجابي تجاه العراق ويمكن تلخيصه في النقاط الثلاث التالية:

- رفض استقدام القوات الاجنبية الى المنطقة.
- الابقاء على الازمة في محيطها العربي وحلها في هذا المحيط فقط.
- رفض استخدام القوة لحل المشاكل بين الدول العربية.

وقد كانت هذه النقاط هي محور التحركات التي قام بها المسؤولون الرسميون على الصعيدين الخارجي والداخلي.

ومن جهة اخرى كان لمجلس النواب الاردني نشاط واضح منذ بداية الاحداث، فقد جمد البحث في المواضيع المدرجة على جدول اعماله لدورته الاستثنائية لبحث سبل مواجهة المخاطر المترتبة على الاردن والمنطقة من جراء التدخل الاجنبي وشكل لجانا خاصة بمتطلبات هذه المرحلة الخطرة وقامت وفود من النواب بزيارة العديد من الدول العربية والاسلامية لحثها على تقديم كل دعم ومساندة للوقوف في وجه العدوان الاميركي.

وتبقى عمان نابضة وحساسة تجاه مايحدث في الخليج غير عابئة بالتهديد والوعيد.

رسالة حيفا

آخر الفضائح في جهاز المخابرات الإسرائيلية الخارجية
الموساد

نظير مجلى

* فى الوقت الذى انشغل فيه عالمنا العربى حتى العظم بأزمة الخليج، انفجرت فى اسرئيل قنبلة اعلامية بقدرة القنبلة النووية، تتمثل فى الكتاب الذى اصدره احد عملاء الموساد السابقين، فكتور استروفسكى وما احتواه من فضائح مذهلة.

لم تتمكن هذه الفضيحة، ورغم هولها، من اختراق غيوم ازمة الخليج الكثيفة فى عالمنا العربى. وبالكاد وجدت لها مكانا بين عناوين الصفحات الاولى من الصحف. وذلك ليس لان اسرائيل اصبحت دولة شقيقة. ولا لكونها باتت فى خندق واحد ضد «العدو العراقى» فحسب، انما لان الاعلام العربى، والزاحف على بلاط السلاطين بوجه خاص، أصبح متخصصا. فأزمة الخليج هى كل شئ.

اما فى الغرب، بما فيه تلك الدول التى ارسلت الى الخليج الالوف من جنودها، فقد احتلت فضيحة الموساد عناوين الصحف وكل وسائل الاعلام داحرة الى الدرجة الثانية قضية الخليج واخطارها. ذلك لان الموساد جهاز ضخم يحتل المكانة الثالثة فى العالم بعد الـ«سى. آى. ايه» الامريكية والـ«كا. جى. بيه» السوفييتية. وما جاء فى كتاب استروفسكى يضعضع هذه المكانة ويظهر الموساد، اذا ما صح ماجاء فى الكتاب، جهازا مفسودا.. يلعب بأرواح الناس، بمن فى ذلك اقرب المقربين من الاصدقاء والحلفاء (الامريكيين مثلا..) ويطيح بالحكومات ايضا (حكومة رابين الاسرائيلية عام ١٩٧٧ وحكومة ايندى التشيلية عام ١٩٧٣م) .. وتنتعش وتزدهر فيه الموبقات الجنسية وغيرها.. وليس خاضعا لأية مراقبة جدية لا دولية ولا حتى من الحكومة أو البرلمان فى اسرائيل. وهو أمر فريد فى عالمنا.

** الكتاب وصاحبه

فكتور استروفسكى هو مواطن اسرائيلى سابق عمره ٤١ عاما. فى اسرائيل يحاولون اظهاره انسانا مهووسا وكاذبا وضعيف النفس وفاشلا، وكل هذه الأوصاف نعت بها فقط بعد صدور كتابه فى موطنه الجديد، كندا لكنه يحمل ماضيا عسكريا غنيا، بفضله يمكن اظهاره بطلا اسرائيليا.

كان والده ضابطا مرموقا فى الجيش الاسرائيلى عام ١٩٤٨. وتسلم قيادة مطار تل ابيب، تزوج من فتاة كندية وسافر معها الى وطنها لكنه عاد فى العام ١٩٦٢. عندما بلغ فكتور استروفسكى الـ ١٨ تجند فى الجيش الاسرائيلى وارتقى فى سلم القيادة ليتسلم رتبة رائد. سافر الى كندا فى ١٩٧١ ثم عاد فى ١٩٧٧ لينضم الى سلاح البحرية ويبقى فيه حتى ١٩٨١. وبعد سنه تم تجنيده فى «الموساد»، مؤسسة المخابرات الخارجية الاسرائيلية (هناك مؤسستا مخابرات أخريتان فى اسرائيل: الاستخبارات العسكرية والمخابرات الداخلية المعروفة باسم «شين-بيت» او «شباك» وهو الاختصار العبرى لكلمات «الخدمات الامنية العامة») وقد أمضى استروفسكى مدة ٣ سنوات وخمسة أشهر فى خدمة المخابرات. وكما قال: «دخلت اليه لافتناعى بأننى أشب الى القمة الاسرائيلية. ولكننى وجدت نفسى فى سدوم وعامورة (وهما البلدتان العبريتان اللتان حسبما جاء فى التوراة، أمر الله بتدميرهما لفساد أهلهما. وقد جعلهما النبى موسى تحذيرا لبنى اسرائيل. ن.م.).

اما الكتاب فيقع فى ٣٣٦ صفحة من القطع الكبير كتبه استروفسكى بالاشتراك مع

البقية صفحة ٥٩

** النقاش فى الموساد حول المصلحة فى قتل او عدم قتل ياسر عرفات، حسم فى النهاية بانتصار قوى اليمين فوضعوا اسمه على قائمة التصفيات.

** الموساد قتل العالم الفيزيائى المصرى الذى لعب دورا مركزيا فى بناء الفرن الذرى فى العراق، وذلك قبل تفجير هذا الفرن عام ١٩٨١.

** طاولة قائد سلاح الجو السورى صنعت فى تل ابيب.. لكن اجهزة التصنت التى زرعت فيها لم تعمل.

** الموساد جهاز لاتطوله المراقبة. قام بتزوير توقيع شمعون بيرس، عندما كان رئيسا للحكومة، من اجل تمرير صفقة بيع ٢٠ طائرة سكايهوك لاندونيسيا وقام باسقاط حكومة رابين

** حتى الامريكيون لم يسلموا من خدع الموساد والجنود المارينز الذين جاءوا الى لبنان لانقاذ اسرائيل من وحل احتلالها راحوا ضحية لانفجار كان بالامكان تفاديه ومنع وقوعه.

** من بين عملاء الموساد: الرئيس اللبنانى الاسبق، بشير الجميل (كان يقبض مرتبا شهريا) والمليونير السعودى، عدنان خاشقجى (لم يقبض مرتبا لكنه أخذ قروضا بالملايين).

١١ من رموز اليسار المصرى
يتحدثون فى ندوة عن:

رؤية اليسار
لموقع الأصوليين الاسلاميين على الخريطة الطبقية والسياسية

سجل الحوار وأعدة للنشر: حازم منير



د. رفعت السعيد

د. رفعت السعيد

• الجماعات ترفض الديمقراطية باعتبارها بدعة غربية

• جماعات الاسلام السياسي.. هي الخصم الاساسي لحركة الاستنارة في مصر.

• نحن معارضون للحكم وللجماعات الاسلامية معاً.

توسيع قواعد السلفية في المجتمع المصري، سواء من ناحية الشكل (الحجاب والجلابية) أو من ناحية المضمون. ثم تأتي لعامل حاسم في نمو هذه الجماعات، واعني سياسة الانفتاح الاقتصادي. ففي حوالي عام ١٩٧٧ كان الانفتاح قد بدأ يؤتي ثماره الحقيقية، ويحدث تحولات واسعة في المجتمع المصري.. فالاغنياء يزدادون غنى، والفقراء يزدادون فقرا. وعملية اكتساب الثروة الى حد بعيد عشوائية. وهذا يدفع الاتجاهات غير العقلانية في المجتمع للنمو.

وقد استمرت هذه السياسات خلال الثمانينيات، مع اضافة لعبة جديدة. لعبة اليمين واليسار. فالحكم يراقب الطرفين ويحرص ان يكونا في وضع متكافئ قريب من الأرض. بحيث اذا مارفع اليسار رأسه قليلا أقتطفه، واذا علا السلفيون ترلاهم بالقطف.

ويبدو لي أن اليمين استطاع التعايش مع هذه السياسة لأسباب عديدة. خاصة وان هذه السياسة في جوهرها تشجع السلفية. فالدولة تشجع السلفية في التعليم، سواء في المقررات ومن خلال سيطرة السلفيين الى حد كبير على جهاز وزارة التعليم. والدولة تدعم السلفية من خلال الاعلام والسيطرة على جهاز الاعلام، خاصة التليفزيون.

د. رفعت السعيد

لدى عدد من الملاحظات.

أولا : أنا مختلف مع تسمية «جماعات الأصوليين الاسلاميين». فهي تسمية تعني العودة الى الأصل. والأصل هو إسلام صحيح. أي أننا نرد هذه الجماعات الى صحيح الاسلام. وهكذا نقع في شرك إستشراقي. وإعتقادي أن التطرف الديني، ليس جرعة زائدة من الايمان و ليس عودة الى أصول الايمان، ولكنه حالة وموقف سياسي واجتماعي، يتعين النظر اليه منفصلا عن عملية الايمان ذاتها، والاكان اكثر الناس ايمانا في العالم هم اللبنانيون الذين يذبحون بعضهم على الهوية الدينية. فهذا كله يدخل في باب الاسلام السياسي، وليس الأصولية الاسلامية.

ثانيا: الظاهرة أبعد بكثير مما حدده الدكتور فوزي منصور. فالاسلاميون لعبوا دورا أساسيا في التاريخ المصري الحديث، والنضال السياسي المصري الحديث... الأزهر وشيوخه، جمال الدين الافغاني. رفاعة الطهطاوي، محمد عبده، رشيد رضا.. كلهم لم يمروا عبثا على الوجدان المصري والتكوين العقلي المصري.

كذلك تتميز مصر بميزه أساسية، وهي وجود نظامين متكاملين للتعليم، يبدأ من الحضانة وحتى الجامعة. تعليم ديني يبدأ من تحفيظ القرآن وحتى الجامعة الأزهرية وتعليم مدني أو عصري من الحضانة حتى الجامعات المختلفة إذن المثقفون المصريون ينقسمون الى اتجاهين، فئة مدنية أو عصرية، وفئة دينية... وكلاهما وعاء متكامل حضاري وإجتماعي قيمي.

ثالثا: لم تكن هزيمة ١٩٦٧ بداية لهذه الجماعات. بل الانتصار كان البداية، والتاريخ خير شاهد «جماعة القطبيين» نشأت في ظل زهو إنتصارات عبد الناصر. أحس «الاخوان المسلمين» بالعزلة، وأنهم قلة، وان الجماهير تتجاوزهم. وبدأ «سيد قطب» ينشأ جماعة سياسية سرية متعصبة تقوم على اساس رفض الجموع، رفض الجماهير، وعدم الاعتداد بكثرتها. وهكذا وضع الاساس لفكرتين.. الاستقواء في صمت، أي الانتقال من النزعة السنية الى النزعة الشيعية التي تأخذ بالتقية في الاسلام، أي حق المسلم في قتل المسلم، وحق المسلم أن يكذب، اذا كان في ذلك مصلحة. وهو ما أخذ به «حسن البنا» حينما أسس الجهاز السري للأخوان.. والفكرة الثانية هي الاستعلاء بالايمان، أي أننا الأفضل لأننا أقرب الى الله.. وبالتالي لايعتد بالكثرة وعدد الجماهير المؤيدين.

اذن التطرف لم يبدأ مع هزيمة يونية ٦٧ وانما مع انتصار يوليو، من ٥٩ الى ٦٤ نشأت «جماعة القطبيين» وخرجت من معطفها «الشكريين» أي جماعة التكفير والهجرة، وامتدت السلسلة الى عديد من التنظيمات الأخرى. واستقوت هذه الجماعات بالطبع مع هزيمة يونيه ٦٧، وهو ماعجز عنه اليسار لسببين، الاول انه كان في موقع التأييد والتعاطف مع عبد الناصر، ومن ثم لم يتخذ الهزيمة سلما لتحقيق انتصارات، والثاني أن الحزب الشيوعي كان غائبا، فقد حل نفسه قبل ذلك.

واشتداد عود الجماعات الاسلامية بعد هزيمة يونيو طبيعي، وتقليدي، فعندما تكون الرأسمالية مهزومة (في ظل الناصرية)، وتأتي الناصرية وتتلقى هزيمة يونية ٦٧، فالطبيعي أن تبحث الجماهير عن طريق ثالث، وهو هنا «الاسلام».. وهو ماحدث من قبل عام ١٩٢٨ حينما هزمت الرأسمالية العالمية في ظل أزمتها، وكانت الاشتراكية غير واردة او مطروحة في مصر. طرح «حسن البنا» الطريق الاسلامي. ويزداد الخطر اليوم في ظل هزيمة مجتمعات أوربا الشرقية (الاشتراكية)

ومايتعرض له الاتحاد السوفييتي، ووجود نظام رأسمالي بالغ الرداءة في مصر، ان يكون الطريق الثالث هو المرشح الى حين.

وانتقل بعد هذه الملاحظات الثلاث التمهيدية لأشير لعامل هام شجع نمو «جماعات الاسلام السياسي المتطرفة» وأعني به الثورة الخمينية، التي حققت تحولا جزريا في عقلية الجماهير الاسلامية والعربية ازاء عملية الثورة. بل إن عديدا من القوى السياسية المحسوبة على الليبرالية والعلمانية، وربما حتى اليسارية، اتجهت الى طريق الدين بحثا عن الجماهير.

في المقابل هناك إنحسار للتيار الاسلامي المتطرف في المرحلة الحالية، بسبب هزيمة ايران في الحرب، وتداعيات الوضع في أفغانستان، وانكشاف قادة «المجاهدين» كتجار مخدرات وعملاء للمخابرات المركزية، وكذلك الحرب بين أمل وحزب الله التي أعطت صورة قاتمة لهذا التيار. وأهم من هذا كله تصادم الجماعات المتطرفة في مصر مع مشاعر المصريين وحقوقهم وأفراحهم البسيطة. فالجماعات تقول لك، غير مسموح في ظل المجتمع الذي تدعو اليه بالفرح، والاحتفال بالأعياد أو بشم النسيم. أيضا مأساة شركات توظيف الأموال الاسلامية وأثرها السلبي على هذه الجماعات.

ومع ذلك فالانحسار أقل من المتوقع بكثير. فهناك جزء من اليسار يحجم عن القيام بدوره في مواجهة هذا التيار، ويتخذ موقفا مترددا من هذا الخطر التي يهدد الوطن ومؤسساته المدنية. وهناك ضعف اليسار عامة وسط الجماهير. وهناك ثالثا الممارسات الحكومية سواء في التعليم أو الاعلام والتي تدعم قوة ونفوذ تيار الجماعات السياسية الاسلامية المتطرفة.

عبد الغفار شكر

رغم اتفاقي مع الملاحظات التي أبداها «د. فوزي منصور» و «د. رفعت السعيد» حول الأسباب المباشرة لانبعاث ظاهرة الجماعات السلفية... فهناك بعد أشار اليه «د. رفعت السعيد» في جملة خاطفة، اراه بالغ الأهمية لفهم هذه الظاهرة... ويتعلق بحقيقة أن هذه الجماعات موجودة تعبيرا عن تيار فكري وسياسي حقيقي وهو جزء من نسيج المجتمع المصري، تيار موروث وليس مستجدا أو طارئا، مثل الفكر القومي أو الفكر الاشتراكي. وقد ظلت مصر حتى بداية القرن جزءا من العالم الاسلامي. والفكر المصري كان يدور في اطار الفكر الاسلامي. والحزب الوطني «العرابي» والحزب الوطني (مصطفى كامل) ظهرا في اطار هذا الفكر والتوجه الاسلامي.

وحاول المشروع الليبرالي اضعاف هذا التيار وتجاوز انتماء مصر للعالم الاسلامي، وتحويلها الى دولة وطنية لها هويتها المحددة. ولكن الرأسمالية المصرية التي حملت هذا المشروع في محاولتها التقدم بالمجتمع المصري، أصيب مشروعها بالفشل. وتعثر بعد ذلك المشروع القومي التقدمي لثورة ٢٣ يوليو. وظلت الحركة الماركسية محدودة الأثر. ولعل هذه الظواهر الثلاث هي الأسباب الرئيسية لاستمرار هذا التيار حتى الآن، كتيار اساسي.

والجماعات السلفية هي تعبير عنه. تختفي بالقمع، وليس من خلال النضال السياسي ولا التقدم الاقتصادي والاجتماعي، ومن ثم فهو إختفاء مؤقت.

وقد حرصت على إبراز هذا البعد، لكي ندرك أن هذه الجماعات لن تختفي من مصر سريعا. واذا تزايد القمع فتراجعها سيكون مؤقتا، وستبعث من جديد، الى أن يبرز البديل الموضوعي، وينجح في تحقيق تقدم ملموس في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، الجذر الحقيقي للتطور، وبالتالي التأثير على مجمل الفكر القائم، ومن هنا تبدأ المواجهة الحقيقية.

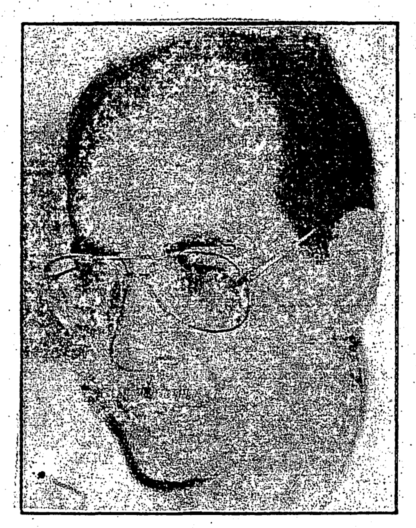
باختصار، فمالم يحدث تطور في اتجاه الديمقراطية، ومالم يستأنف المشروع القومي التقدمي قوته وقدرته على الانجاز، ومالم تصبح الحركة الماركسية حركة جماهيرية حقيقية.. هناك شك كبير في امكانية تراجع دور هذه الجماعات ونهايته.

عبد العظيم أنيس

عندي ملاحظة أساسية بالنسبة لما طرحه د. فوزي منصور فانا، أوافق عليه على اساس انه وصف لتيار جماعة «الاخوان المسلمون» أساسا. ولكن هناك تيارات وظواهر أخرى غير الاخوان في حاجة الى تفسير

إضافة الى ماقاله د. فوزي وكذلك د. رفعت السعيد. فهناك ضمن تيارات الاسلام السياسي، تيارات قامت ضد نظام الحكم في السعودية، وحاولت إحتلال الحرم المكي (جهيمان العتيبي)، وهي حركة اسلام سياسي موجهة ضد السلطة في السعودية، وتحتاج الى تفسير.

كذلك فقد حدثت انشقاقات على الاخوان المسلمين، وعندما وجد بعض شبابهم أن



عبد الغفار شكر

موقف جماعات الاسلام السياسي ليس أبديا..

عبد الغفار شكر

ثلاثة أسباب لاستمرار تيار الجماعات الاسلامية:
• فشل المشروع الرأسمالي
• تعثر المشروع القومي التقدمي
— محدودية تأثير الحركة الماركسية.



د. فوزى منصور

- الأنظمة النفطية تمول الجماعات السلفية.
- الدولة تشجع السلفية من خلال المدارس وأجهزة الاعلام.
- لايمكن التحالف مع من لايقبل فى الممارسة مبدأ تداول السلطة

الاحظ ان المناقشة تتجه الى التركيز على من نسمهم بالجماعات المتطرفه.. نقطة ثانية فقد ذكر الزملاء كل الأسباب التى أدت الى ظهور هذه الظاهرة وساكتفى ببعض الملاحظات.

* دار حوار بين د. فوزى ورفعت حول الهزيمة والانتصار، وإيهما السبب فى نمو جماعات الأصوليين أعتقد أن كليهما ساعد على نمو هذه الظاهرة وهو ماتشير اليه الاحداث فى الفترة من ٦٧ الى ٧٦. بعد النكسة اصبح لدى الناس احساس بالحاجة الى مساءلة السلطة ماذا حدث وحدود مسئولية السلطة، لم تعد هيبة السلطة كما كانت فى الماضى أصبحت الحركة الجماهيرية على درجة من التحفز.. أيضا الاستعداد لطرد الاحتلال الاسرائيلى واعادة بناء الجيش فرض التقشف وبطء التنمية وارتفاع الاسعار وظهور السوق السوداء وكلها عوامل أثارت رجل الشارع...

الانفتاح بعد انتصار ١٩٧٣ نقل حركة الجماهير الى مستوى آخر فى اتجاه المقاومة التى أخذت تتسم بطابع العنف التلقائى بشكل مستمر فاذا أضفنا الى ذلك كل العوامل التى ذكرها الزملاء يمكننا القول أننا بصدد حركة جماهيرية ذات تأثيرات معينة.. وفى غياب اليسار ظهرت جماعات تأخذ الفكر الاسلامى الأصولى كاطار فى محاولة لطرح بديل لماهو قائم ومن هنا تبلورت هذه الظاهرة.

وأضيف اننا لانستطيع أن نضع كل الجماعات التى يضمها التيار الاسلامى الواسع فى سلة واحدة فهى غير متجانسة بعضها يلتزم عدم العنف، بعضها ينحو الى الانزواء والانسحاب من المجتمع ، بعضها اقتحامى ومن المهم التفرقة بين هذه الجماعات.

* قال د. عبد العظيم أنيس، بأنه على امتداد الحركة الوطنية منذ منتصف القرن ١٩ سنجد الاسلام جزاء لايتجزأ من الحركة الوطنية نفسها وملاحظتى أنه فى المراحل السابقة كانت الحركة الاسلامية تعبر عن نفسها مع غيرها من الاتجاهات الوطنية فالطرح الاسلامى فى مضمونه كان معاديا للاستعمار ويمكن ان يحمل مضمونا اجتماعيا تقدميا. اختلف الواقع ابتداء من الثلاثينات

فنشأ الاخوان المسلمون تحت مظله السراى وأحزاب الاقلية وبقية القصة معروفة.

محمود أمين العالم

ابدأ بتأكيد ماقاله أبو سيف، الأصولية كلمة علمية صحيحه هى العودة لاصول قديمة، وهناك أصولية ماركسية وأخرى مسيحية. الحركة الوهابية مثلا أصولية تقوم على اساس واحد هو «لا اله الا الله» وهناك تفرقة بين الحركات الاصولية ومدرسة محمد عبده والطهطاوى كمجددين.

واريد ان انبه الى أن كلمه السلفية تختلف من بلد الآخر، فى المغرب تعنى حركة متقدمة جددت فى الفكر ووقفت ضد الاستعمار الفرنسي، نحن نحتاج لأن نستقر فيما يتعلق بالمصطلحات.

أخشى من الاختلاف فى توصيف قضية الحركة الاسلامية، احيانا نراها سياسة وأحيانا تنظر للاداء والادوات السياسة وهذا يسقطنا فى اخطاء كثيرة، أنا أقرب الى التشخيص الذى قدمه عبد الغفار شكر وبدون الاطالة أرى ان الحركة الاسلامية استمرار لتراث عظيم فى تاريخ الأمة الاسلامية فى ثوراتها ضد السلطة والدعوة للخير والعدالة و التقدم انها جزء من التراث متواصل فى ضميرنا ووعينا، دون تثبيت للماضى فى الحاضر او رد الحاضر للماضى لايجب أن ننظر الى هذه الحركة كشئ خارجى لكنها حركة لها جذورها التاريخية.

ولايجب أن نراها سياسية فقط ولكن ايضا ذات بعد اجتماعى وهى نتيجة لفشل حركة التحديث الاجتماعى فى مصر وعدم حسم الثورة البورجوازية المصرية. الاقطاع لم يصفى، الراسمالية لم تنشأ نشأة حقيقية بل ركيكة وتابعة منذ البداية.

لهذا ترسخت التوفيقية فى فكرنا وحياتنا، كما ان هذه التبعية تفقدنا الهوية القومية ، الحركة الدينية تسعى لتحديدها وابرازها للهوية الاسلامية العربية ولانستطيع أن نتغافل عن انها حركة جهادية اجتماعية ضد الصهيونية والأمبريالية خاضت معركة فلسطين وتشارك فى النضال فى الضفة الغربية ضد الاحتلال الاسرائيلى وهى ضد الفساد، ضد اللا اخلاقية اريد أقول ان انها تحمل نسقا معنويا واخلاقيا وقيميا مرتبطا بالتراث ولها بعض الشعارات الاجتماعية. ومايعطى لها قيمة اجتماعية استشراء التخلف والتبعية مع كل احترامنا للتجربة الناصرية، الا انها واجهت بعنف ادارى وسياسى الحركة الدينية، ولم تواجهها من الناحية الايديولوجية، ارادت أن تسحب الأرضية من تحتها بتقديم مزيد من الجرعة الدينية الا انها بهذا قوت عمليا التيارات الدينية وانعشتها، حاولت ان تسحب البساط الدينى منها بالمزايدة بالدين. لاشك ان التغيير فى البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى مرحلة عبد الناصر أضعفت الحركة الدينية اكثر مما أضعفها الموقف المعادى منها، على أن الذى قواها هو هزيمة المشروع الناصرى وبرزت وانتشرت وتحققت مع هزيمته العسكرية ثم بشكل أعمق مع المرحلة الساداتية الجديدة، فى السادات هو الذى سلحهم و دعمهم ولكنهم خرجوا عليه ليس فقط لانهم كبروا، وانما لان الجذر الاجتماعى والقيمى عندهم فرض عليهم الوقوف ضده بسبب سياسته فى فلسطين. انهم جهاديا ضد الصهاينة والاستعمار. نعم هم ضد اليهود اساسا ولكن هذا يتضمن عمليا موقفا ضد الصهيونية. على ان هذه الحركة الاسلامية رغم جهاديتها تفتقد الرؤية الاجتماعية الصحيحة والنهج النضالى الصحيح بل هى بمنهجها ومفاهيمها اللاعقلانية تحرف النضال الاجتماعى والوطنى وتغيب الوعى الثورى.

ولهذا فهى رغم اختلافها سياسيا مع السلطة، وفى بعض الجوانب الايديولوجية انما طبقيا تعد حليفا موضوعيا للسلطة القائمة. ولكن هذا لاينبغى أن يدفعنا الى رفضها ومعاداتها بشكل مطلق، وخاصة اذا مانظرنا اليها من ناحية قواعدها الاجتماعية الشعبية وجذورها التاريخية.

وهناك خطورة فى تبسيط الامور بالنسبة للذين فليس كل ملحد هو تقدمي وليس كل مؤمن رجعى هذا كلام سخيف. اعظم انتاج علمى فى تاريخ الفكر العربى الاسلامى انتجه «الصفوريين أصحاب الاتجاه الصوفى» التبسيط يشكل خطورة فى حسن تفهمنا للواقع الاجتماعى

ولا اعنى بكل ماقلته ان الحركة الاسلامية حركة نضالية ثورية ستنجز الثورة الاجتماعية ابدا.. بل هم خطر عليها لأنهم يحرفونها عن أعدائها الحقيقيين... حقا انهم يحاربون اليهود، ولكن أى سلطة يدعون الى اقامتها بعد التحرير من الاحتلال الصهيونى وهم يحاربون الفساد والتبعية ولكن اى سلطة سيقيمونها بعد ذلك. اى حلول اجتماعية يحققونها اى تعليم أى تنمية اقتصادية اى بنية سياسية. إن برنامجهم الجهادى الذى يروجونه لايقدم حلولا جذرية لمشاكلنا ولذلك اصفهم بأنهم جهاديون وليسوا ثوريين،



صلاح عيسى

اليسار لايختلف حول تشخيص ظروف بعث ظاهرة جماعات الاسلام السياسى ولكن الخلاف حول الموقف اليسارى الصحيح منها.



عبد الغفار شكر

• الجماعات الاسلامية تعبر عن تيار فكرى وسياسى عميق فى نسيج المجتمع المصرى.

• الاخوان المسلمون.. تعبير واضح عن الرأسمالية الكبيرة.. والجماعات الاسلامية تعبير بورجوازى صغير ووعى زائف.

• حركة الجماعات ذات طابع فاشى يصادر الرأي الآخر..

اليسارى المشترك منها، بشكل عام فى تشخيص هذه الظروف التى ظهرت فيها هذه الجماعات على خريطة السياسة المصرية الآن. لكن نحن مختلفون فى توصيف وضعها الراهن وفى توصيف الموقف كما يبدو من الحوار الذى دار بين الاستاذ العالم والدكتور رفعت.

محمود أمين العالم

المنهج الصحيح لمواجهتنا لهؤلاء الناس وفهمنا لهم لايبدأ بأن ننظر الى ما تطرحه وما تقوله المؤسسة ولكن على أن أبدأ بالجذر الاجتماعى التاريخى فادراكنا لهذا الجذر التاريخى هو الذى يحدد موقفنا منهم وهو الذى يحدد طريقة معاملتنا لهم ينبغى أن نفهم طبيعتهم كظاهرة إجتماعية تاريخية ونحدد مسئوليتنا منهم وعلى هذا الأساس قلت إنهم بهذا المعنى قوة جهادية لاتحمل برنامجا موضوعيا ولاعقلانى وفعلاً تسىء إلى حركة التاريخ. بدون هذا الفهم ولو اقتصرنا على التعامل معهم كمؤسسة سياسية فلن نرى أى إمكانية داخل الحركات لتعديلات معينة أوحوار ما. فى عام ١٩٥١ كنا نحمل السلاح مع الاخوان المسلمين جنبا لجنب فى قناة السويس

«حماس» سواء كانت ضد اليهود أو الصهيونية على أن أرى الحركة الموضوعية، وكيف أعدل الأمر فى اتجاه مسارى لايجب أن نرى القضية من خلال المؤسسات العلوية فقط.

ومن الواضح أن الأمريكان لهم يد فيها والنفط له يد فيها، والحكومات العربية والحكومة المصرية لهم أياد داخلها.. كل هذا حقيقى ولكن هناك ظاهرة إجتماعية وتاريخية لابد ان أراها لكى احدد دورى. الاكتفاء بالرؤية للمؤسسة العليا خطر وتبسيط لايجعلنا نعرف طبيعة عملنا التاريخى أيضاً.

حلمى شعراوى

فى تفسير أصول الحركة الاسلامية فى مصر سأركز على التفسير الثقافى الاجتماعى.

وكما هو متفق فالسبعينات كانت فترة الازدهار السياسى لهذه الجماعات. وهناك تفسيرات متنوعة لهذه الظاهرة من أهمها ان الجماهير المصرية فى منتصف السبعينات وبعد سياسة الانفتاح وصدمة انهيار المشروع الوطنى، أصبحت تعانى أزمة المهاجر والمهجور. فقد هاجر كثير من المصريين لبلاد النفط للعمل وواجهوا هجر نظامهم السياسى والاجتماعى لهم وتركهم فى الشارع الخليجى القاسى الذى لاينتج ويفرز الا القهر.

والهجرة الأخرى هى الهجرة من الريف الى المدينة بهذا الحجم الكبير ثم هجرهم من قبل القوى السياسية التى كان عليها أن تقودهم ككادحين وأعنى «اليسار». انشغل اليسار بلعبة الديمقراطية والمنابر ولم يلتفت الى دوره القيادى بالنسبة لهذه الأعداد الكبيرة. على عكس ايران مثلا مع تجربة الخومينية، عندما هاجر ثلاثة او أربعة ملايين من الريفيين التعساء فكانواهم قاعدة الخومينية فى المساجد وغيرها. حيث مولت «البازار» عملية الوصول اليهم بالكاسيتات والنشر... الخ

هذا المشهد نفسه تكرر عندنا فى السبعينات ولم يهتم اليسار بالوصول اليهم. وهؤلاء شكلوا القاعدة الاساسية لانتشار الحركة الاسلامية التى استفادت من رغبة هؤلاء ففى المظاهرات الاقتصادية التى جاءت مع الانفتاح ورغبة كبيرة أيضا فى نفى السلطة التى لاتقدم أى مشروع لحل مشاكلهم.

من هنا كانت البداية لصعود الحركة الاسلامية وهى حركة سياسية اجتماعية ذات



طابع اسلامى لجأت الى تعبئه هؤلاء لتحقيق نسق اقتصادى اجتماعى ونفى نظام الحكم. لقد لجأ الفقراء للتراث الدينى للشعب لمواجهة حالة البؤس التى بدأت تظهر مع الانفتاح. ولكن البداية بالنسبة لهذه الجماعات، اختلفت عن نهايتها فقد تحولت عمليا الى نوع من الاطار الراسمالى. واعتمدت فى انتشارها على البرجوازية الصغيرة، وهى لاتملك مشروعا مستقلا بل تدخل حلفا مع الرأسمالية التابعة وهنا لابد من رصد عودة «الاخوان المسلمون» من الخليج والسعودية بأوضاع وتفكير يصب فى هذه الرأسمالية الجديدة.

وهكذا تحولت من التدين فى البداية الى استثمار من نوع خاص ولجأت بعض شركاتهم لسحب ١٦ مليار دولار من جهد هذا الشعب وايداعهم فى الخارج.. من عالم الكفر والنفاق وكأننا اكثر كفراً من بنوك نيويورك ومشروعهم فى مصر يتراوح بين الهامبورجر والسوزوكى.

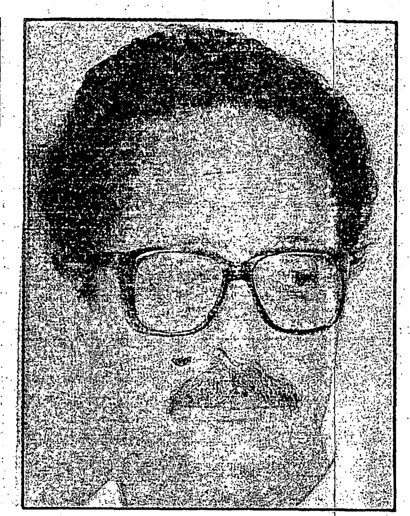
وهو فى النهاية أى- التيار الاسلامى- يلتقى مع الطبقة الحاكمة نفسها. ولايوجد خلاف بين المشروع الاسلامى الراهن ومشروع الحكومة ولاشك إن اتفاقهم، قادهم وسيقودهم الى التحالف مع الحكم.

عبد الغفار شكر

فهمت مما تفضل به الاستاذ محمود العالم، أن جماعات الاسلام السياسى هى ظاهرة اجتماعية سياسية معقدة الجوانب من الخطأ التعامل معها فقط. من خلال دورها السياسى.

فهناك أيضا جوانب إيجابية يجب النظر اليها اذا كنا متفهمين لواجبنا ومسئولياتنا فيما يتعلق بمواجهة هذه الظاهرة وبهذا المعنى أنا متفق مع الاستاذ العالم فى أن الدور السياسى لهذه الجماعات ليس العامل الوحيد فيها ولاينبغى أن يكون العامل الوحيد فى تعاملنا معها فمنطق الادانة وحده لايكفى لنلحق بها الهزيمة.

التسمية الصحيحة لهذه الجماعات..
– الأصوليون
الاسلاميون؟
– السلفيون
– الاسلام السياسى



حلمى شعراوى

لايوجد خلاف بين المشروع الاسلامى الراهن ومشروع الحكومة

حلمى شعراوى

• لجأ الفقراء للتراث الدينى الشعبى لمواجهة بؤس الانفتاح

• الجماعات الاسلامية تحولت من التدين الى استثمار رأسمالى من نوع خاص

لما يسمى البلاد النامية أو العالم الثالث.

فالرأسمالية يمكن أن تتباين مواقفها أيضا وفقا للوضع العام وعلى اساس هذه المعوقات أعود للنظر من قرب للجماعات الدينية. واتفق مع ملاحظة هامة جدا قالها الاستاذ عبد الغفار شكر ان قواعد هذه الجماعات اساسا من البرجوازية الصغيرة ذات الاصول الريفية التى انتقلت الى المدن، وفى هذه الحدود التعريف ليس جامعا مانعا فالحرفيون مثلا ليسوا من الريف يمكن القاعدة العامة من البورجوازية الصغيرة ذات الاصول الريفية من الموظفين فى شركات القطاع العام وفى شركات القطاع الخاص أو فى جهاز الدولة للمواطنين الصغار الاسهل عرضه هؤلاء. قبلوا الفكر الاشتراكى اذا كانت الطبقة العاملة قوية. اما فى حالة ضعفها فسيجدون مخارج كثيرة متعددة ومنها الحل الدينى لكنهم لحد كبير فريسة أكثر منهم جناه. فريسة القيادات. لكن هذا لايصح أن يجعلنا نغفل عن كل الاعتبارات. تحدث الاستاذ العالم والاستاذ فريد عن الامكانيات الكامنة فى الدين وهذا صحيح، وبوجه خاص فى بلدان قريبة فكريا وحضاريا. كل الأديان تحتوى على إمكانيات ايجابية ضخمه والاماكان لها كل هذا التأثير على الانسان على مدى هذه العصور الطويلة ولكى تتحول الامكانيات الايجابية الكامنة الى إمكانيات ايجابية متحركة، لابد أن يتعرض التراث القديم لثورة دينية. هذا الذى ينقضا بالرغم من جهود رفاعة الطهطاوى والأفغانى وكل هؤلاء الأسلاف العظام. فى حقيقة الأمر لم تتعرض مجتماعتنا للثورة الدينية- ليه؟ لانها أيضا ليست مجرد مسألة فكرية بحته وانما أيضا مسألة مجتمعية مرتبطة بالتطور الاقتصادى والاجتماعى والفكرى وعلينا أن ننظر الى هذا التناقض المروع، على الأقل لكى نتأمله. أن الشعوب المتخلفة تتجه الى تفسير دينها تفسيرا متخلفا وجزء من تقدم الشعوب المتقدمة انها تخطت هذه المرحلة وفسرت تراثها الدينى تفسيرا متقدما.

كيف تحل هذه العقدة؟

هذا واجبنا المفروض أن يقوم به كل من يستطيع.

والمشكلة أن علماء الدين المفروض تصديهم لهذا الأمر أغلبهم شديد التخلف والحركات السلفية، الموجودة فى مصر أيضا شديدة التخلف- على عكس وضعها فى بلاد أخرى مثل المغرب وتونس و... الخ

إذن الامكانيات الموجودة فى القواعد تحتاج لثورة فكرية.

بالنسبة للقيادات فهى قيادات رأسمالية. ولكن لايسرى عليه حقيقة أن الرأسمالية فى البلدان النامية متغيرة بحيث يمكن أن تاخذ مواقف وطنية فى فترات معينة ويمكن أن تأخذ مواقف مع الاستعمار فى فترات أخرى.

هذه المرونة لاتنطبق على قيادات الجماعات السلفية لأنها مرتبطة بالاستعمار بالفعل. وأنا أميل لتقسيمها رأسيا حسب نوع النشاط. فلايوجد فى داخلها قطاع يساهم فى تحويل الاقتصاد للانتاج مثل البرجوازية بين الحربين ولكنها تتراوح بين توظيف الأموال الرأسمالية شديدة الرجعية معادية للاشتراكية والطبقة العاملة ومتحالفة مع الاستعمار.

وأنتقل الى قضية التحالفات، وأقوم بنوع من دراسة جدوى التحالف. السلطة القائمة ضد احتمالات التطرف الموجودة ماالذى ساكسبه هل ساكون مؤثرا فعالا فى هزيمتهم لو كنت كذلك لكنت كرنت نفسى إبتداء ولكن غاية ماهنالك أنى سأستهلك واستنفذ دون أن أؤثر على المعركة التى تسأل عنها السلطة. ولن أتحدث عن مشروعى والابعاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وسأكتفى بتوصيف سهل وسهولته تعطية ميزه أنه يمكن من القياس أننى لست مستعدا للتحالف ولو فى معركة جزئية معينة مع من لايقبل فى الممارسه وليس بالقول مبدأ تداول السلطة من لايقبل هذا المبدأ بكل مقوماته من حرية تعبير وتكوين أحزاب وحرية للعمل السياسى ... الخ

من يقبل بكل هذا أنا مستعد أن أسير معه حسب طبيعة المعركة الموجودة ومن يرفضه فى العمل فمامصلحتى أن أضع يدى فى يده بحجة مواجهة الخطر بينما هو فى الواقع المسبب الأول لمثل هذا الخطر؟!!

صلاح عيسى:

اعتقد أن الوقت تأخر بنا بحيث لانستطيع مناقشة المحورين الباقين فى الندوة، فى هذه الجلسة رغم أن بعض المداخلات الأخيرة قد تطرقت إلى بعض ما يدخل فى نطاق هذين المحورين. فإذا وافقتم اقتراح استكمالها فى جلسة قادمة، وأود أن أنوه إلى أن إدارتى للندوة. قد حالت بينى وبين المشاركة فى المناقشة، واحتفظ بحقى فى التنازل عن هذه الادارة فى الجلسة القادمة، لكى اتحدث فى الموضوع. وأكرر شكرى لكم باسم «اليسار».

بقية صفحة ٤٢

صحفي كندي معروف اسمه غليري هوي. طبع في كندا. وكان من الممكن. كما يؤكد رجال الاعلام الاسرائيليون- ان لا يلفت الكتاب نظر احد ويغمره الغبار فوق رفوف حوانيت الكتب. لولا ان الحكومة الاسرائيلية اثارت اهتمام العالم كله به. ويجمعون هنا على ان الخطوة الاسرائيلية كانت غبية وذات قصر نظر بائس يعود الى خطأ فاحش من المستشارين القضائيين لرئيس الحكومة ورئيس الموساد. وهناك من يطالب باقالة رئيس الحكومة جراء هذه الفضيحة.

وكانت الحكومة الاسرائيلية توجهت الى محكمة العدل العليا في العاصمة الكندية بدعوى منع اصدار الكتاب «لانه يتضمن قصصا واسماء من شأنها ان تهدد ارواح الناس بالخطر» واصدرت المحكمة قرارا احترازيا اجلت فيه البت في الموضوع حتى ١٧ أيلول. وفي هذه الاثناء رفع الناشرون الامريكيون للكتاب دعوى مضادة في نيويورك طالبوا فيها بالسماح بنشر الكتاب في المدينة. وهنا لم ينفع الاعتراض الاسرائيلي فصادقت المحكمة على نشر الكتاب وبيع منه في اليوم نفسه ١٧ الف نسخة وفي الموعد المقرر اصدرت المحكمة الكندية قرارا مشابها وخلال فترة الابحاث القضائية اغرقت وسائل الاعلام بالحديث عن الكتاب وصاحبه وردود الفعل الاسرائيلية التائهة.. وبالطبع، فان كل اقتباس من الكتاب تحول الى قصة قائمة بذاتها تثير النقاش وردود الفعل وتعيد الذكريات والحسابات والخ.

ومما لاشك فيه انه احتوى على حكايات مثيرة.

جهاز الموساد

يتحدث استروفسكي عن الموساد من خلال تجربته الشخصية من جهة ومما سمعه من رؤسائه خلال فترة التدريب والتعليم في الكلية التي استمرت ثلاث سنوات.

والموساد، يقول الكاتب، هو جهاز صغير نسبيا اذ لايضم اكثر من ١٢٠٠ ضابط وعامل، بمن في ذلك السكرتيرات وعمال النظافة. «المخابرات الامريكية على سبيل المثال، تضم ٢٥ الفا» ولكن ما يميز الموساد انه يعتمد على الوف العملاء والوكلاء اليهود سكان دول العالم المختلفة هؤلاء يعملون في الغالب تطوعا لكن الموساد تزودهم بالسلاح لحماية انفسهم كما يعتمد على الحوسبة الالكترونية في تنظيم اعماله ورصد اهدافه على سبيل المثال يضم الحاسوب مليونا ونصف المليون شخص في جميع انحاء العالم وخصوصا العرب، لكل منهم ملف حول شخصه وافكاره وتحركاته وصلاته وعلاقاته واعماله. فاذا ضغطت على زر وطلبت ملف «ياسر عرفات- ٣ ايام»، تظهر لك على شاشة الحاسوب قائمة تضم تحركات ياسر عرفات خلال الأيام الثلاثة الاخيرة.

يعمل الموساد خارج اية مراقبة في اسرائيل وعلى الرغم من ان رئيس الحكومة هو المسئول، رسميا عن الجهاز فانه لايملك صلاحية تفعيله. بل ان الموساد يعمل في احيان كثيرة بشكل احتكاري مطلق.. ولمصلحة رؤسائه وليس بالضرورة لمصلحة دولة اسرائيل.

رئيس الحكومة لايعرف، في احيان كثيرة، عن الفعاليات السرية الا بعد ان يتم تنفيذها اما الجمهور فلا يعرف عنها شيئا. ولا توجد اية لجنة مراقبة على الموساد ورجاله.

عندما كان شمعون بيرس رئيسا للحكومة امر الموساد بتقديم كل مايملك من معلومات حول هويه مختطفي رئيس فرقة المخابرات الامريكية في بيروت، وليم باكلي، ومكان وجوده الى الـ «سي. أي. ايه» ولكن رئيس الموساد في حينه، ناحوم ادموني، سخر من هذه الأوامر وسمع يقول: «هؤلاء الامريكيون المنتهكون... الا يريدوننا ان نسلمهم كل الرهائن المختطفين؟! انهم مجانين بدون شك.. لا. لن نأخذ تعليمات من الامريكيين نحن الموساد نحن الأفضل..

ولذلك اضطر شمعون بيرس الى تعيين مستشار خاص لشؤون الارهاب، لأن الشكوك تبادرت الى ذهنه حول عدم رغبة الموساد في مساعدة الامريكيين وكان المستشار عميرام نير. وخوله بالمسئولية عن العلاقات مع الامريكان (فيما بعد قتل نير جراء تحطم الطائرة التى اقلته فوق كولومبيا بتاريخ ٣٠/١١/١٩٨٨، اى بعد ايام من انتخابات الكنيست الاسرائيلي التى اقصت بيرس عن موقعه المركزى في صنع القرار في الحكومة الاسرائيلية. ن.م)

في فترة حكم شمعون بيرس ايضا قام الموساد ببيع عشرين طائرة «سكايهوك» الى اندونيسيا (وهي دولة اسلامية قادتها يتشددون في مهاجمة اسرائيل لفظيا..) وحسب انظمة الدولة، مثل هذه الصفقة تستوجب توقيع رئيس الحكومة. ولكن الموساد اراد الالتفاف على بيرس. فقام رؤساؤه بتزييف توقيع بيرس).

ولم يثق قادة الموساد بالوزير الشهير عيزر فايتسمان، حتى حين كان وزيرا للأمن. ويقول استروفسكي في كتابه: «في الفترة التي جرت فيها المحادثات بين اسرائيل ومصر حول الحكم الذاتي» ساد القلق في الموساد ازاء التطورات وخصوصا ازاء المكانة الشعبية التي بدأ يحتلها فايتسمان فالموساد لم يثق بالرجل. ورأى فيه مؤيدا للعرب. بل وهناك من آمن انه خائن عداؤهم له كان فظا. وعلى الرغم من انه كان وزيرا للدفاع لم يطلعوه على اية معلومات بالغة السرية».

ويذكر الكاتب ايضا ان الموساد هو الذي تسبب في الاطاحة بحكومة اسحاق رابين عام ١٩٧٧. ففي حينه قام احد ضباطه بتسريب معلومات عن وجود حساب بالدولارات لزوجة رابين في احد البنوك في الولايات المتحدة الامريكية ومثل هذا الامر كان في حينه مخالفا للقانون ولذلك اضطر رابين الى الاستقالة (بعد استقالة رابين اجريت انتخابات للكنيست. وخلال معركة الانتخابات هاجم الليكود رابين وحزب العمل على هذا الفساد. وعندما فاز الليكود بالحكم، كان اول قانون يسنه هو القانون الذي يجيز للمواطنين الاسرائيليين فتح حساب في البنوك الاجنبية. مما يدل على مدى المسخرة في تهمة رابين- ن.م).

** الفساد**

الحريات المطلقة التي يتمتع الموساد بها لا تقتصر على تجارة السلاح ونقل المعلومات واسقاط الحكومات، انما تنسحب على الممارسات المالية والاخلاقية في الموساد ففي عدة مواقع في الكتاب يتحدث استروفسكي عن البذخ في الصرف وشراء الوكلاء والمعلومات.

ثم يفرد فصلا للكشف عن الموبقات الاخلاقية التي تمارس في الجهاز ولنقرأ كيف يصف احد المشاهد التي يقول انه راها بعينيه في كلية التدريب التابعة للموساد والواقعة في شمالي تل ابيب، على شاطئ البحر مقابل هرتزليا والتي يحسب المواطنون انها منتجع صيفي لرئيس الحكومة

الكثير من رجال الموساد يعملون كل شيئ في سبيل اثارة اعجاب الصبايا بهم، ويستغلون عملهم في هذا، كلهم متزوجون وكلهم تقريبا يقيمون علاقات مع اخريات. المجندات للموساد أخذن حسب نسبة الجمال. ومعظمهن جميلات جدا. وقد جئن الى العمل جاهزات اذ فهمن ان الجمال جزء من الشغل، ومع هذا فلم يقم اى ضابط بمضاجعة سكرتيرته لان هذا يضر بالعمل. «يوجد اناس

يعملون بعيدا لمدة سنتين او ثلاث او اربع. الضابط المسؤول يحافظ فى غيابه على علاقات مع العائلة، خصوصا الزوجة، فى البداية يكون ذلك لقاءا اسبوعيا بهدف الاهتمام والطمأنة والأطمئنان ثم ينحرف باتجاه آخر وينتهى الى العلاقات الجنسية».

«عليك ان نفكر بهذا- يقول استروفسكى بامكانك ان تضع روحك بين يدى قائدك ولكن لاتضع زوجتك بين يديه فأنت تكون غائبا فى دولة عربية.. وهو هنا يحاول اغراء زوجتك».

ثم يروى الكاتب قصة مثيرة عن شكل آخر من الفساد يقول: «خلال دورة التدريب فى كلية الموساد فى مساء احد ايام الجمعة من شهر آب ١٩٨٤ ذهبت واصدقائى الى الغرفة رقم ٦ فى الطابق الثانى لاعداد الدروس ليوم الغد بعد الانتهاء من الدراسة ، فى حوالى منتصف الليل، تركنا الغرفة واتجهنا نحو السيارة.. فسمعنا ضجيجا صاخبا من جهة البركة. قررنا التوجه الى هناك بالسر. ثم عدنا الى الطابق الثانى ورحنا نتلصص على مايجرى تحت حول البركة.. التى تعتبر اكثر منطقة آمنة فى اسرائيل، لان لا احد يقدر الى الدخول اليها الا اعضاء الموساد. لقد كان هناك ٢٥ رجلا داخل البركة وحولها ومعهم مجموعة من الصبايا الفاتنات لم تكن هناك اية قطعة ملابس على جسد أى منهم جميعهم عرايا وكان بينهم نائب رئيس الموساد، الذى اصبح ولايزال الى اليوم رئيسا للموساد، وهو مارك هسنر، والعديد من السكرتيرات. امر لا يصدق فقسم منهم لعبوا داخل الماء قسم آخر كانوا يرقصون.. والباقون تمرغوا وتجامعوا فوق الحرامات على العشب الاخضر».

**** اعطينا للأمريكان- اكثر مما اعطونا بكثير****

كنا ذكرنا آنفا عن موقف الموساد من اعطاء معلومات للامريكان- حول زعيم السى. آى. اية وبيروت ولكن استروفسكى يروى قصة اخرى عن تعامل الموساد مع حلفائه الامريكيين تبدو اكثر اثارة من الاولى. وهاكم ما ورد فى الكتاب:

فى صيف ١٩٨٣ تلقت محطة الموساد فى بيروت معلومات من احد العملاء عن وجود سيارة شحن من نوع «مارسيدس» يقوم المسلمون الشيعة باعدادها كسيارة ماحقة. وقال العميل ان معدى الشاحنة يتركون فيها مكانا كبيرا شاغرا، مما يدل على انها اعدت لتوجيه ضربة ماحقة لهدف كبير جدا

عرفات

الموساد عرف ان هناك اهدافا محدودة تصلح لمثل هذه الضربة بينها منطقة التواجد الامريكى وكان السؤال: هل نخبر الامريكيين حتى يحتاطوا للامر. ام لا؟

مثل هذا القرار الهام كان اكبر من ان يتخذ فى محطة الموساد فى بيروت فتحول الى تل ابيب وهناك قرر رئيس الموساد ، ناحوم ادمونى، تحويل بلاغ تحذيرى عام ومفمغم بروح يمكن ان يفهم منه ان هناك من يخطط لضرب الامريكان ولكن هذا البلاغ كان عاما جدا وغير محدد كما لو انه يحتوى معلومات عن حالة الطقس وكان واضحا ان البلاغ لم يكن ممكنا ان يثير اية يقظة خاصة او يؤدى الى زيادة الاحتياطات الامنية. وعلى سبيل المثال فان اكثر من مئة بلاغ كهذا اعطيت للامريكان خلال الاشهر الستة من بعد تلك الحادثة. ولذلك فان بلاغا اضافيا بهذا المضمون لم يكن من الممكن ان يزيد فى الحذر.

وكان تفسير ادمونى لعدم اعطاء معلومات عينية للامريكان حول الشاحنة المفخخة بالقول:

«نحن لسنا موجودين هناك من اجل الدفاع عن الامريكيين. فامريكا دولة عظمى ارسلوا اليها بلاغا عاديا» ولكن فى الوقت نفسه وزع بلاغا واضحا وعينيا ثم تحذير كل المراقع الاسرائيلية فى لبنان بواشنطن عن الشاحنة، مع اوصاف دقيقة لها.

كما هو معروف وقع انفجار السيارة المفخخة فى الساعة ٢٠ر٦ من صباح ٢٣/١٠/١٩٨٣، وذلك عندما دخلت إلى البناء الأمنى فى المطار، والذى استخدم لقيادة اللواء الثامن لسلاح الاتزال الامريكى وقد انهار جراء الانفجار المبنى ذو الطوابق الاربعة وقتل ٢٤١ جنديا معظمهم كانوا نائمين وهو اكبر عدد من الخسائر التى وقعت فى يوم واحد- للامريكيين منذ ان قتل ٢٤٦ امريكيا فى فيتنام فى بداية هجوم «تات» فى كانون الثانى ١٩٦٨.

وبعد هذا بدقائق دهست سيارة شاحنة اخرى قيادة المظليين الفرنسيين فى دير حون، بعد ميلين من مكان وقوع الانفجار فى المبنى الامريكى جراء هذا الانفجار قتل ٥٨ جنديا.

وبعد ايام من ذلك قام الاسرائيليون باعطاء ال «سى. آى. ايه» اسماء ١٣ شخصا لهم علاقة، حسب البلاغ، مع انفجار الشاحنة وضمت اللائحة اسماء عملاء المخابرات السورية والايرانية فى دمشق والشيخ الشيعى محمد حسين فضل الله.

فى قيادة الموساد ساد الشعور بان القتلى ليسوا اسرائيليون ولذا فان المسألة عبارة عن «حادثة صغيرة» وان المشكلة تمحورت فى ان تسريب المعلومات كان من شأنه ان يودى بحياة الوكيل المبلغ وفى هذه الحالة نكون «نحن» الهدف فى الضربة القادمة على قائمة التصفيات.

والموقف العام من الامريكيين كان :

«ارادوا ان يحشروا انوفهم فى لبنان فليدفعوا الثمن ولكن بالنسبة لى كان رأى آخر تم توبيخى بسببه فقد قلت ان الجنود الامريكيين الذين قتلوا فى بيروت يجب ان يكونوا على سطح قلوبنا اكثر حتى من مصابينا لانهم جاءوا الى هنا ببراءة قلب وبهدف مساعدتنا على الخروج من الوحل الذى خلقناه لانفسنا. فقالوا لى «أطبق فمك هذا لايعنيك نحن نعطى الامريكيين اكثر بكثير مما يعطوننا» هكذا قالوا دائما ولكن هذا غير صحيح فالاسلحة والاجهزة الاسرائيلية امريكية والموساد نفسه مدين بالكثير جدا للامريكيين».

**** تزييف الدنانير الاردنية****

يكتب استروفسكى ان الموساد يملك مصنعا لانتاج جوازات السفر لجميع دول العالم . وهو قائم فى طابق تحت الارض فى الكلية.

فى هذا المصنع نفسه ،لكن من الجهة

الاخرى يوجد قسم لانتاج الدنانير الاردنية «بهذه الدنانير تصرف عملاء الموساد بنجاح فكانوا يجمعون الدنانير الحقيقية وينشرون بدلا منها دنانير مزيفة وذلك بغية اغراق الاردن بالمال وبذلك تأجيج التضخم المالي فيها.

** اول قاعدة للموساد في لبنان **

يذكر المؤلف في كتابه ان الرئيس اللبناني الاسبق بشير الجميل، لم يكن مجرد حليف لاسرائيل بل كان عميلا للموساد مباشرة وقبل ان ينتخب بشير جميل (الذي قتل فيما بعد جراء تفجير قصره- ن.م) كان يقبض مرتبا شهريا من الموساد مقابل خدماته بقيمة ٢٠-٣٠ الف دولار.

الجميل اتاح، في سنة ١٩٧٩، اقامة مركز مراقبة الكتروني اسرائيلي في جونيا (شمالي بيروت) فكان ذلك اول قاعدة عسكرية اسرائيلية في لبنان. وضمت ٣٠ جنديا من سلاح البحرية سميت القاعدة باسم- «هستوليت» (الغواصة) وقد وضعت في طابق ارضي من بناية قائمة على الحدود الفاصلة مابين بيروت الشرقية والغربية.

وفي بداية الثمانينات- قال استروفسكي- دفع الموساد المال لعدة عائلات لبنانية متخاصمة مقابل الحصول على المعلومات فدفع، بالاضافة الى عائلة جميل الى كل عائلتي وليد جنبلاط ونبيه بري

** النقاش حسم حول اغتيال عرفات **

دار في الموساد نقاش حام حول الفائدة من قتل ياسر عرفات، كتب استروفسكي في كتابه واضاف «اليمينيون في الموساد دفعوا باتجاه ضرورة قتله وكان ادعاؤهم على النحو التالي : اذا قتلنا عرفات فسيقوم الفلسطينيون باستبداله بشخصية قتالية اكثر لايكون مقبولا على الغرب ولا على اليسار الاسرائيلي وهكذا لا يكون مجال للتوصل الى حل سلمي للقضية والصدامات العنيفة ومن ثم فرض الاستسلام بلا شروط يكون الطريقة الوحيدة التي يحقق الموساد فيها رغبته في السلام.

اما الذين عارضوا قتل ياسر عرفات فقالوا: انه أفضل السيئين انسان مثقف وموحد للفلسطينيين فاذا وصلت المحادثات بأي شكل الى مرحلة عملية، فمن الممكن التفاهم معه.



في سنة ١٩٨٦ كان النقاش في الموضوع قد انتهى تقريبا وفاز به اليمين ولكن عرفات تحول منذ ذلك الحين الى شخصية اكثر جماهيرية ولم تكن لدى «الموساد» حجة يتوزع بها للامساك به ولكن هذا الهدف ليس بعيدا عن جدول أبحاث الموساد فعندما يصبح الامر ممكنا عمليا ، سيفعلون ذلك.

** طاولة اسرائيلية لمكتب شقيق الأسد **

في السفارة السورية في باريس يوجد ملحق عسكري من سلاح الجو وله مساعد. استروفسكي يقول ان الموظف المساعد لهذا الملحق كان عميلا للموساد وقد ارسل العميل بلاغا يقول فيه للموساد ان قائد سلاح الجو السوري سيصل الى اوروبا قريبا من اجل شراء أثاث فاخر لمكتبه الجديد. وفي الحال صدرت في الموساد أوامر ان يتم ضمان زرع اجهزة تنصت دقيقة في طاولة قائد سلاح الجوُ التي سيشتريها.

في مرحلة لاحقه عرف الموساد ان القائد العسكري السوري ينوي شراء اثاث مكتبه من بلجيكا وقد استدعى كل من لهم علاقة بامور الأثاث من عملاء الموساد ومساعدتهم وطلب اليهم التخطيط والاعداد لكيفية التنفيذ.

قامت فرقة الموساد بتقصي المعلومات عن تفاصيل زيارة القائد العسكري السوري ونزلت في الفندق الذي نزل فيه وسارت وراء من حانوت الى آخر لمدة ثلاثة ايام حتى استقر رأيه على المكان الذي اراده الموساد والطريقة التي اتبعت هي طبع كراس خاص عن الأثاث الفاخر الذي يرغب القائد العسكري به مع جدولة أسعار تبين انه أرخص من أي مكان آخر بألوف الدولارات ونجحت الخطة وفي اليوم الاخير تبين ان جميع افراد حاشية المسؤول الكبير ماعدا واحد سيغادرون الى باريس واتضح ان الوحيد الذي سيبقى هو مساعد قائد سلاح الجو السوري وذلك لكي يرتب كل تفاصيل الصفقة فتسلمه ضابط الموساد وانهى معه كل المعاملات وتركه ليعد في تل ابيب طاولة المسؤل السوري بعد زرع اجهزة التنصت بداخلها. وقد ارسلت الطاولة فيما بعد الى دمشق. لكن لسبب ما لم تعمل اجهزة التنصت ولم يسمعوا شيئا في اسرائيل من غرفة القائدالسوري. ولا يعرف السبب بعد. ويعتقد ان عطبا حصل في الاجهزة او ان المخابرات السورية كشفت امرها

** اسرائيل تبيع للسعودية» **

قامت الصناعات العسكرية الاسرائيلية بانتاج اوعية وقود للطائرات تتسع لاكبر مقدار من الوقود، مما يتيح لها البقاء في الجو مدة اطول وتم بيع مثل هذه الأوعية الخاصة الى الولايات المتحدة.

في مرحلة ما ، علمت السعودية، التي كانت تشتري هذه الاوعية نفسها عن طريق دولة ثانية باسعار كبيرة جدا، ان الامريكان يشترونها بسعر أرخص. فطلبت اليها ان يبيعوها لها. لكن اسرائيل تدخلت في هذه المرحلة وكذلك الجالية اليهودية الامريكية وقامتالقيامة.

وهكذا لم تحظ السعودية بأوعية الوقود الاسرائيلية الرخيصة وظلت تشتري تلك

الاوعية بأسعار مضاعفة بواسطة دولة ثالثة.

** عدنان خاشقجي.. عميل **

احد عملاء الموساد، الذين ساهموا في انجاح صفقات الاسلحة الامريكية الى ايران (والتي اشتهرت فيما بعد باسم «ايرانغيت» - ن. م.).، شعر ان الايرانيين قلقون ولا يثقون باسرائيل وكذلك الاسرائيليين. فقرر اللجوء الى طرف ثالث يدفع على حساب الصفقة الاولى. فوجد مناسبا للغرض، المليونير السعودي عدنان خاشقجي.

ويقول استروفسكي في كتابه ان خاشقجي تم تجنيده عميلا للموساد قبل صفقة «ارانغيت» ويضيف: الطائرة الخاصة التي يملكها تم تركيبها في اسرائيل. لم يقبض خاشقجي مرتبا من الموساد ولكنه استخدم أموال الموساد لاغراضه فأخذ قروضا عندما احتاج الى المال. واستخدمت شركاته لتكون قنوات لتمرير الكثير من اموال الموساد، ويضمنها ايضا اموال المليونير (الاسرائيلي) نسيم غاؤون.

** السعودي الذي لم يقع» **

في سبيل الموازنة كما يبدو، جلب استروفسكي مثالا عن سعودي آخر لم يقع في شباك الموساد، وهو موظف دبلوماسي.

يقول: تم تصوير الموظف السعودي وهو في السرير يضاجع داعرة وكانت الداعرة قد تلقت التعليمات بأن تضاجعه بشكل يجعل آلة التصوير تلتقط وجه الموظف السعودي وعضوه التناسلي. وفيما بعد قام ضابط الموساد بايجاد صلة معه وطرح امامه برهان إدانته بالمغامرة الجنسية وقد رمى الضابط الصور على الطاولة امام الموظف السعودي قائلا: من المؤكد انك سترغب الآن في التعاون معنا. ولكن بدلا من ان ينتفض الموظف فزعا، راح ينظر الى الصور بمتعة ثم قال: «صور رائعة اريد اثنتين من هذه وثلاثا من هذه». واضاف انه يود لو يستطيع الآن عرض الصور على اصدقائه.

.. وهكذا فشلت محاولة الموساد معه.

** ضرب الفرن الذري العراقي

«أوكل الى قائد «تسوميت»، دائرة التجنيد في الموساد، ان يتولى المهمة اسمه داڤيد بيرن رجل سمين وجهه دائري هندامه جميل.

ويعاونه رئيس محطة الموساد في باريس، واڤيد اريل، الذي كان القائد الفعلي للعملية،» هكذا يبدا استروفسكي رواية قصة ضرب الفرن الذري العراقي التي تمت في السابع من حزيران ١٩٨١. ويضيف:

بدأت العملية بتجميع المعلومات القيت المهمة على ضابط اسمه يهودا جيل، ذي ماض فاخر جدا في صفوف الموساد. وجيل هذا أمن طول الوقت بثلاثة عناصر اغراء يمكن بواسطتها اخذ المعلومات من الناس: المال، المشاعر، الجنس.

توجه يهودا الى المساعدين اليهود الفرنسيين الذين ابدوا كل الاستعداد لوضع المعلومات التي في حوزتهم تحت تصرف اسرائيل. احد هؤلاء اليهود واسمه جاك كان يعمل في الشركة الفرنسية التي باعت العراق الفرن الذري «اوسيراك». وقد استجاب للدعوة. فقدم لائحة باسماء علماء عراقيين لهم علاقة بالمشروع اختار الموساد من بين الاسماء واحدا اسمه بطرس ابن حليم، كان يعمل في مشروع نووي قرب باريس، في اطاره زود الفرنسيون العراق بأجزاء من الفرن الذي ارسل الى بغداد لتركيبه في منطقة قريبة، يهودا، الامين لمبادئه، قرر الايقاع بهذا بواسطة مصيدة جنسية.

وكيلة موساد جميلة تخفت بشخص بائعة عطور باسعار مغرية. وجدت لها صلة مع سميرة زوجة العالم العراقي. وفي وقت قصير وصلت الى سرير بطرس ابن حليم الموساد هدد هذا العالم بكشف قصة علاقاته الغرامية. ففزع. وبدأ في التعاون.

ابتزاز ابن حليم ادى الى الحصول على معلومة حيوية: فقد كشف عن وجود عالم

بيريز

فيزيائي مصري أسمه يحيى المشهور، ادى دورا مركزيا في المشروع العراقي الذري في البداية حاول يهودا ان يجنده. فعندما فشل قرر تصفيته. وهنا ايضا استخدم الجنس فقد ارسل الموساد للعالم المصري عاهرة فرنسية اسمها ماري كلود ميجال. وفي الوقت المناسب نفذت عملية القتل. وقد تم تمزيق حلق العالم المصري. ولكي تزال كل اثار للموساد قام عملاؤه بقتل العاهرة ايضا.

بعد ذلك، ومن خلال استغلال المعلومات المتوفرة، ادخل الموساد خمسة خبراء تفجير من احدى وحداته القتالية الى احدى الحاويات التي ضمت اجزاء من الفرن الذري المنوى ارسالها الى العراق. وقد وضعوا بين جنبات تلك القطع عدة عبوات ناسفة وخرجوا منها واختفوا بهدا ابيد ٦٠٪ من القطع في سلسلة انفجارات وبلغت قيمة الخسارة ٢٣ مليون دولار وفي ٧ حزيران ١٩٨١ تم تفجير الفرن الذري العراقي وهو في طور البناء في بغداد نفسها.

** ووصلوا الى طرابلس! **

في قصة اخرى يروي استروفسكي كيف دخل الموساد الى ميناء طرابلس في ليبيا فيقول:

فتش الموساد عن شخص يكون عميلا له في ليبيا ليراقب تحركات سفن منظمة التحرير الفلسطينية التي تنقل الاسلحة عبر ميناء طرابلس.

كانت تلك مهمة سهلة بشكل مفاجيء فبعد الاستعدادات المختلفة. ويضمنها اقامة شركة تأمين في فرنسا، اتصل رجال الموساد مع ميناء طرابلس معلنين انهم رجال شركة التأمين تكلموا مع المسؤول عن الميناء وطلبوا منه ان يزودهم بمعلومات عن تنقلات السفن في الميناء لان الامن يفيد عملهم في شركة التأمين.

وقد قام المسؤول الليبي بهذه المهمة فترة طويلة مقابل معاش ورحلات مجانية في فرنسا وزودهم بمعلومات قيمة جدا. واكثر المعلومات اهمية: الموعد الدقيق لدخول سفينة ملأى بالسلاح تابعة لابو نضال ومكان وجودها. وكان ذلك في صيف ١٩٨٥. وعلى اثر هذه المعلومة جاء الى ميناء طرابلس ستة رجال كوماندوز بغواصة صغيرة وقامت بتفجير اربع سفن. المسؤول الليبي لم يتخيل بالطبع ان يكون هو مصدر المعلومات القتالة التي اعطيت للموساد. ولفترة معينة بعد هذه العملية واصل تقديم المعلومات.

الانعكاسات الاقتصادية لأزمة الخليج على المناطق الفلسطينية المحتلة

سمير البرغوثي

يعتبر الفلسطينيون من أوائل الشعوب العربية التي بدأت الهجرة الى مناطق بلدان الخليج العربي، وقد وصلت طلائعهم حتى قبل اكتشاف النفط بكميات تجارية في هذه البلدان ولعب الفلسطينيون دورا رياديا في بناء الهياكل الادارية والاقتصادية والمالية في العديد من بلدان الخليج العربي. وساعدهم في ذلك مستوى التعليم العالي لدى ابناء الشعب الفلسطيني من جهة، والخبرة الادارية والمالية التي اكتسبوها في فترة الازدهار النسبي التي شهدتها فلسطين في سنوات الانتداب البريطاني.

وقد تزايد تدفق الفلسطينيين الى بلدان الخليج بعد نكبة عام ١٩٦٧ وما اعقبها من آثار اقتصادية واجتماعية على المناطق المحتلة. وفي منتصف السبعينات حيث اخذت الطفرة النفطية تعم الخليج العربي.

ويقدر عدد الفلسطينيين المتواجدين في بلدان الخليج ب ٨٠٠ الف فلسطيني اي مايعادل تقريبا ١٨٪ من ابناء الشعب الفلسطيني بأسره، يتواجد منهم ٣٥٠ الف في دولة الكويت وحدها.

وعبر هؤلاء الفلسطينيين اقيمت شبكات واسعة ومعقدة من العلاقات المالية بين الخليج العربي والمناطق المحتلة، الضفة الغربية وقطاع غزة. وتشير التقديرات انه يوجد ١٦٥ الف فلسطيني ممن يحملون تصاريح خروج يستطيعون بموجبها العودة الى المناطق المحتلة. فيما تشير الاحصائية التقريبية الى ان ٤٠٪ من الاسر الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة تمتلك اقارب يعملون في بلدان الخليج العربي.

ويجري تحويل الاموال من بلدان الخليج الى المناطق المحتلة في ثلاث قنوات رئيسية، اهمها تحويلات العاملين الى ذويهم. وتبلغ هذه التحويلات ما يقارب ٢٠٠ مليون دولار سنويا او ما يعادل ١٦٫٥٪ من الناتج القومي الاجمالي في المناطق المحتلة اما تحويلات العاملين في الكويت لو حدها فتبلغ ١٢٠ مليون دولار او ما يعادل ١٠٪ من الناتج المقدر ب ١٫٢ مليار دولار.

وتأتي التحويلات الاخرى عبر الصناديق والمؤسسات المالية الخليجية من قبيل التبرع والدعم. وبالرغم من الافتقار الى الاحصائيات الرسمية لحجم هذه التحويلات الا ان التقديرات تشير انها لاأقل من ٥٠ مليون دولار سنويا.

اما القناة الثالثة فتأتي عبر موازنة م.ت ف التي تخصص جزءا من عوائدها من بلدان الخليج والفلسطينيين العاملين في هذه البلدان الى المناطق المحتلة. وقد تزايدت حصة هذه المناطق منذ اندلاع الانتفاضة.

واجمالا، تشير بعض التقديرات غير الرسمية الى ان متوسط التحويلات المالية من الخارج الى المناطق المحتلة تبلغ ٤٠٠ مليون دولار سنويا، منها ٢٥٠ مليون دولار من بلدان الخليج.

ومن الواضح ان القسم الاكبر من هذه التحويلات، هي تحويلات اسرية، بمعنى آخر هي تحويلات للاعانة والاعالة ولمجاراة متطلبات المعيشة. فيما يذهب القسم المتبقي الى دعم مؤسسات خيرية وصحية وتعليمية واجتماعية.

ونعتقد انه من السابق لاوانه تقدير التغيرات التي قد تطرأ على هذه التحويلات. اذ ان الامر مرتبط باعتبارات سياسية وعسكرية محتملة ومتعددة لازمة الخليج. بالاضافة الى موقف بلدان الخليج من العاملين الفلسطينيين على ضوء العلاقة مع م.ت.ف.

ولكن من الواضح ان تحويلات العاملين الفلسطينيين في الكويت، والتي تشكل ١٠٪ من الناتج القومي الاجمالي ستتضرر. وستشهد انخفاضا كبيرا، اما في حجمها المطلق او في قيمتها بعد الانخفاض الكبير في قيمة الدينار الكويتي. اما المؤسسات التعليمية والصحية والاجتماعية التي تعتمد في انفاقها على المساعدات والتبرعات الحكومية والمؤسساتية والبنكية في الكويت، فقد بدأت فعلا بتلمس مصاعب مالية كبيرة الى درجة ان اوقف بعضها نشاطه.

واذا ما اقدمت بلدان الخليج العربي على ترحيل الفلسطينيين العاملين لديها او قرروا العودة طواعية لظروف اقتصادية وسياسية فسيخلق ذلك وضعا لاقتصاد المناطق المحتلة الذي يعاني من ازمة عميقة منذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية والاجراءات الاقتصادية الاسرائيلية لقمع الانتفاضة.

ومن المتوقع ان تقفز معدلات البطالة بنسب عالية، وتتفاقم ازمة السكن التي تعاني منها المناطق المحتلة. ولا يبدو في الافق ما يشجع في نهوض استثماري جراء عودة اعداد كبيرة من العاملين. فالقسم الاكبر من العائدين هم ممن كانوا يعملون في وظائف

ادارية فى بلدان الخليج، ويعتبر نمط حياتهم اكثر قربا الى نمط الطبقات الوسطى. وهذه الفئة لاتملك قدرا كبيرا من الادخار يشجعها على المغامرة فى استثمارات فى اقتصاد الضفة الغربية والقطاع الذى هو اقرب الى «اقتصاد حرب» فى ظل الانتفاضة. عوضا عن السياسة الاقتصادية للحكم العسكرى الاسرائيلى التى تضع عراقيل جمة امام التوسع الاستثمارى خاصة فى القطاعات الانتاجية. والخطورة الاكبر على اقتصاد المناطق المحتلة تكمن فى استمرار ازمة الخليج وانعكاسات هذه الازمة على الاقتصاد الاردنى الذى يرتبط مع المناطق المحتلة بعلاقات مالية وتجارية قوية وتشير تقديرات الخبراء الاقتصادين فى عمان ان الاردن الذى يعانى من ازمة اقتصادية قبل احداث الخليج وديون خارجية تناهز ٨ مليار دولار. قد يخسر ٥٠٪ من الناتج المحلى الاجمالى او ما قيمته ٢ مليار دولار. ومن المؤكد ان تتراكم ضغوط هائلة على الدينار الاردنى وقد يشهد انهيارا فى قيمته اكبر من الانهيار الذى شهده فى منتصف عام ١٩٨٨ حيث فقد ٣٠٪ من سعره التبادلى. وتجدر الاشارة ان الدينار الاردنى عملة متداولة فى المناطق المحتلة وان التحويلات من الخارج تاتى بالدينار الاردنى. كما ان ثلث صادرات المناطق المحتلة تذهب الى الاردن وعوائدها بالعملة الاردنية. واى انخفاض فى قيمة الدينار يعنى تلقائيا انخفاضا مماثلا فى عوائد الصادرات والتحويلات، ورواتب وتقاعد موظفى الاجهزة الاردنية قبل عام ٦٧ والمتواجدين فى المناطق المحتلة. ولاتقتصر الامور عند هذا الحد. فللمعادلة طرف أخر. فوحدة الشراء النقدية الشائعة فى المناطق المحتلة، وخاصة فى مجال الاستهلاك اليومى هو الشيكل الاسرائيلى. نظرا لاعتماد المناطق المحتلة على اسرائيل فى العديد من احتياجاتها اليومية. اذ تبلغ قيمة الواردات من اسرائيل ٨٠٠ مليون دولار (هذه الاحصائية قبل الانتفاضة ويعتقد انها تراجعت بنسبة ٤٠٪ جراء المقاطعة الفلسطينية للمنتوجات الاسرائيلية). وانخفاض سعر التبادل للدينار مع الشيكل الاسرائيلى سيزيد من كلفة الاستيراد وتاكل فى القدرة الشرائية للسكان واذا كانت المناطق المحتلة شديدة التاثر بالازمات الاقتصادية فى الاردن. فان هذا التاثر تزداد حدته عند الحديث عن الازمات الاقتصادية التى تعصف باسرائيل بحكم نظام التبعية الاقتصادية التى اوجدته اسرائيل والذى ترجم نفسه على شكل سوق موحد قصريا. ويتوقع الخبراء فى اسرائيل ان تزداد النفقات على الطاقة بمليار دولار اذا ما استقر سعر برميل النفط على ٣٠ دولار للبرميل. ويعنى هذا الرقم بالمؤشرات الاقتصادية ارتفاع الاسعار بنسبة ١٠٪ كحد ادنى وارتفاع وتيرة التضخم السنوية من ١٨ الى ٣٠٪ ويعنى ذلك ارتفاع فى اسعار مستوردات المناطق المحتلة من اسرائيل بنفس النسبة.

وتكمن المشكلة ان اقتصاد المناطق المحتلة وبحكم العلاقة مع الاردن واسرائيل سيستقبل تبعات الازمات التى تعصف باقتصاد هذين البلدين، عبر الدينار الاردنى والشيكل الاسرآئيلى، الا انه لايستفيد مطلقا من اى اجراءات لمكافحة الازمات فى هذين البلدين. اذ لا يوجد سلطة اقتصادية مستقلة، او تشريع اقتصادى، او حتى مؤسسات تملك اتخاذ قرارات بصلاحيات مركزية.

وعليه فان التحويلات والعوائد المالية القادمة من الشرق عبر جسر الاردن، بكافة اشكالها، ستمر فى عدة مراحل قبل أن تتحول الى قوة شرائية فى ايدى المستهلك تتاكل قيمتها فى كل فترة فستواجه اولا انخفاضا بحجمها الرقمى المطلق بسبب احداث الخليج. وثانيا ستتاكل قيمتها مع تاكل قيمة الدينار الاردنى، وسعره التبادلى مع الشيكل الاسرائيلى، وثالثا تتناقص قدرتها الشرائية للبضائع الاسرائيلية التى تشهد ارتفاعا جنونيا فى اسعارها. بعد ازمة الخليج من جهة والازمة الاقتصادية فى اسرائيل بسبب تدفق امواج المهاجرين الجدد، وارتفاع النفقات الامنية بسبب احداث الخليج واجراءات الانتفاضة. وتزداد الصورة اسودادا اذا ما علمنا ان الازمة المركبة التى ستعصف فى المناطق المحتلة (خلاصة ازمة الخليج وازمة الاقتصاد الاردنى وازمة الاقتصاد الاسرائيلى) تاتى فى ظل ظروف اقتصادية صعبة لشعب يخوض انتفاضة باسلة على مدار ٣ سنوات، او فى ظل اقتصاد يجوز ان يطلق عليه لقب «اقتصاد حرب».



أوضاع حقوق الانسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة..

خالد بطراوي

في السابع عشر من كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٦٧، أي بعد مضي مايقارب نصف عام على الاحتلال الاسرائيلي، عمدت اسرائيل الى تسمية المناطق باسم يهودا والسامرة .وفي ٢٩ شباط (فبراير) ١٩٦٨ اصدرت وزارة الداخلية قرارا يقضي بان الضفة الغربية ومرتفعات الجولان وقطاع غزة وسيناء لن تعتبر بعد ذلك التاريخ مناطق معادية.

منذ الاحتلال الاسرائيلي، وفي ساعاته الاولى ابتدأ مسلسل الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان الفلسطيني ولمشاعره وكرامته وممتلكاته. واستمر هذا المسلسل في تراكمه اليومي ليبلغ ذروته في الثلاث سنوات الاخيرة الماضية. وتحديدا منذ التاسع من كانون أول (ديسمبر) ١٩٨٧، عندما تأججت حركة الاحتجاج والمقاومة الفلسطينية، عبر الانتفاضة العارمة التي تدخل بعد اشهر معدودات عامها الرابع.

نظرا لصعوبة حصر الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان الفلسطيني وبسبب كثرتها وتزايدها اليومي وبسبب اتساعها لتشمل كافة المدن، والقرى والمخيمات الفلسطينية فقد ارتأيت التوقف عند ابرز هذه الانتهاكات معقبا بعضا منها خلفيتها التاريخية منذ عام ١٩٦٧، محاولا التركيز على الانتهاكات التي تتصف بجماعيتها:-

أولا: القتل «الاستشهاد»

منذ بدء الانتفاضة الفلسطينية في التاسع من كانون اول (ديسمبر) ١٩٨٧ وحتى مطلع آب/ ١٩٩٠، سقط ٩٢٥ فلسطينيا، من بينهم ٥٩٩ فلسطينيا من الضفة الغربية و ٣٢٦ فلسطينيا من قطاع غزة. لقد سقط من بين الشهداء ١٩٩ طفلا دون السادسة عشرة و٢٨ ممن تتعدى اعمارهم الستين عاما لقد قتل بالرصاص ٧٦٢ فلسطينيا و٦٢ اختناقا بالغازو ٣٠ فلسطينيا ضربا حتى الموت بالاضافة الى اخرين سقطوا في ظروف وملابسات شتى. لقد قتل الجنود ٨٥١ فلسطينيا وقتل المستوطنون ٢٣ فلسطينيا، وقتل ٧ على ايدي عملاء سلطة الاحتلال فيما سقط ٢٤ شخصا على ايدي مجهولين.

لقد وثقت مؤسسة «الحق»- ١٩ حالة قتل عمد نفذت على ايدي اشخاص يمثلون السلطة الاحتلالية. وان تزايد حالات القتل العمد يظهر نمطا غاية في الخطورة، وان القتل العمد مخالفة جسيمة بموجب المادة ١٤٧ من اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ وهي مساوية لجرائم الحرب. لقد عرفت المادة ١٤٧ من الاتفاقية المخالفات الجسيمة على النحو التالي:-

«المخالفات الجسيمة... هي التي تتضمن احد الافعال التالية اذا اقترفت ضد اشخاص محميين أو ممتلكات محمية بالاتفاقية: القتل العمد، والتعذيب أو المعاملة اللاانسانية... وتعمد احداث الأم شديدة أو الاضرار الخطيرة بالسلامة البدنية او الصحة، والنفي او النقل غير المشروع، والحجز غير المشروع واكراه الشخص المحمي على الخدمة في القوات المسلحة بالدول المعادية، أو حرمانه من حقه في ان يحاكم بصورة قانونية وغير متحيزة.. وتدمير واغتصاب الممتلكات....»

وان الافراد الذين يرتكبون المخالفات الجسيمة او يغضون الطرف عنها يتحملون المسؤولية الجنائية وفقا للقانون الدولي. اذ تتساوى المخالفات الجسيمة مع جرائم الحرب.. وعلى الرغم من المسؤولية المشتركة التي تتحملها القوة الاحتلالية، بوصفها دولة ارتكب مواطنوها مخالفات جسيمة، الا ان خطورة هذه الجرائم تلقي مسؤولية اضافية على كاهل المجتمع الدولي لملاحقة ومعاقبة المجرمين الدوليين، ايا كانت جنسياتهم، وعليه، واستنادا الى المادة ١٤٦ من الاتفاقية فان الدول المتعاقدة ملزمة على «ملاحقة المتهمين باقتراف مثل هذه المخالفات الجسيمة او بالأمر باقترافها وبتقديمهم الى محاكمة، ايا كانت جنسيتهم».

ثانيا : الجرحى

يصعب على اي مختص في مجال حقوق الانسان، تقديم تقرير احصائي كامل وشامل لعدة جرحى الانتفاضة، حيث يتلقى معظمهم علاجا خارج المستشفيات، خشية التعرض للاعتقال من داخل اروقة المستشفيات الا انه بالامكان القول بان عدد الجرحى الذين عولجوا في المستشفيات يتعدى الـ ٤٥ الف جريح برصاص حي واعيرة بلاستيكية، مطاطية، أو

نتيجة للاختناق بالغاز او الضرب المبرح الذى استدعى علاجا فى المستشفيات لقد تم اعتقال ثمانية جرحى من وحدات العناية المكثفة او من غرفة العمليات ونقلوا الى المراكز الاعتقالية، مما ادى الى استشهادهم. لقد استشهد احد سائقى سيارات الاسعاف عندما اطلق الجنود الرصاص صوب سيارة الاسعاف التى كانت تقل جريحا استشهد بدوره نتيجة لاعاقة إسعافه.

ان فى اعاقة اسعاف الجرحى انتهاك صارخ للقوانين والاعراف الدولية وتحديدا اتفاقية جنيف لحماية ضحايا الحرب، اذ ورد فى المادة الثالثة من الباب الاول مايلى» يجمع الجرحى والمرضى ويعتنى بهم».

وفى الحقيقة، فلا يطمح الفلسطينيون الى ان تقوم سلطة الاحتلال بجمع الجرحى والعناية بهم، بل يطالب الفلسطينيون بوقف عمليات اعاقة الاسعاف.

وتعمد السلطات الاحتلالية فى انتهاكاتها، اذ تقتحم المستشفيات وتطلق قنابل الغاز داخل أروقتها ويعتقل الجنود الجرحى ومرافقيهم. ومن الأمثلة الصارخة على ذلك، اقتحام الجنود فجر ١٩/٣/٨٨ لمستشفى رام الله بقيادة عمرام متسناع قائد المنطقة حيث اعتدى الجنود على المرضى والمرضين واقتحموا قسم العناية المكثفة وقسم العمليات حيث يحظر دخول اى شخص بلباس غير معقم، واقتحموا غرفة الولادة وغرف النساء- التى يخجل الذكور من الممرضين دخولها.

ثالثا : الابعاد

وجد العديد من الفلسطينيين انفسهم مضطرين الى النزوح اثناء حرب الايام الستة عام ١٩٦٧م. وبمغادرتهم فقدوا حق العودة واقترنت عودتهم بموجب تصاريح زيارة لفترة اقصاها ثلاثة اشهر.

لقد تمت اول عملية ابعاد رسمية فى ٢٣/٩/١٩٦٧، حينما ارغم الشيخ عبد الحميد السائح على عبور الجسر الى الاردن، ثم تم ابعاد اخرين فى العام نفسه. وقد وصل عدد المبعدين حتى مطلع عام ١٩٧٠ الى ٤٠٦، ثم اخذ هذا العدد فى التزايد ليصل مامجموعة ١١٥٦ مبعدا حتى مطلع العام ١٩٧٩م.

وتقدر «الحق» عدد المبعدين منذ بدء الاحتلال بقرابة الـ ١٢٠٠ مبعدا من ضمنهم ٦١ مبعدا بعدوا ابان الانتفاضة الفلسطينية.

ان لعملية الابعاد حساسية خاصة للفرد الفلسطينى، اذ تنتزعه من بين افراد عائلته واطفاله، وترمى به خارج بلده الذى نشأ وترعرع فيه. وتواجه عائلته احد خيارين (احلاهما مر) اما البقاء على ارض الوطن بعيدا عن الوالد او الاخ المحبوب واما «لم شمل العائلة» خارج الوطن، بعيدا عن القرية، المدينة والمخيم بعيدا عن الاهل والاصدقاء.

تعتبر عملية الأبعاد انتهاكا صارخا للقوانين والاعراف الدولية. فقد ادين الابعاد بشكل صريح فى ميثاق المحكمة العسكرية الدولية فى نورمبرغ عام ١٩٤٥ القائم على انظمة لاهالى لعام ١٩٠٧، ففى المادة السادسة (الفقرتين ب،ج) من الميثاق ، حددت المحكمة الجرائم التى تعتبر «جرائم حرب» و«جرائم ضد الانسانية» واعتبر الابعاد من ضمنهاء كما وتنص المادة التاسعة من الاعلان العالمى لحقوق الانسان، الذى تبنته الجمعية العامة للامم المتحدة فى العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ على انه «لايجوز القبض على آى انسان او حجزه او نفيه تعسفا، وتنص الفقرة الاولى من المادة ٤٩ من اتفاقية جنيف الرابعة على «يحظر النقل الجبرى الجماعى او الفردى



للاشخاص المحميين او نفيهم من الارض المحتلة الى اراضى دولة الاحتلال او الى اراضى اية دولة اخرى، محتلة ، ايا كانت دواعيه.

رابعا: هدم واغلاق المنازل

استنادا الى الاغلاق الرسمى الاسرائيلى، ومن مكتب رئيس الوزراء الاسرائيلى. فقد جرى فى الفترة مابين ١٩٦٧و ١٩٨٢م هدم ١٢٦٥ منزلا (نقلته صحيفة الجيروزاليم بوست ٢٣ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨١). وفى العام الذى تلاه جرى هدم عشرة منازل واغلاق سبعة ان الارقام التى وردت اعلاه لاتشمل البيوت التى هدمت فى منطقة القدس والقرى التى دمرت عشية حرب حزيران ١٩٦٧. انه واستنادا الى توثيق «الحق» فقد جرى فى العام ١٩٨١ هدم ١٢ منزلا وفى العام ١٩٨٢ هدم منزل واحد فيما جرى إغلاق اخر. وهدم فى العام ١٩٨٣ ستة منازل واغلق ١١ منزلا. وفى العام ١٩٨٤ هدم واغلق ٨ منازل وفى عام ١٩٨٥، هدم ٢٤ منزلا واغلاق ٢٩ اخرا وفى عام ١٩٨٦ هدم ١٣ منزلا واغلاق ٣٥ وحتى منتصف عام ١٩٨٧ هدم واغلق ٣٢ بيتا ومنذ بدء الانتفاضة وحتى ١/٨/١٩٩٠ جرى هدم واغلاق ٥٥٠ منزلا فى الضفة الغربية وقطاع غزة، فيما جرى هدم ٩٥٠ منزلا اخرا بحجة عدم حصول اصحابها على تراخيص للبناء.

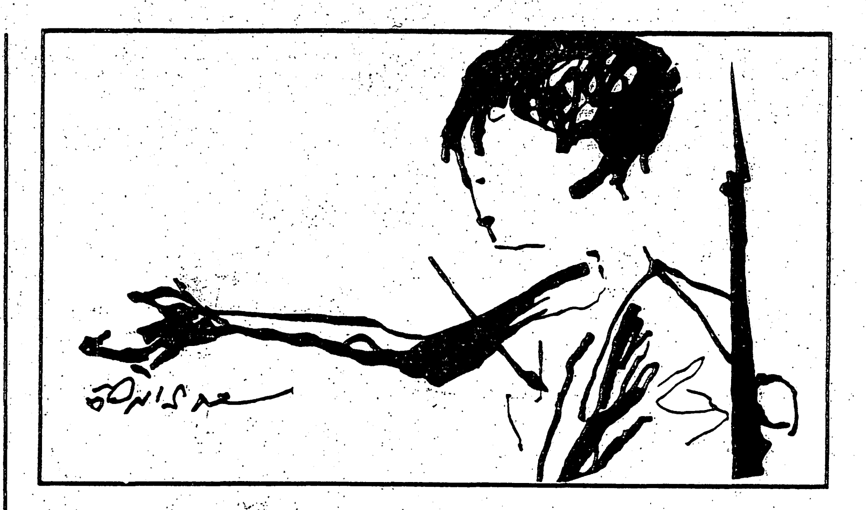
تعتبر اسرائيل الدولة الوحيدة فى العالم التى تنفذ عمليات هدم واغلاق المنازل بهدف معاقبة عائلات افراد اتهموا بارتكاب «مخالفات امنية». انه وبامكاننا استقراء التطور «السلبى» التاريخى لهدم البيوت منذ بدء الاحتلال فى مراحل خمس على التوالى:-

١- منذ بدء الاحتلال وحتى منتصف السبعينات: وهى مرحلة اتسمت باتساع استخدام اجراء الهدم، حيث جرى تدمير العديد من القرى فى الاراضى المحتلة.

٢- نهاية السبعينات حتى اوائل العام ١٩٨٥:

وهى الفترة تم اتهام اشخاص فيها بارتكاب احداث قتل او جرح جنود اسرائليين او مستوطنين، وتم على اثر ذلك هدم واغلاق بيوتهم. ومع ذلك تشير الوثائق الى عدم تعدى عدد البيوت التى هدمت العشرين بيتا.

٣- ايار (مايو)١٩٨٥ وحتى التاسع من كانون اول (ديسمبر) ١٩٨٧م.



وهى الفترة التى استبقت ثم اعلن خلالها عن انتهاج سياسة القبضة الحديدية (اعلن عن السياسة فى آب (آغسطس ١٩٨٥)، حيث ركز وصعد الاسرائيليون هدم واغلاق منازل بحق عائلات «اتهم احد افرادها بتهم امنية او سياسية. وعقب مداخلات عديدة من المجتمع الدولى، لجأت السلطات الاسرائيلية الى الاغلاق الجزئى لغرفة «التهم» بدلا من الهدم او الاغلاق الكليين.

٤- منذ التاسع من كانون اول (ديسمبر) ١٩٨٧ وحتى الخامس عشر من كانون ثانى (يناير ١٩٨٩)

حيث لوحظ مايلى:

- تزايد ملحوظ فى عدد البيوت التى هدمت او اغلقت لتصل فى مجموعها الى ١٥٩ منزلا.

- تزايد عدد البيوت المهدومة والمغلقة فى حالات لم يستخدم «المتهم» فيها الاسلحة او يبلغ عن وقوع اصابات.

- تزايد عدد البيوت المتضررة نتيجة لهدم منازل مجاورة.

٥- هدم واغلاق البيوت اعتبارا من ١٦/١/١٩٨٩

حيث يتم هدم منازل واغلاق اخرى، بحجة الاشتباه باشتراك اشخاص يقطنون فيها فى حوادث رشق حجارة. وفى حالات اخرى هدمت منازل لم يكن هنالك اى مشتبه به من افراد العائلة، وانما ببساطة لكون حجر قد القى من خلف البيت، وربما من احد المارة.

ان نظرة سريعة على هذا التطور التاريخى لاجراءات الهدم، تشير الى عشوائية الاجراء، أن مفهوم «الاشتباه» مفهوم واسع وغامض يتيح الفرصة للقيام باوسع عمليات هدم.

أن هدم واغلاق المنازل هو شكل واضح من اشكال العقاب الجماعى المحظور دوليا، حيث تنص المادة ٣٣ من اتفاقية جنيف على:

- لايجوز معاقبة اى شخص محمى على مخالفة لم يقترفها هو شخصيا، تحظر العقوبات الجماعية.. تحظر تدابير الاقتصاص من الاشخاص المحميين وممتلكاتهم.

خامسا: السجون والمعتقلات

من الصعوبة بمكان، تقدير العدد الفعلى للمعتقلين الفلسطينيين ابان الانتفاضة فالتصريحات الاسرائيلية الرسمية تعطى ارقاما متدنية للغاية، لذلك يعتمد الراصد فى تقديراته على القدرة الاستيعابية للسجون والمعتقلات الاسرائيلية- واجمالا يمكن القول بانه قد جرى منذ بدء الانتفاضة وحتى ١/٨/١٩٩٠ اعتقال ٦٥ الف فلسطينى لمدة تزيد عن الثلاثة ايام. من ضمنهم قرابة الثلاثة عشر الف معتقل ادارى، وبالامكان القول انه يوجد حاليا قرابة الاربعة عشر الف معتقل فى السجون والمعتقلات الاسرائيلية.

يقبع المعتقلون فى السجون المركزية (وعددها٧) وتخضع لمديرية مصلحة السجون العامة المنبثقة عن وزارة الشركة الاسرائيلية، او فى مراكز الاعتقال العسكرى (وعددها ٦) والتى تدار من قبل الجيش الاسرائيلى، أو فى مبانى الحكم العسكرى ومراكز الشرطة او فى السجون والمراكز الاعتقالية داخل اسرائيل. وفى كافة السجون والمراكز الاعتقالية يتعرض المعتقلون الى صنوف شتى من التعذيب والتنكيل ويعانى العديد من بينهم من تفشى الامراض حيث لايقدم لهم أية علاج يذكر. لقد استشهد ١٧ معتقلا فلسطينيا داخل السجون الاسرائيلية ابان الانتفاضة نتيجة للمرض او التعذيب.

الاعتقال الادارى

لقد استخدمت السلطات الاسرائيلية الاعتقال الادارى منذ الاشهر الاولى للاحتلال، فقد وصل عدد المعتقلين الاداريين حتى مطلع عام ١٩٧٠ الى ١١٣١ معتقلا. لقد تعدى عدد المعتقلين الاداريين أبان الانتفاضة الـ١٢ الف معتقل. والاعتقال الادارى هو الاعتقال دونما تهمة او التقديم للمحاكمة، وهو اجراء «وقائى» استنادا الى الاوامر العسكرية

الاسرائيلية. لقد كانت سلطة اصدار امر اعتقال اداري منوطة بقائد المنطقة قبل الانتفاضة ثم وفي العشرين من اذار (مارس)١٩٨٨ (تاريخ «افتتاح» معتقل انصار-٣) فقد صدرت تعليمات تعطي صلاحية إصدار أمر اعتقال إداري لأي قائد عسكري لمدة ستة أشهر قابلة للتمديد، ثم وفي السابع عشر من آب (أغسطس) ١٩٨٩ صدرت تعليمات جديدة تمدد الاعتقال الاداري لفترة ١٢ شهرا قابلة للتجديد.

سادسا: حظر التعليم

منذ بدء الانتفاضة، فرض المسؤولون العسكريون الاسرائيليون العديد من الاجراءات القمعية بحق المؤسسات والنشاط التعليمي، وبحق المعلمين والطلاب، لقد شملت هذه الاجراءات اغلاق المدارس والجامعات، حظر التعليم الشعبي، استخدام المدارس كثكنات عسكرية او مراكز اعتقالية وتدمير ممتلكاتها.

وكالعادة، فقد جاء التبرير الرسمي الاسرائيلي، مستندا الى «الذرائع الامنية» اذ جاء على لسان وزير الدفاع الاسرائيلي في الرابع والعشرين من كانون ثاني (يناير) ١٩٨٧ «ستقوم باغلاق المدارس الخارجة عن اهدافها كمؤسسات تعليمية والتي سمحت لطلابها بالخروج الى الشوارع، فقد صدر في الثالث من شباط (فبراير) ١٩٨٨ امر باغلاق كافة المدارس، ثم اغلقت لاحقا الجامعات وكافة المؤسسات واستهدف القرار ٣٠٠ الف طالب مدرسي وحوالي ١٨ الف جامعي. ومع استمرار اغلاق المؤسسات التعليمية تبرز مشكلة خطرة في الافق المنظور تتلخص في الفجوة والخلل في الهيكلية الاكاديمية، يشعر معها المرء، بان هذا الاجراء هو عقاب لحاضر ومستقبل الشعب الفلسطيني.

ان الاعتداء على المؤسسات الاكاديمية يشكل انتهاكا صارخا للقانون الدولي، اذ تحظر المادة ٥٦ من انظمة لاهاي المتعلقة باتفاقية لاهاي الرابعة لعام ١٩٠٧ وبشكل قاطع «الاستيلاء على المؤسسات ذات العلاقة بالتعليم او تدميرها او الحاق اي اضرار بها».

سابعا: عقوبات جماعية أخرى

العقوبات الجماعية ليست ظاهرة جديدة تزامنت والانتفاضة، بل ظاهرة تلازمت والاحتلال الاسرائيلي، فكثيرة هي حالات





فرض التجول ، وحظر السفر الى الخارج، وحظر التصير وغيرها.

مع اشتعال الانتفاضة، ازدادت حدة هذه العقوبات الجماعية اذ قلمايخلو يوم من حظر تجول او حصار عسكري، وعلى سبيل المثال،

١٩٨٨ خضع مايقارب الـ ٢٣٦ الف نسخة من مجموع سكان الضفة الغربية الى نظام حظر التجول ، كما خضع حوالي ٢٥٠ الف مواطن لحظر تجول في ١٩٨٨/١١/٢. كان من أبرز المناطق التي خضعت لحظر التجول طويل الامد، قرية قباطية، مدينة قلقيلية مخيم الجلزون وجميعها في الضفة الغربية بالاضافة الى قطاع غزة برمته.

من الاجراءات الشبيهة بحظر التجول، الاعلان عن منطقة، كمنطقة عسكرية مغلقة امر فرض حصار عسكري حولها، لقد حوصرت قرى عدة عسكريا ولفترات طويلة، منها على سبيل المثال قرية كفر مالك التي حوصرت لمدة ثلاثة أشهر وقرية كفر نعمة التي حوصرت لمدة شهرين.

لقد استخدم اسلوب جديد، تمثل في اغلاق مداخل مدينة، قرية، مخيم مابصورة دائمة، بالقلاع الصخرية او السواتر الترابية او البراميل الاسمنتية. لقد تعدى عدد المواقع التي اغلقت مداخلها على هذه الشاكلة الثلاثمائة موقع حتى الان.

كما واشتملت العقوبات الجماعية، على عقوبات مورست بحق تجار وبحق باعة متجولين، اضافة الى قطع المياه والكهرباء والاتصالات الهاتفية، وكذلك منع تسويق وتصدير المنتجات، حظر ادخال نقود الى الضفة والقطاع، حظر التنقل من والى الضفة الغربية وقطاع غزة استبدال لوائح السيارات، السطو الضرائبي، اضافة الى الممارسات الهمجية التدميرية بحق الزراعة وتحديدا في المواسم الزراعية.

خالد بطراوي

يعمل منسقا لوحدة البحث الميداني لدى مؤسسة القانون من اجل الانسان «الحق» وهي مؤسسة فلسطينية لحقوق الانسان، مركزها مدينة رام الله وهي فرع الضفة الفلسطينية المحتلة للجنة الحقوقيين الدولية في جنيف. اسست «الحق» عام ١٩٧٩، على ايدي مجموعة من المحامين الفلسطينيين، وذلك بهدف بلورة وتوطيد مبدأ سيادة القانون واحترام حقوق الانسان ومبادئ العدالة الاجتماعية بالاستناد الى المواثيق والاعراف الدولية. ان عمل المؤسسة ينصب اساسا على متابعة وتوثيق انتهاكات حقوق الانسان والتحقيق فيها، واجراء الابحاث والدراسات المتعلقة بسيادة القانون، في الاراضي الفلسطينية وذلك من خلال معالجة جوانب متعددة من الوضع القانوني في هذه الاراضي ومسائل حقوق الانسان، كما وتبذل «الحق» جهدها عبر المداخلات التي تجريها وعبر وسائل اخرى لوضع حد لانتهاكات محددة.



رسالة موسكو

هلسنكى علاقات القمة

أحمد الخميسى

عقد ميخائيل جرباتشوف فى سنوات حكمه القليلة سبعة لقاءات قمة سوفيتية أمريكية، اربعة منها مع الرئيس السابق «رونالد ريجان» وثلاثة مع الرئيس الحالى «جورج بوش» آخرها لقاء هلسنكى فى ٩ سبتمبر هذا العام. وقد شقت مباحثات تلك القاءات- مع ظهور «البيرسترويكا» ويدفع منها- مجرى جديدا للعلاقات السوفيتية الاميركية، وكانت درجات النجاح فى تلك المباحثات ودرجات التعثر مرتبطة بمدى وضوح الفكر السوفيتى الجديد عمليا ونظريا. ولكن تلك «العقلية الجديدة» لم تستطع أن تبلور أبعادها وخطوطها بشكل متكامل مرة واحدة، وكان الكثير من انعطافاتها الحادة استجابة لمتطلبات تلك اللقاءات، وللأزمة الاقتصادية الخانقة التى أدت فى الشهرين الأخيرين فقط الى غياب كل السلع تقريبا، والى اختفاء الدخان نهائيا، وانعدام الخبز لمدة ثلاثة أيام، ثم الى غياب النقود الورقية والمعدنية لأن مطابع نقود الدولة لم تعد تجد الحبر اللازم لها.

وقد كانت «البيرسترويكا» مضطرة للظهور بصورة تدريجية لسبب آخر، وهو أن الانتقال بالعلاقات بين البلدين من المواجهة الى التعاون لم يكن بالامر السهل، فقد اتسمت تلك العلاقات على امتداد تاريخها بطابع عدائى واضح استمد كل مقومات الخصومة من الطبيعة الاجتماعية لنظامين اجتماعيين متناقضين لدول تقدس «حرية رأس المال» ودول تقدس «القضاء على حرية رأس المال».

من أندروبوف... الى جورباتشوف

وكانت البيرسترويكا مضطرة للظهور بصورة تدريجية لأن النظام الاشتراكى السوفيتى لم يكف عن طرح الحلول المتشددة والحلول الاصلاحية بعد موت ستالين، ولم تكف تلك الحلول عن العثور على ممثلين بارزين لها يشتبكون فى صراع داخل قمم السلطة. وكان وصول «اندروبوف» الى السلطة انتصارا لجناح متشدد يرى أن حل الازمة الاقتصادية ممكن بالتركيز على «زيادة انتاجية العمل والانضباط وعدم التسيب»، والضرب بيد من حديد على أشكال الفساد والرشوة، والتحديث التكنولوجى للتصنيع، وفى ستة أشهر فقط أعدم «أندروبوف» عددا كبيرا من مديرى المحلات والمصانع المرتشين، وكان رجال البوليس يمسكون بالناس فى الشوارع ليراجعوا ان كانت معهم شهادات طبية تسمح لهم بأجازات أم لا وفى تلك الفترة زاد الاتحاد السوفيتى كمية السلاح لسوريا ورفع نوعيتها، وللمرة الاولى ألغى «اندروبوف» كافة التعهدات التى تقيد بها الاتحاد السوفيتى من جانب واحد الخاصة بالتجارب والاسلحة النووية. وهدد باقامة صواريخ ذات مدى أبعد على أراضى تشيكوسلوفاكيا والمانيا ردا على نشر الصواريخ الاميركية فى أوربا.

وكان المتشددون يرون أن سبب الأزمة هو فى التخلى عن «الستالينية» فى عهد بريجنيف، وأن المجتمع بحاجة للزعيم القوى، وأن الفساد قد بدأ يدب فى المجتمع بسبب محاولة «خروتشوف» الاصلاحية الاولى.

وبوفاة «أندروبوف» السريعة، برز ممثلان جديدان، الأول هو «جرباتشوف» زعيم المجموعة الاصلاحية، والثانى «بوناماريوف» سكرتير منظمة ليننجراد ومع «أوستينوف» وزير الدفاع وآخرون من المتشددين. لكن موازين القوى داخل المكتب السياسى وأجهزة الحكم لم تستطع أن تحسم الصراع حينذاك لصالح أحد الجناحين مما دفع جرباتشوف وروماناوف ذات لحظة للقبول باختيار «تشيرنينكو» سكرتيرا عاما للحزب (خريف ٨٤) كحل وسط مؤقتا ترقبا لساعة أخرى حلت عندما تغيب «رومانيوف» فى رحلة سياسية الى اثيوبيا وحينذاك تمكن جرباتشوف من ازاحته هو و«أوستينوف» وغيرهما من رجال الحرس القديم.

وبوفاة «تشيرنينكو» الذى حكم ١٥ شهرا، تولى جرباتشوف الحكم مدركا أن المعركة مع ذلك الجناح لم تنته بعد، وان أرضية النظام السوفيتى ستخرج عليه برومانوف آخر فى صورة «ليجاتشوف»، وليجاتشوف آخر فى صورة «بروكفييف» وهكذا.

وفى ابريل ١٩٨٥ عرض جورباتشوف برنامجه فى وثائق اجتماعات اللجنة المركزية ولكن الخطوط العامة للبيرسترويكا فى تلك الوثائق كانت مضغوطة وموجزة وتحتمل أكثر من تفسير وكان جوهر «الفكر الجديد» كامنا تحت عبارات التشدد القديم وتبجيل لينين الذى تتحطم تماثيله الان فى مدينة بعد الأخرى والذى تخرج المظاهرات فى مواجهته رافعة شعارها المفضل «لينين عدو الشعب»!!

الطريق الى «ريكيافيك»

وبعد ستة أشهر من اعلان البيرسترويكا فى أبريل ٨٥ عقد جرباتشوف أول لقاء قمة له فى جنيف مع الرئيس ريجان» فى نوفمبر ١٩٨٥، متخيرا لحركته الاولى بابين، الاول هو القضاء على السلاح النووى، والثانى اشاعة الديمقراطية والتصحيح فى الداخل، وكانت قمة البيرسترويكا الاولى فى جنيف «لقاء تعارف وخطوة نحو الثقة» على حد قول جرباتشوف. وفى ذلك اللقاء توصل الزعيمان الى نقطة ارتكاز مشتركة من التأكيد على أن: «أحدا لن يسعى للتفوق العسكرى على الجانب الآخر. وفى ذلك اللقاء عرض جرباتشوف فكرته الاساسية وهى أن القضية المركزية فى العلاقات بين البلدين الان هى «قضية الأمن» وأن التناقض لم يعد قائما بين الاشتراكية والامبريالية بل بين البشرية وخطر الحرب النووية التى لن تترك على حد

قوله «جذع شجرة ليجلس اليه متفاوضان اثنان»، وهى فكرة الرئيس «كينيدى» التى صرح بها فى الستينات عند وقوع أزمة خليج الخنازير، والتى عبر عنها بقوله: «ان هذه الحرب اذا وقعت فلن يكتب لها من يؤرخها، فالنصر فيها لن يكون الا رمادا فى فم المنتصر». ولم تكن «جنيف» الا القمة الاولى التى خرج بعدها «ريجان» مصرا على أن الاتحاد السوفيتى «امبراطورية الشر» وخرج بعدها جرباتشوف ليتحدث عن «السياسة الامبريالية» و«السادة القدماء لصوص العالم» الذين لا يأبهون الا بمصالح الاحتكار العسكرية.

ولم ينقض شهران على تلك القمة حتى طرح جرباتشوف فى يناير ١٩٨٦ برنامجا مدته خمسة عشر عاما لازالة كافة الاسلحة النووية عند نهاية القرن العشرية. ثم انصرف الى الاصلاحات الداخلية فعقد المؤتمر السابع والعشرين للحزب الذى دفع العالم الى الحديث عن «ثورة جديدة»، وفيه طرح مشروع صياغة جديدة لبرنامج الحزب فى مارس ١٩٨٦. وفى ذلك المؤتمر طرح جرباتشوف للمرة الاولى ضرورة حذف مفهوم «التعايش السلمى كشكل من أشكال الصراع الطبقى»، واكتفى بضرورة «التعايش السلمى بين الانظمة المختلفة»، وحذف أيضا تحديد التناقض الرئيسى للعصر بين الاشتراكية والامبريالية، ليجعل التناقض الرئيسى بين البشرية والفناء النووى الذى لن يميز بين «الشيوعيين والرأسماليين».

وباسقاط التناقض بين الاشتراكية والامبريالية، واسقاط الصراع من التعايش السلمى بدلت السياسة السوفيتية من وضع واتجاه قدميها العملاقتين لتتجه الى عالم يقول عنه جرباتشوف أنه: «ينشأ بصعوبة والى حد ما على نحو أشبه بالتلمس فى الظلمة».

وأخيرا فقد تضمنت التعديلات عبارة أخرى هامة تقول: «ان الحزب الى جانب اقامة علاقات طبيعية ومستقرة بين الاتحاد السوفيتى وأميركا».

وقد مهد ذلك كله للقاء القمة الآخر بعد أحد عشر شهرا فى «ريكيافيك» فى أكتوبر ٨٦. وفيه جرى التركيز على قضية السلاح النووى، لأن الأسلحة هى أشد مظاهر العداوة. وقدم جرباتشوف تنازلين هامين الاول التخلى عن أن تشمل المعادلة الاستراتيجية «الصواريخ الاميركية المتوسطة المدى»، والثانى تجاهل القوات النووية الانجليزية والفرنسية من المعادلة. واتفق الطرفان على الازالة الكاملة للأسلحة الاستراتيجية خلال خمس سنوات. ومع ذلك فقد تعثرت «ريكيافيك» بسبب تمسك «ريجان» بنظام حرب النجوم. وبالرغم من هذا فقد حققت القمة نجاحا وصفه جرباتشوف بأنه: «تحطيم النمط القديم من المباحثات، واخراج الحوار من الضباب والديماجوجية السياسية. واضاف: «لقد أنجزنا الكثير نحو بناء جسر الاتفاق التاريخى».

أساطير الايديولوجية..!

وفى أكتوبر ١٩٨٧، قبل أن يسافر جرباتشوف للقمة الثالثة فى واشنطن بشهرين أصدر كتابه الوحيد والمعروف: «البيرسترويكا تفكير جديد لبلادنا والعالم أجمع». وتخاطفت دور النشر العالمية الكتاب وقامت بترجمته على الفور، وكان الكتاب بتوقيت صدوره، وتوجهاته العامة أشبه مايكون برسالة خاصة وهامة للرأى العام الأوربى، رسالة تسبق سفرة جرباتشوف لواشنطن وتمهد لها، وفى الكتاب يؤكد جرباتشوف أن انقاذ الحضارة الانسانية والجنس البشرى أمسى مصلحة عامة تؤلف بين المجموعات الدولية الثلاث (المجموعة الاشتراكية، والمجموعة الرأسمالية، ومجموعة دول العالم الثالث)، مصلحة تعلو على أية تناقضات قومية أو طبقية أخرى. ولهذا يؤكد جرباتشوف: «ان سياسة المواجهة العسكرية والتصارع الشامل أصبحت عديمة الجدوى»، ولما كان الأميركان قد كرروا كثيرا أن دولة تكون عقيدتها «التناقض» مع الرأسمالية لايمكن أن تحيا فى سلام أو تتعايش مع الرأسمالية، وأن الشرط الأهم لتطبيع العلاقات هو التخلى عن الايديولوجية الماركسية، لذلك تضمن الكتاب توضيحا لتلك المسألة فيشير الى اسقاط «ديكتاتورية البروليتاريا» من برنامج الحزب، مكتفيا بالدور الرائد للطبقة العاملة، ويشير الى تنحية الصراع الايديولوجى الذى كان «القسم الأهم المكون للصراع الطبقى» مكتفيا بالاشارة الى أضرار الايديولوجية الرأسمالية»، ويستخلص جرباتشوف من كل ماقدمه النتيجة التالية: «لايمكن المضى نحو علاقات أكثر انسجاما مع أميركا اذا ماتركنا للأساطير الايديولوجية السيطرة» وأنه: «من غير الجائز سحب التناقضات الايديولوجية على مجال العلاقات الدولية». ويقترح الفكر الجديد بدلا من ذلك «توازن المصالح الذى يستتبع الارتفاع فوق الخلافات الفكرية».

وحينما ينقل جرباتشوف هذه الأفكار الى مجال التطبيق يقول- فى حالة الشرق الاوسط مثلا- : «ان طابع العلاقات الحالية بين الغرب



والبلدان النامية غير مقبول لنا، ولكننا لاندعو لتفجير أو نسف تلك العلاقات... ونحن لانريد على الاطلاق لحركة وشكل التسوية فى الشرق الاوسط وأهداف هذه التسوية أن تمس المصالح الطبيعية للولايات المتحدة والغرب» ولاأدرى ما الذى يضفى على المصالح الاميركية سمة «طبيعية» وكأنها من بديهيات الشروط اللازمة للحياة على الكوكب الارضى؟.

وقد قابل الغرب وأميركا الكتاب باعجاب شديد، ودار الحديث عن ثورة جديدة وزعيم من طراز جديد وسياسة جديدة دولية ستجنب العالم ويلات الحروب.

وفى ديسمبر ٨٧ عقد جرباتشوف قمته الثالثة مع ريجان فى واشنطن، بعد صدور كتابه ذلك بشهرين، وهذه المرة تم التوقيع على معاهدة لتصفية الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى، التى حذفت من ترسانة كلا البلدين نظاما متكاملا من السلاح النووى، يمثل ٤٪ من مخزون السلاح لدى البلدين. ولكن تلك القمم فى كل مرة كانت تتناول جوانب أخرى عند المباحثات، وركز فيها الأميركان على فكرة واضحة وهى ان السياسة - لا الاسلحة- هى التى تكفل الأمن. وهى الفكرة التى كررها شفيرنادزه فيما بعد مؤخرا، ولذلك لابد من تبديل سياسة الاتحاد السوفيتى والعلاقة مع أميركا ، لانه حينما تزول العداوة يزول الخطر، أما تقليص المخاطر على أرضية العداء فلايعطى ضمانا بالا تتجدد تلك المخاطر.

وقد أشار الرئيس الامريكى السابق «نيكسون» ذات مرة الى فكرة هامة حين قال ان تدمير كافة الاسلحة النووية لن يعنى تدمير فكرة وتصميمات تلك الاسلحة ولا القدرة على اعادة انتاجها مرة أخرى. ويذهب بعض الخبراء السوفييت الى ذلك الرأى مثل «ايجور سيرجييف» الذى يقول: «من الصعب تصور عالم بلا أسلحة نووية، ولكن يمكن فقط خفض مستوى الخطر النووى». وربما لهذا قال الرئيس «ريجان» بعد قمة واشنطن: «ان الاتفاقيات المنفردة لاتضمن بحد ذاتها مسيرة متصلة للأمام... ومن الضرورى أن ندرك واقعيا أهداف ونوايا بعضنا البعض». أما جرباتشوف الذى قال: «فليكن الثامن من ديسمبر يوما يدخل التاريخ » فقد أضاف: «ومع ذلك فان الوقت مايزال مبكرا.. مبكرا بعد للحديث عن انعطاف جذرى فى علاقتنا» . والعجيب أن ذلك الانعطاف قد تحقق- ليس فى مجال نزع الأسلحة وهو ماجرى التركيز عليه- وانما فى مجال السياسة، التى قامت باكبر عملية لفك الاشتباك التاريخى بين الدولتين على امتداد خط المواجهة فيما بينهما . فوقع الجانبان فى أبريل ٨٨ اتفاقية حل النزاع الافغانى، ووقف الصراع الذى استمر أكثر من تسعة أعوام بين فيتنام وكمبوديا والشروع فى المفاوضات بين نيكاراجوا وجبهة «الكونترا» وغير ذلك. أما فى مجال التسليح النووى، فقد تزايدت نسبة ماتنفقة أمريكا على أسلحة المستقبل المتطورة من ٤. ٢٣٪ عام ١٩٨٤ الى ٣٤٪ عام ١٩٩٠ أى بزيادة ٦. ١٠٪ خلال خمس سنوات!.

وبعد نصف عام شهدت موسكو فى يونيه ١٩٨٨ القمة الرابعة مع «ريجان»، والأخيرة. واكتفت تلك القمة ببيان مشترك يعكس تقدم تلك العلاقات الى الأمام. ويعكس صعوبة ذلك التقدم بين تجربة تاريخية رائدة وتجربة الرأسمالية العريقة والمتمرسة. وجاء فى البيان أن الزعيمين يؤكدان من جديد : «عزمهما على الحيلولة دون أن تقع أية حرب بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة. سواء نووية أم تقليدية. والتأكيد والتشديد على الحيلولة دون وقوع أية حرب بين البلدين ولو كانت تقليدية، أقرب مايكون الى صياغة حلف مشترك يتجاوز مهمة اتقاء الحرب النووية الى حالة جديدة من العلاقات الدولية ، وقد بدت تلك الفكرة بوضوح أكبر فيما بعد حينما جرى الحديث عن حلف وارسو وحلف الاطلنطى والدعوة السوفيتية لانشاء: حلف الحلفين «الذى : « يضمن نظاما للأمن الاوروبى».
وبالرغم من ذلك فقد أشار البيان الى :«الاختلافات الحقيقية فى مجال التاريخ والتقاليد والايديولوجيا التى تميز وستميز العلاقات السوفيتية الاميركية. ولم تكن صدفة بطبيعة الحال أن يتم طمس «الايديولوجية» وأن توضع على قدم المساواة مع «تاريخ»، و«عادات» بحيث تبدو جزءا من مكونات فكرية وليست موقفا سياسيا. ولكن نتائج القمة كانت أبعد من حدود البيانات المشتركة فقد ثبتت- على حد قول جرباتشوف-: «نوعا من جدول أعمال الجوار بين البلدين » ، وهو جدول تناول كافة قضايا العلاقات بدءا من : حقوق الانسان (اليهودى فقط)، الى حلف وارسو. الى قضايا تعديل التركيبة الاقتصادية داخل المجتمع السوفيتى وغير ذلك.

وأوجز جرباتشوف نتائج اللقاءات الأربعة مع ريجان حين قال: «كان كل لقاء من تلك اللقاءات الأربعة صعبا، ومع ذلك فقد كان بحثا مستمرا عن توازن المصالح..رفع العلاقات الى مستوى أعلى».

الانتقال للسوق الحرة

ثم شهدت السنة والنصف سنة التالية الأحداث العاصفة فى أوروبا الشرقية والانقلابات المتسارعة فى المانيا والمجر وبولندا وغيرها وتخلل تلك الفترة انعقاد المؤتمر الاول لنواب الشعب السوفيتى فى ٢٥ مايو ١٩٨٩ والذى بدل هياكل الدولة السياسية وفتح النيران على تاريخ التجربة السوفيتية باكملها، وكان المواطنون السوفييت يتغيبون



عن عملهم خصيصا لمتابعة جلساته ويحملون معهم أجهزة الراديو فى المترو والأتوبيسات ليتابعوه. وكان جورج بوش الذى أصبح رئيسا لأميركا (وكان نائبا لريجان فى لقاءات القمة السابقة وشارك فيها) كان قد بدأ يعبر عن موقفه الايجابى الذى يتجاوز العقبات قائلا ومكررا «لابد من مساندة ودعم البيرسترويكا»، ولكن أميركا والغرب ظل لمدة طويلة يعبر عن دعمه لفظا، فى انتظار المزيد من التحولات وضمانات التحولات، ومنذ ثلاثة شهور فقط، شهر ٦، صرح الرئيس بوش فى مؤتمر بولاية «هانتسفيلى» بقوله: «الادارة الأميركية غير مستعدة - على الأقل فى المرحلة الراهنة- لتأييد اقتراح «ميتران» بدعم الاقتصاد السوفيتى، فمازال على الاتحاد السوفيتى ان يقوم بالكثير من التغييرات»! وحتى هذه اللحظة لم يدخل الغرب بمشروع استثمارى واحد ذى قيمة الى الاتحاد السوفيتى، وأقصى ماتم التوصل اليه هو افتتاح مطعم لسندوتشات «الهامبورجور» فى موسكو، وهى السندوتشات التى عجز الخبراء السوفييت عن تصنيعها طويلا!.

وكانت هناك قمتان فى الطريق الى هلسنكى، قمة مالطا فى ٢ ديسمبر ١٩٨٩، وقمة واشنطن فى ٢ يونية ١٩٩٠، وفى مالطا طرحت عمليات التجديد فى أوربا الشرقية، ونزع السلاح، والوضع فى أميركا الوسطى واللاتينية، والموقف السوفيتى من كوبا واللوم الاميركى على المساعدات لكوبا، والشرق الأوسط، وضرورة هجرة اليهود السوفييت، وعلى حد تعبير الصحفى السوفيتى «فلاديمير سيميونوف» فان مالطا قد كشفت عن أن الرئيس «بوش» قد انتقل من : حب البيرسترويكا العذرى الى الأفعال التى تخفف من حدة الصعوبات فى المجتمع السوفيتى. وبعد نصف العام على تلك القمة بدأت فى يناير ١٩٩٠ أكبر موجة هجرة يهودية سوفييتة وصل فيها عدد المهاجرين الى مائة وخمسين ألف من يناير الى يوليه من نفس العام.

وكان بوش فى تصريح لاحق قد قال: «لقد كنت صريحا مع الرئيس جورباتشوف فى لقائنا بمالطا، وقدمت له حينذاك قائمة بالاجراءات التى قد تحسن علاقاتنا.»

وبعد موجة الهجرة التى أعقبت مالطا، أجتمعت اللجنة المركزية اجتماعا موسعا فى مارس تقدمت بعده باقتراحها بحذف المواد الدستورية التى تحدد للحزب والكومسومول «دورا قياديا فى المجتمع». وفى منتصف مارس انعقد المؤتمر الثالث الطارئ لنواب الشعب للنظر فى حذف المادتين واستحداث مؤسسة رئاسة. وحينذاك قال «سيرجى الكسييف» رئيس لجنة الرقابة الدستورية: «ان منصب الرئاسة يعد فى هذه الظروف الوسيلة الواقعية الوحيدة لنقل السلطة الفعلية من البنى الحزبية الى بنى الدولة! وبتشكيل تلك المؤسسة تمت تنحية صلاحيات المكتب السياسى واللجنة المركزية والمؤسسات الحزبية. وبعد ذلك حل الدور على دورة مجلس السوفييت الاعلى التى استمرت حتى يونيه والتى طرحت فيها قوانين الملكية الخاصة، والاستئجار، والاستثمار، والمشاريع الخاصة، وفى ٢٤ مايو من نفس العام وقبل قمة واشنطن بشهر واحد أعلنت الحكومة على لسان «ريجكوف» رئيس الوزراء عن خطتها الاقتصادية للانتقال بآليات المجتمع الاشتراكى الى السوق الحرة ورفع الأسعار.

الأزمة .... الازمة

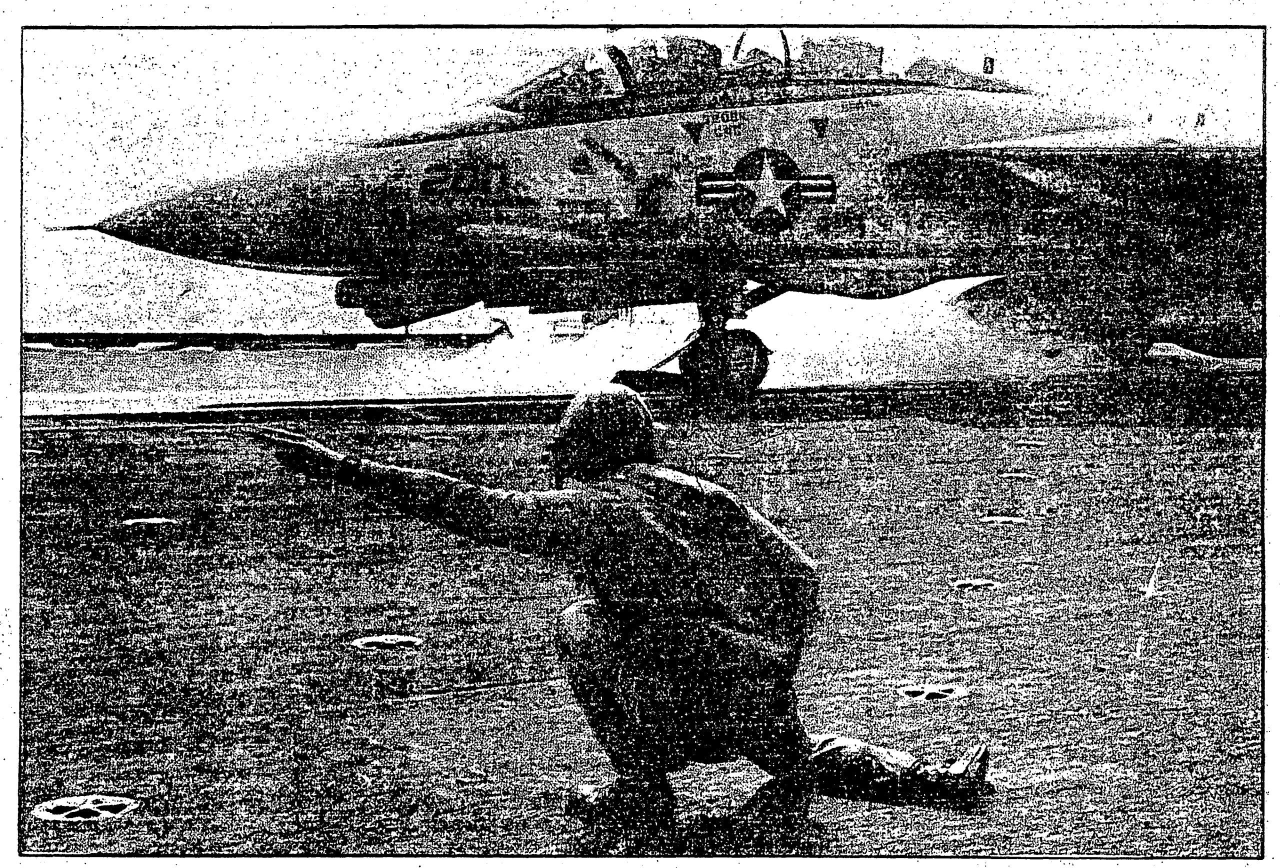
وقد مهدت قائمة التعديلات تلك كلها للقاء القمة فى واشنطن فى ٢ يونية ١٩٩٠ وتم فيها مواصلة الحوار السياسى بين القوتين العظميين، وتوقيع أكثر من ١٥ اتفاقية والاتفاق النهائى بشأن وحدة المانيا، ومناقشة قضايا الاصلاح الاقتصادى داخل الاتحاد السوفيتى، والوعود بالمساعدات الاقتصادية الاوربية. ورغم ان بوش قد أعلن قبل القمة عن أنه سيطرح بكل الوسائل قضية جمهوريات البلطيق، وخاصة ليتوانيا، الا أنه فى القمة تحاشى القضية الليتوانية باعتبار انها لم تكن الا ورقة للابتزاز.

وبعد قمة واشنطن بخمسة أيام أعلنت اللجنة الاستشارية السياسة لحلف وارسو عن «استعدادها للتعاون البناء مع حلف الاطلنطى»، وقبل ذلك كان مجلس التعاضد الاقتصادى بين الدول الاشتراكية قد انحل فعليا بنقل المعاملات فيه الى العملة الصعبة. وازدادت الازمة الاقتصادية فى داخل الاتحاد السوفيتى وبلغت حدا لم يتوقعه أحد، وارتفعت الأسعار فعليا الى أكثر من ٣٠٠٪ و٤٠٠٪ وبلغ سعر كيلو اللحم خمسة وعشرين روبلا، وعلبة الدخان خمسة روبلات، واختفت مع ذلك السلع وطفت على السطح فئة من السماسرة المستعدين لتقديم كافة الخدمات وأعمال الوساطة والتسهيلات، وبعد قمة واشنطن بشهر واحد عقد الحزب مؤتمره الثامن والعشرين فى شهر يوليه، والذى أسقط برنامج الحزب نهائيا، معلنا عن «الاشتراكية الديمقراطية الانسانية»، ومحولا المكتب السياسى من مكتب سياسى الى مايشبه المجلس الاتحادى الذى يضم ممثلا عن كل جمهورية، وأقر المؤتمر وثيقة عامة باعتبارها برنامجا مؤقتا لم ترد فيها كلمة «الاستعمار» مرة واحدة.

وفى الشهور الاخيرة التى سبقت قمة «هلسنكى» انقطع الخبز من المحلات فى موسكو، واختفت الزيوت، والبيض، واللحوم، والكبريت، وأخذت موسكو تصرف بطاقات لسكانها يتم بموجبها الحصول على السكر والسلع الغذائية، ووصلت الحالة الى درجة اختفاء العملة الورقية والمعدنية من السوق لأن مطابع الدولة لاتجد الحبر اللازم لطباعة النقود، وقام المدخنون بمظاهرة ضخمة أمام مجلس السوفييت الاعلى يطالبون فيها بعلب السجائر!. ومع ذلك فأن المساعدات الاوروبية المنشودة لم تظهر فى الافق، اللهم نوع من الكفتة الردئ ملفوف فى تعبئة أميركية كتب عليها «لقد أحسنتم الاختيار بشرائكم هذه الكفتة التى تتميز بنكهة اللحوم»! وتباع العبوة الواحدة (٨٠ جراما) بروبلين وهو المبلغ الذى كان المواطن يشترى به كيلو لحم بأكمله قبل البيرسترويكا.

ومابين نوفمبر ١٩٨٥ (قمة جنيف) وسبتمبر ١٩٩٠ (قمة هلسنكى) قطع جورباتشوف طريقا طويلا ومنهكا فقد فيه بالنسبة للمواطنين البسطاء بريقه، وأصبحوا يرددون شيئا واحدا: الغنى سيزداد غنى والفقير سيزداد فقرا وهو ماتؤكده حكومة «ريجكوف» يوما بعد يوم برفع الاسعار دون الاعلان عن ذلك ولتهدئة الناس تعدهم الحكومة بالبرامج التى تكفل الحماية للسكان محدودى الدخل فى ظل الانتقال لقوانين السوق. وعلى حد تصريح «شيرباكوف» رئيس لجنة العمل والشئون الاجتماعية فى ٦/٨/٩٠، فان عدد المواطنين الذين يحتاجون لدعم اقتصادى لايقل عن تسعين مليون مواطن! وهم أولئك الذين يقل دخلهم عن الحد الادنى للمعيشة، أى ٨٤ روبل ويتساءل الناس: «لماذا يحتم علينا القبول بنظام اقتصادى لابد لنا فى ظله من قوانين حماية اجتماعية؟» وتتوقع الحكومة أن يصل عدد العاطلين عند الانتقال النهائى للسوق الحرة الى خمسة وثلاثين مليون عاطل عن العمل!.

وعلاوة على الازمة الاقتصادية تنتشر فى كافة الجمهوريات السوفيتية مختلف أنواع



الأسلحة الثقيلة والخفيفة بحوزة المنظمات القومية والشعبية والتي لم يستطع جورباتشوف ان يسحبها اويستردها مما يهدد جديا في ظل الصراعات القومية بحروب أهلية واسعة النطاق.

في هذه الظروف توجه الزعيم السوفيتي الى هلسنكي، وفي هذه الظروف اندلعت أزمة الخليج التي قلبت كل الحسابات الدولية رأسا على عقب.

النظام الدولي الجديد!!

قال الرئيس «بوش» بعد قمة هلسنكي بيومين اثنين: «اننا نعيش لحظة غير عادية، وفريدة من نوعها فقد خلقت أزمة الخليج امكانية نادرة للتقدم نحو عهد جديد من التعاون الاميركي السوفيتي، ويكتب «كوندراشوف» في الايزفستيا: «كان يمكن لأزمة الخليج أن تكون قشرة الموز التي تنزلق عليها مبادئ السياسة الدولية الجديدة، لكن ذلك لم يحدث لحسن الحظ. وكتبت «البرافدا» تقول: كانت نتائج قمة «مالطا وواشنطن بحاجة الى اختبار.. وكانت أزمة الخليج هي الاختبار الذي تجاوزته هلسنكي.

وركزت الصحافة السوفيتية على أن نجاح هلسنكي هو في «الموقف الموحد الذي اتخذته الدولتان ونجاح النظام الدولي الجديد في اثبات وجوده وفعاليته».

وعلى الرغم من أن قمةهلسنكي قد توصلت الى ميعاد تقريبي لتوقيع اتفاقية تقليص الاسلحة الاستراتيجية بنسبة خمسين بالمئة، وفتحت الباب لاحتمالات المساعدات الاقتصادية الاميركية الجادة، الا أن ذلك كله لايعد النتيجة الأساسية التي خرجت بها القمة، ولنقرأ مايتصور «قنسطنطين بليشكوف» أنه انجاز هلسنكي الرئيسي: «لم يعد تقليص الاسلحة اليوم هو القضية الأولى، بل ان الكثيرين قد اعتبروا أن التوصل لاتفاقية تقليص الاسلحة هو حدث بديهي ومتوقع لقد جرى في هلسنكي شئ أهم من هذا فقد اختفى الخصم نفسه، وبذلك فأن قمم البيرسترويكا السوفيتية الاميركية التي بدأت في جنيف وانتهت في هلسنكي، قطعت طريقا طويلا بدأته بتقليص الأسلحة في ظل الخصومة واختتمته بتقليص الخصومة في ظل الاسلحة. وللمرة الاولى بعد الحرب العالمية الثانية تقف الدولتان موقفا موحدا من قضية شائكة ومعقدة، وبينما كان القضاء على الفاشية الالمانية يمثل مصلحة مشتركة للاتحاد السوفيتي والحلفاء، فان الغزو العراقي للكويت- وان كان عملا اجراميا- يختلف كثيرا بل وتكاد المصالح فيه أن تتعارض.

وقد تضمن البيان المشترك الصادر عن المباحثات اشارة الى: أن الخطوة التالية ستكون اقامة هياكل أمنية اقليمية للحفاظ على الامن في المنطقة»، وهو اقتراح أمريكي ومطلب امريكي، وتضمن البيان ضرورة «العمل بنشاط من أجل تسوية جميع النزاعات المتبقية في الشرق الاوسط». وهي عبارة استهلكتها الدبلوماسية السوفيتية دون قدره على بعث الحياة فيها. كما فتح البيان الباب لاتخاذ خطوات اضافية بغض النظر عن خلط الاوراق، فاذا كان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة قادرين ومستعدين لخطوات واجراءات عملية، فلماذا يتفقان على مايناسب الولايات المتحدة فقط، ولايتفقان على حل أزمة الشرق الاوسط؟

لقد كانت الصحافة السوفيتية على حق عندما أكدت أن «هلسنكي» هي بزوغ للنظام الدولي الجديد، من زاوية تمتين العلاقات بين البلدين في موقف موحد من العدوان العراقي، لكن هلسنكي قد كشفت عن طبيعة ذلك النظام الدولي الجديد الذي يكيل بمعيارين، مرة حينما يضع العراق يده، على نفط الكويت فيصحو الضمير العالمي، ومرة حينما تدمى أقدام أطفال الانتفاضة ثلاث سنوات دون حل أو بارقة أمل في حل.

كتاب جديد لصحفي هندي:

يكشف الستار عن: الاستعمار الجديد عبر مفاوضات الجات وجولة أورجواي

جميل عطية ابراهيم

فور صدور كتاب الاستعمار الجديد عبر الجات وجولة أورجواري لدول العالم الثالث الذي نشره الصحفي الهندي شاكر افارتي راجافان وكتب مقدمة الزعيم الافريقي جوليوس نيريري، أقام ممثلو الدول النامية في المقر الأوربي للأمم المتحدة حفلا لصاحب الكتاب تكريما له. والصحفي الهندي من العاملين في مقر الأمم المتحدة في جنيف لسنوات طوال تزيد عن عقد من الزمان ومجال تخصصه متابعة اعمال المنظمات الاقتصادية في الأمم المتحدة انطلاقا من شرح وجهة نظر الدول النامية في المسائل المعروضة في وقت تفرض فيه وسائل الأعلام ووكالات الأنباء الغربية ستارا على هذه المسائل. وقد جاء هذا الكتاب تتويجا لجهد اكثر من عقد من الزمان في متابعة هذه الأمور.

وترجع أهمية هذا الكتاب بالدرجة الأولى الى انه يكشف باسلوب مبسط للغاية يناسب القارئ العادي اسرار المفاوضات الجارية حاليا على قدم وساق بين الدول الأعضاء في الاتفاقية العامة للتعريفة الجمركية والتجارة في اطار جولة أورجواي التي مقدر لها ان تنتهي هذا العام.

وقبل أن يغض القارئ النظر عن متابعة هذا الموضوع هروبا من هذه الألفاظ المتمثلة في مصطلحات غريبة مثل الاتفاقية العامة للتعريفة الجمركية والتجارة وهي التي يرمز لها دائما حاليا «بالجات» أو «GATT» باللغة الانجليزية. وهذا الرمز يتكون من بداية الحروف من اسم الاتفاقية باللغة الانجليزية وهو GENERAL AGREEMENT ON TARIFFS AND TRADE.

وكذلك مصطلح جولة أورجواي أو URGUAY ROUND.

نوضح ان هذه الاتفاقية تعتبر واحدة من عدة وسائل تحكم من خلالها الولايات المتحدة الامريكية والدول الصناعية الغربية سيطرتها على النظام الاقتصادي العالمي من خلال السيطرة على التجارة الدولية وتدفق السلع والمواد الأولية والخامات ولا تقل هذه الاتفاقية في الخطورة عن صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للتعمير وغيرها من المؤسسات العالمية.

واذا كان القارئ يحس بغرابة وهو يتابع مثل هذه المصطلحات فان المؤلف يقول ان ذلك جزء من لعبة التعتيم العالمية التي تتبعها وكالات الانباء الأجنبية ومن من البسطاء في العالم الثالث في مقدوره متابعة مفاوضات يطلق عليها طول الوقت TRIPS أو TRIMS على سبيل المثال.

ويكفي ان نوضح للقارئ اهمية المسائل التي تتناولها هذه الاتفاقية فنقول ان اسعار المواد الاولية والخامات التي تعتبر الصادرات الاساسية للدول النامية اسعارها في حالة تدهور باستمرار منذ سنوات بعد الحرب العالمية الثانية وفي نفس الوقت تتضاعف اسعار السلع المصنعة والآلات وغيرها وذلك لأن الدول الصناعية الكبرى قد نجحت في فرض هيمنتها على شئون التجارة العالمية وفرض شروطها التي تحقق مصالحها الذاتية مستخدمة في ذلك معايير مزدوجة لا اخلاقية بالمرة، ففي الوقت الذي تتحدث فيه عن حرية التجارة وضرورة فتح الأسواق تفرض شروطا مجحفة على صادرات دول العالم الثالث من مواد أولية وخامات ومنتجات زراعية حتى أصبحت التجارة بين الجنوب والشمال تمثل عملية نهب منتظم لدول الجنوب الفقير تماثل في حجمها وخطورتها عملية استنزاف موارد وثراوت الدول النامية بواسطة الديون ورفع سعر الفائدة على القروض.

ويؤكد الكتاب انه عبر التحكم في التجارة العالمية تتم عملية نهب واسعة النطاق لثروات العالم الثالث.

ولكن المسألة ليست قاصرة على الماضي، فان الولايات المتحدة الأمريكية والدول الصناعية الكبرى تسعى في دأب حاليا الى ادخال تعديلات جوهرية على احكام هذه الاتفاقية عبر المفاوضات الجارية لاحكام سيطرتها على التجارة الدولية والاوضاع الاقتصادية والمؤسسات العالمية في دول العالم

الثالث فى القرن الواحد والعشرين، وللأسف فان هذه المفاوضات تدور بطريقة سرية محمومة فى مقر «الجات» بعيدا عن الرأى العام. ولايتابعها الاممثلو الدول الأعضاء فى هذه الاتفاقية وقلة من المتخصصين فى العالم.

جولة أورجواى

يتابع المؤلف جولة اورجواى منذ بدء المفاوضات فى ٢٠ سبتمبر ١٩٨٦ فى مدينة بونتا دى لستا فى اورجواى على المستوى الوزارى للدول المشتركة فى الاتفاقية.

وعرفت هذه المفاوضات بجولة اورجواى وقد قدر لها اربع سنوات تنتهى هذا العام وكان الغرض منها البحث عن حلول للنزاعات القائمة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين دول السوق الأوروبية المشتركة حول المسألة الزراعية وكذلك تسوية الخلافات بين الدول النامية وبين الولايات المتحدة والدول الصناعية النامية وبين الولايات المتحدة والدول الصناعية الكبرى من جانب آخر.

وقد وقعت فى هذه المفاوضات ولاتزال ضغوط هائلة على الدول النامية للتسليم بوجهات نظر الدول الغنية باضافة مسائل الخدمات الى هذه الاتفاقية ووضع نظام جديد لحل النزاعات وادخال مسائل تتعلق ببراءات الاختراعات ونقل التكنولوجيا الى تجارة السلع.

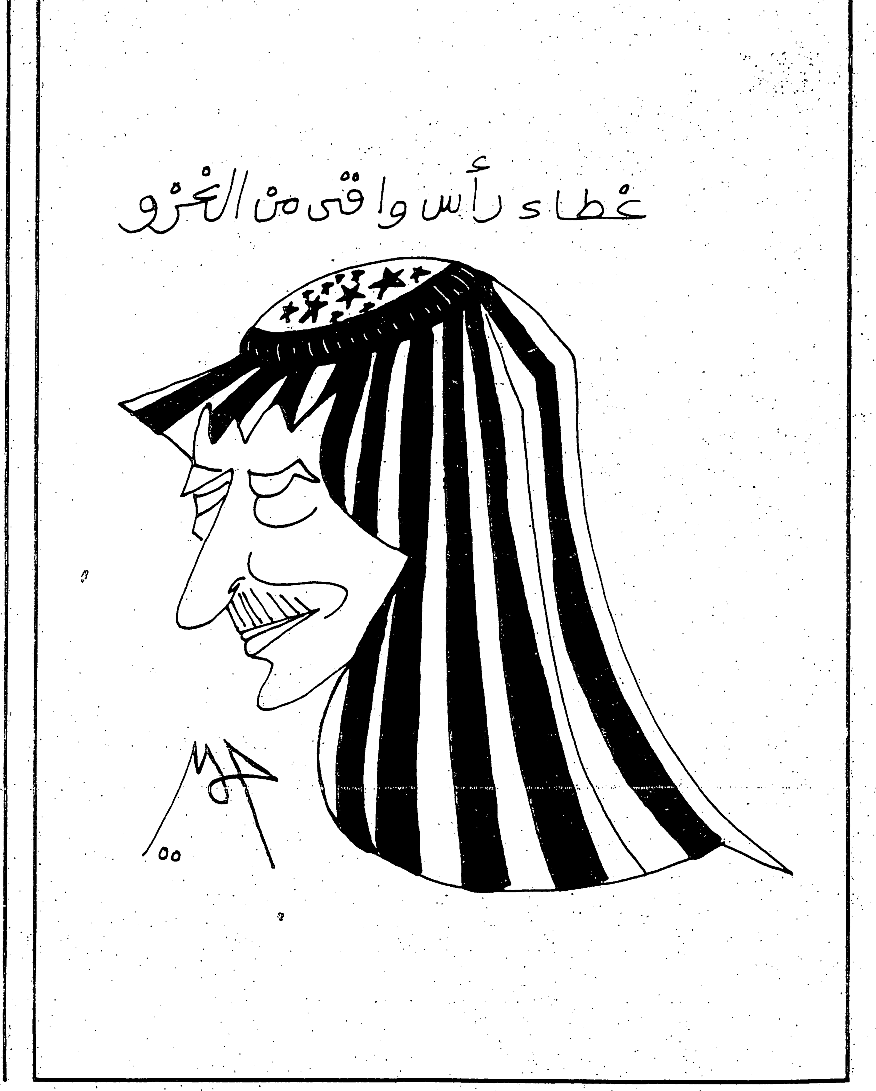
اتفاقية «الجات» احكامها كلها تتعلق بالسلع وتضم بنودا معروفة على سبيل الحصر والغرض منها ازالة العوائق والحواجز لتسهيل تدفق السلع بين الدول الموقعة عليها، ولكن الولايات المتحدة الامريكية بدأت تروج منذ حوالى ثمانى سنوات لاتجاهات جديدة لتوسيع نطاق الاتفاقية بضم موضوعات تتعلق بالخدمات الى السلع وبعد مرحلة الترويج بدأت مرحلة الضغوط والتلويح بفرض عقوبات اقتصادية والغرض من هذه التعديلات الجديدة احكام السيطرة على قطاع البنوك المحلية وشركات التأمين وشركات النقل ومصالح البريد والتلغراف والتليفونات والفاكس فالولايات المتحدة الامريكية تطالب الدول النامية بفتح اسواقها امام البنوك الاجنبية وشركات التامين وشركات النقل دون معوقات وتغيير قوانينها المحلية التى تفرض بواسطتها الدول النامية سيادتها على القطاع المصرفى وقطاع التأمين وقطاع النقل باعتباره يتعلق بمسائل تمس أمن الدولة.

ويرصد مؤلف الكتاب التحولات التى طرأت على المفاوضات فى تفصيل وباسلوب سهل مبسط حيث انحرفت المفاوضات عن تذليل الصعاب التى تعوق تدفق التجارة العالمية الى اعادة تنظيم اقتصاديات العالم بأسره من خلال كيانات عملاقة خلال القرن الواحد والعشرين

ويقول المؤلف ان الدبلوماسية التى تتبعها الولايات المتحدة الامريكية يمكن وصفها بدبلوماسيه المدفع حيث تلوح الولايات المتحدة بفرض عقوبات اقتصادية على الدول التى تعارضها..

وابرز مثال على خطورة اصرار الدول الغربية على مد وترسيع نطاق احكام اتفاقية «الجات» لتشمل براءات الاختراع وحقوق الملكية والمسائل التى تتعلق بنقل التكنولوجيا الى دول العالم الثالث، ففى حالة وجود شريط مزور لفيلم او اغنية او كتاب يمكن فى هذه الحالة فرض عقوبات على صادرات هذه الدولة وحرمانها من دخول الأسواق الامريكية.

وموضوعات الملكية الفكرية وبراءات الاختراع اصبحت من الموضوعات الساخنة فى هذه المفاوضات ويطلق عليها «TRIPS» وترجع الخطورة لان هذه مسائل تتعلق بنقل التكنولوجيا والصناعات الدقيقة التى سوف تكون شكل ومضمون اقتصاديات القرن الواحد والعشرين ومن يسيطر عليها الى جانب السيطرة على التجارة العالمية وقطاع المصارف سوف يسيطر على العالم ويتيح لعملية النهب المنظم وصناعة الجوع أن تستمر.



مجلة مفترق طرق
CROSS ROADS

الثورة المضادة والعالم الثالث

كاتلين جاون
ترجمة
د. عبد العظيم أنيس

بالرغم من غموض الاشارات الاولى فقد أصبح من الواضح الآن أن موجة الثورة المضادة تكتسح أجزاء كبيرة من العالم. وبينما كان الكثيرون من الماركسيين الغربيين يرون منذ زمن طويل أن حكومات أوربا الشرقية غير قابلة للبقاء وأنها يوما ما لابد أن تزاح، وأنه قد آن الاوان لحدوث تغييرات جذرية في الاتحاد السوفييتي... فإن القليلين تصوروا أن تتجه دول أوروبا الشرقية خلال شهور قليلة الى الرأسمالية أو أن يتمزق الاتحاد السوفيتي- الواقع بالفعل في أزمات اقتصادية عنيفة- بالصراعات العرقية والاقليمية ويتعرض لخطر التفتت.

لكن أشد مايثير الحزن أن كل هذا يجرى - فيما يبدو- ضمن فراغ نظرى حقيقى. فالمتحدثون السوفييت القياديون يعلنون أن التيارات الثلاثة الثورية لعصرنا (التناقض بين المعسكرين الاشتراكى والرأسمالى، نضال التحرر الوطنى، نضال العمال ضد رأس مال فى الدول المتقدمة صناعيا) قد عفا عليها الزمن. ومع ذلك لم يضعوا شيئا مكانها باستثناء الحاجة الى نزع السلاح النووى والقيم الانسانية العالمية وزيادة عرض السلع الاستهلاكية لمواطنيهم. وهى أهداف مطلوبة حقا ولكن يبدو أنه فى المستقبل المنظور فإن العمل النظرى الاشتراكى والتوجهات الجديدة لابد أن تأتى من مكان آخر. ومهما كانت النوايا والأهداف فإن المعسكر الاشتراكى- باستثناء كوبا وربما فيتنام- يموت كما تعطلت التيارات الثورية الثلاثة، بل إن حركة نزع السلاح تبدو اليوم لدى الشرق وكأنها مسألة خاصة بالحكومات والمفاوضات دون مدخل شعبى مؤثر.

ولقد تعودنا على التخلى عن المثل الاشتراكية والنضال الطبقى العالمى فى الصين منذ عشر سنين. والآن يحدث نفس الشئ فى معظم أرجاء الدائرة الاشتراكية السابقة.

نتائج للعالم الثالث.

وحاليا يعانى العالم الثالث من النتائج بينما تجنى الامبريالية الثمار فالمعونة السوفيتية والاوربية الشرقية لدول العالم الثالث الاشتراكية- وهى معونات أساسية لكوبا وانجولا وأفغانستان ودول الهند الصينية- قد خفضت بدرجة كبيرة. ولإضافة المهانة الى الجراح يقول المتحدثون السوفييت الآن لهؤلاء الرفاق إن فقرهم وبؤسهم فى الاساس خطاهم لأنهم ناضلوا من أجل ثورات غير قابلة للنجاح فى المحل الاول ولأنهم على درجة من التخلف لم يسمح لهم بالاستفادة من المعونة فى الماضى (انظر مثلا فيكتور شينيس: مشاكل الاقطار النامية» معالجات جديدة فى العلوم الاجتماعية، أكاديمية العلوم السوفيتية عدد ٣، ١٩٨٩ ص ١٥٣- ١٧١). إن المتحدثين السوفييت يدينون كوبا بسبب انتهاكات حقوق الانسان لكنهم لايقولون شيئا (أو يقولون قليلا) عن جو اتيمالا والسلفادور والفيلبين وجنوب وافريقيا واسرائيل والولايات المتحدة. وفى كمبوديا انضم الاتحاد السوفيتى الى الصين والولايات المتحدة فى الدعوة الى استقالة الحكومة الثورية هناك وإعادة عصابة بول بوت الى قسم من سلطة الدولة وليس هناك شك فى أن انهيار المعسكر الاشتراكى قد ساهم بشكل مباشر أو غير مباشر فى الغزو الامريكى لبنما وفى الكارثة الانتخابية لنيكارجوا، وفى حقيقة أن القوى الثورية فى كمبوديا والسلفادور وموزامبيق وانجولا وأفغانستان إما انها ضعفت بشكل جدى أو أنها اضطرت الى التفاوض مع أعدائها الفاشست.

صحيح أن هذه النذر ليست كلها شؤما، فمعظم حكومات أوربا الشرقية- وهى مخلوقات غير محبوبة وثمرة الحصار الامبريالى والحاجة السوفيتية للأمن- كان لابد لها أن تنتهى فى نهاية الأمر. وهاهى قد ذهبت وأصبح الطريق الآن مفتوحا لصراعات تاريخية من أجل اشتراكية اكثر ديمقراطية وإنسانية. إن المركزية الديمقراطية ليست ملائمة لمجتمع صناعى متقدم أو للمشاركة فى اقتصاد دولى أو للتبادل الحر بين مواطنى العالم. وجرائم الستالينية كان لابد من فضها، ونزع السلاح النووى مسألة ضرورة إذا قدر لنا أن نعيش للقرن القادم، وكذلك - وربما اكثر- النضال للحفاظ على البيئة التى دمرتها- بالتساوى- كل من الرأسمالية والاشتراكية.

وبصرف النظر عن أحداث المعسكر الاشتراكى (سابقا) فإن الرأسمالية مازالت تترنح على حافة الكارثة العالمية بل وحتى الانهيار. وإزالة «الخطر الشيوعى» الذى دعم رأس المال خلال ٤٥ سنة قد يسرع بنهايتها، وفى الماضى عندما كانت تتنافس دولتان استعماريتان أو اكثر كان التغلب على الكسادات الكبيرة يجرى من خلال حروب كبيرة. واليوم وقد ظهر تنافس ثلاثى الاركان بين أمريكا الشمالية وأوربا الغربية واليابان لم تعد الحرب العالمية ممكنة ولابد من البحث عن طريق آخر للخروج من الازمة الاقتصادية. ومن المشكوك فيه أن يوجد طريق خلاف نضال طبقى طويل الأمد على المستوى الدولى، نضال يؤدى الى وضع نهاية للرأسمالية وإحلالها بنظام دولى تعاونى قائم على التخطيط، وكما يشير بول سويزى فإن للاشتراكية نفس فرصة البقاء التى للبشرية، فالاشتراكية وحدها هى التى يمكن أن تنقذ البشرية من الفناء. (بول سويزى، ١٩٨٩ مونثلى ريفيو إبريل ١٩٩٠)

ولكن ما الذى يجب عمله ؟ ومن سيقوم بذلك؟ ومن سيقود؟ أن الاجابة على تلك الاسئلة صعبة وقد لاتكون واضحة قبل عدة سنوات، ولا أستطيع سوى أن أقدم بعض الاقتراحات الاولية المؤقتة.

وأحد هذه الافكار أنه لكى نعرف ما الذى ينبغى عمله أو ما يتوقع أن يحدث بعد الآن... هو حاجتنا الى إعادة فحص المجتمع الدولى وتغيراته الحديثة. وأحد هذه التغيرات أن مايعرف بالشعوب البيضاء تتناقض كنسبة

من سكان العالم. ففي ١٩٠٠ كانت الشعوب البيضاء أساسا في أوربا وامريكا الشمالية واستراليا ونيوزيلندا تمثل ٣٢٪ من سكان العالم. وقد هبطت هذه النسبة الى ٣١٪ عام ١٩٥٠ ووصلت ٢٠٪ عام ١٩٩٠.

واذا أخذنا في الاعتبار هجرة أعداد كبيرة من غير البيض الى هذه البلدان في السنين الاخيرة وهجرة البيض من المستعمرات السابقة فسوف نجد أن نسبة السكان البيض هي في الواقع أقل من ٢٠٪ وكما يوضح مثلا «مانج ماربل» فإن الامريكيين السود (٣٠ مليون) والامريكيين من أصول اسبانية (٣١ مليون) والامريكيين من أصول أسيوية (٤مليون) يشكلون الآن ٢٦٪ من سكان الولايات المتحدة. وفي نهاية التسعينات فإن ثلث قوة العمل الامريكي ستكون غير بيضاء، وفي عام ٢٠٠٠ فإن غالبية سكان كاليفورنيا لن تكون بيضاء، وكذلك غالبية سكان الكثير من الولايات خصوصا الواقعة في الحزام الشمسي، وإذا استمرت النزاعات الحالية فإن غالبية سكان الولايات المتحدة ستكون غير بيضاء في الفترة بين ٢٠٥٠ر ٢٠٧٠ بلاديا.

إن العرق أقل ارتباطا بالطبقة - على النطاق العالمي- مما كان في الماضي. وعلى الرغم من أن معظم الاقطار الاكثر غنى (بدخل فردي يصل في المتوسط الى اكثر من ١٠٠٠٠ر دولار أمريكي) تميل الى أن تكون بيضاء إلا أن الوضع أقل سوءا مما كان عليه الحال منذ أربعين عاما، فالدول المنتجة للنفط مثل بروتو والبحرين والكويت والسعودية والامارات وقطر قد انضمت الى الدول الغنية جدا كما فعلت هونج كونج، وأصبحت اليابان الآن اكثر الدول الصناعية تقدما، وعلى المستوى التالي الادنى ارتفعت سنغافورة وليبيا الى دول المجموعة متوسطة الدخل، وفي المجموعة التالية لذلك (من ألفين الى ستة آلاف دولار) نجد قوس قزح من أجناس مختلفة يضم أسبانيا والبرتغال واسرائيل وقبرص وجنوب افريقيا ومالطة والجزائر وفنزويلا وجزر الهند الغربية وسيشل والارجنتين، كما انضمت اليه كوريا الجنوبية وتايوان. وربما تؤدي هذه التغيرات بين الأعراق المختلفة الى حركات عنف بيضاء في المدى القصير، ولكنها تعني في المدى الطويل أن سيطرة البيض محكوم عليها بالإخفاق، وأحد واجباتنا هو تسريع هذه النهاية.

وعلى الرغم من أن الطبقات أصبحت الآن اكثر اختلاطا من الناحية العرقية في المستويات العليا والمتوسطة إلا أنها هي والدخول اكثر استقطابا والتركيب الطبقي الدولي «يتهاوى» فشعوب الاقطار الاكثر تقدما من الناحية الصناعية تهبط كنسبة من سكان العالم. إن دخل الدول المتطورة رأسماليا يصل الدخل في المتوسط الى ١٢٣٥٥ دولار سنويا، ولكنها تمثل ٤ر١١٪ من سكان العالم، وهي في هبوط. وحتى في داخل الاقطار الغنية هناك العديد من ملايين الفقراء أو الفقراء جدا لقد وقع الاستقطاب ومن المرجح أن يزداد الصراع الطبقي.

وفي الطرف الآخر يعيش نحو ٦٤٪ من سكان العالم في أقطار دخلها أقل من ألف دولار سنويا، كما يعيش نحو ٧٣٪ بدخل أقل من ٢٠٠٠ دولار سنويا. ويمثل العالم المتخلف (أقل من ستة آلاف دورلا سنويا) ٨٤٪ من سكان العالم، إن في العالم صفوة غنية إلا أن الغالبية العظمى تعيش مايقرب الفقر المدقع.

أما الدول الاشتراكية (أو الاشتراكية سابقا) فلم تتقدم هي الاخرى في المتوسط منذ ١٩٦٠. و في الدول الاشتراكية الأقل نموا (٢٧ ٪ من سكان العالم) كان الدخل الفردي في المتوسط هو ٧٣٦ دولار فقط، وهو أقل من الدخل المتوسط الذي تأخذه شعوب المناطق الرأسمالية المتخلفة (٩٠٨ دولار). بالطبع فإن نسبة اكبر من الدخل يأخذه مواطنو الأقطار الاشتراكية بشكل عيني أو خدمات بحيث لاتكون المقارنة عندئذ صحيحة. ولكن حتى مع ذلك فإن هذه النتائج غير مشجعة وتعتبر كوبا اكثر الدول الاشتراكية الاقل نموا نجاحا، لكن عزلتها تزداد بحيث أن مستقبلها غير مؤكد، كما هو الحال في فيتنام إن الدفاع عن كوبا وفيتنام ودول العالم الثالث الاخرى التي تحاول الحفاظ على هيكلها الاشتراكي هو بالتأكيد أحد التزاماتنا العاجلة تماما.

وبين الدول الاشتراكية الصناعية- التي تمثل نحو ٨ر٢٪ من سكان العالم- نجد أن المانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا هي التي تقترب من دخول الدول الرأسمالية الصناعية بدخل فردي يبلغ في المتوسط ٩١٥٠ دولار سنويا. والباقي- بما في ذلك الاتحاد السوفيتي- تقع في المجموعة المتوسطة الادنى بمتوسط دخل فردي يصل الى ٢٨٥٢ دولار، وهو نفس مستوى اليونان والبرتغال والمكسيك وفنزويلا- وبينما تتخلى معظم دول اوربا الشرقية هذه عن مركزيتها البيروقراطية فإنها تحاول اللحاق بمستوى دخل دول غرب أوربا الرأسمالية. وستصبح الصفوة في تلك الاقطار التي ستنجح في تحقيق ذلك مستغلة لفقراء العالم الثالث كما تنبأ كاسترو. أمان الاقطار التي ستفشل قوة تجد الشعوب نفسها تناضل مع كل فقراء العالم من أجل نصيب أعلى من ثروة العالم

نضالات على النطاق الدولي:

وبصرف النظر عما سيحدث للدول الاشتراكية سابقا فقد يبدو من غير المقول أن ٨٠٪ من شعوب العالم التي تعيش في فقر مدقع وتزداد فقرا لن تجمع قواتها في نهاية الأمر وتنزع عن نفسها قيود الدين والحرمان والعذاب الذي فرضه عليها رأس المال سواء كان استعماريا أو داخليا.

واذا كان لهذه الشعوب أن تنتصر فربما تشمل هذه النضالات قارات بأكملها دون أن يتناقض هذا مع نشاط حركات التحرر الوطني الفردية، كجنوب أفريقيا، وكما هو الموقف دائما فإن واجبنا في الدول الصناعية هو دعم هذا النضال، مع دفع الصراع الطبقي ونضالات النساء وغير البيض وكل الجماعات المقهورة على هذه الارض.

إن من المرجح أن تلعب النضالات على النطاق الدولي في التسعينات دورا رئيسيا حيث تتوحد البشرية بفعل الاتصالات الحديثة والاخطار العالمية المتزايدة وإن للحملة ضد الاسلحة النووية والكيمائية والبيلوجية وللمحافظة على كوكب الارض والجنس البشري أولوية واضحه، وقد عبأت بالفعل الملايين في كل العالم

أما بالنسبة للماركسيين فقد يكون الواجب الرئيسي في التسعينات واجبا ثقافيا ونظريا. ومثل زملائنا في الاقطار الاشتراكية السابقة نجد أنفسنا في فراغ نظري حقيقي. فنحن نعلم أنه لا الرأسمالية ولا المركزية البيروقراطية يمكن أن تنقذ العالم، لكننا نجهل كيف يمكن بناء اشتراكية ديمقراطية. ونحن نعلم أن الدول المسلحة وهي مؤسسة لها من العمر ٥٠٠٠ سنة- عديمة الجدوى وأصبحت اكثر خطورة مما نتصور لكننا لانعرف كيف نخلق مجتمعا دوليا موحدا على أنقاض هذه الدول المسلحة وفي الماضي لم نكن نميل إلى التخطيط من أجل بناء مستقبل عالمي اشتراكي ويبدو لي ان من الضروري أن نبدأ هذا التخطيط وأن هذا سوف يحتاج الى خبرة وحماس وكتب مثل «اقتصاديات اشتراكية ممكنه» لأليل نوفي أوكتاب «حالة العالم» مفيدة هنا وبالمثل صحف مثل «الرأسمالية، الطبيعة، الاشتراكية» إن العالم مفتوح لافكار جديدة كما لم يحدث من قبل، وأمامنا عمل كثير من الضروري إنجازه



فن

سمع هس فالأقزام قادمون من الدرجة الثالثة

أحمد يوسف

على عكس مايبدو للوهلة الأولى، كانت سنوات الثمانينات من تاريخ السينما المصرية أكثر عقودها خصبا وعمقا. فعلى السطح كانت الصناعة السينمائية تنجرف أحياناً فى تيار انتاج أفلام المقاولات، الرخيصة فى تكاليفها ومضامينها، أو تختنق أحيانا أخرى فى قوالب النجم الأوحد والنجمة الأولى، أو تضل الطريق فى أحيان ثالثة الى سينما الجريمة والعنف والقتل، لكنها شهدت ميلاد جيل جديد من فنانى السينما، المهمومين بواقعهم، المهتمين بفنهم، والذين يضعون فى حسبانهم أن للسينما دوراً مؤثرا فى وجدان الجماهير.

ومن بين ستين مخرجا أنجزوا أفلامهم الأولى خلال الثمانينات أو حولها، تستطيع أن تميز سينما شابة تتلمس خطاها فى دروب جديدة عديدة. وهكذا خرجت الى النور أفلام محمد خان وعاطف الطيب، وداود عبد السيد، وخيرى بشارة، ورأفت الميهى، وبشير الديك وابراهيم الموجى، وشريف عرفة ويسرى نصر الله ، وآخرين. حاول كل منهم، بقدر متفاوت من الوعى السياسى والجمالى، التمرد وتحطيم القيد الذى فرضته الأنماط التقليدية التى لم تخرج عنها السينما المصرية إلا فى احوال نادرة.

لكن التنويعات على الأنماط التقليدية كانت أيضا عند بعضهم هى الطريق الى قلب الجمهور المصرى وعقله. لقد كان السؤال الأكثر الحاحاً عندهم هو الجمع بين الالتزام السياسى أو الاجتماعى، والاقتراب من الجمهور عن طريق تحقيق فن الفرجة والمتعة، وتلك هى المعادلة الصعبة التى حاولوا أن يجدوا لها حلاً.

وينفرد شريف عرفه باختياره قالب الكوميديا الموسيقية ذات التراث العريق العتيق لدى صناع السينما المصرية وجمهورها، التى لم يكن باستطاعته وحده أن يقتحم عالمها دون سيناريوهات ماهر عواد أو موسيقى مودى الإمام، ودون أن يستدعى الى وعيه أو لاوعيه كل التجارب السينمائية السابقة، بدءا من بساطة أفلام عباس كامل، أو جرأة «عودة الابن الضال» (١٩٧٦) ليوسف شاهين، او الرمزية السياسية فى «البداية» (١٩٨٦) لصلاح أبو سيف.

وعلى الرغم من أن هذا الثلاثى الفنى (عرفة- عواد- الامام) لم يقدم حتى اليوم سوى أفلام ثلاثة هى «الأقزام قادمون» (١٩٨٧) و«الدرجة الثالثة» (١٩٨٨) و«سمع هس» (لم يعرض جماهيريا حتى الآن)، فان الأفلام الثلاثة تشير الى انتماء أصيل للسينما المصرية الشابة التى تسعى الى الكشف عن الخطأ الكامن فى قلب النظام الاجتماعى، مما يذكرك على نحو قوى بعبارة بريخت على لسان «الانسان الطيب من سيتشوان»: (هناك شئ ما فى عالمكم غلط!)

لكن أفلام (عرفة-عواد-الامام) يمتد تأثرها بعالم بريخت وفنه الى مدى أعمق، فهى تمزج بين الفرجة والفكر، وبين الامتاع والتحريض، فهى تحاول دائما فى قصصها ذات الطابع الرمزى أن تنحاز للفقراء المطحونين، وأن تنضح تلك الدعاوى الزائفة التى تختفى وراءها الطبقات التى تمارس الاستغلال خلف قناع الدعوة للوطنية والانتماء، ليصبح الفقراء هم ملح الارض، ووقود الحرب، يغتنم الكبار كل المكاسب، ولايبقى للأقزام نصيب.

الأقزام بدأت صغيرة ، ولكن:

ليس الأقزام الذين يبشر فيلم «الأقزام قادمون» بانتصارهم الارمزا الى هؤلاء البسطاء، الذين لايجدون الا حياة متقشفة، لكنهم يعرفون كيف يستمعون بهذه الحياة، ويختارون طريقهم فيها، فنجد بطلهم «شيكو» ينتقل من العمل فى الاعلانات الى السيرك، لكنه يعود الى عربة الجيلاتى التى بدأ بها حياته وامست جزءا منه، يشعر معها أنه يحقق ذاته حين ينجح فى أن يبيع البهجة للأطفال.

وعلى النقيض ترى شهاب (يحيى الفخرانى)، مخرج الاعلانات الآتى من عالم (الكبار)، يبيع الوهم للجماهير فى اعلاناته الكاذبة حين يصنع لهم من القبح جمالا، حتى انتهى به الأمر الى أن يصبح جزءا من عالم زائف.

ويبدأ الفيلم بشهاب وقد أدرك أن اعلانا له عن ديسكو، لم يتحر فيه الدقة والصدق، قد أدى الى كارثة مروعه باحتراق الديسكو الذى ضاق بزحام مرتاديه، وتنزل التيترات على وجه البطل فى بروفيل قاس وصارم، والنار تأكل أسفل الكادر، بينما ينتهى الفيلم بالبطل وقد أحاط به الاقزام، يحتضنونه. ويحتضنهم.

وبين تلك البداية والنهاية، بين الاحساس بالوحدة المرتجفة والالتحام الدافئ مع أصحاب الحق، يدور الصراع الدرامى. فشهاب فى جوهره ليس الا فنانا سعى ذات يوم فى الماضى البعيد الى أن يخلق فناً سينمائيا، لكنه انزلق الى صناعة الاعلان حيث أصبح واحداً من أساطينها الكبار. وهاهو اليوم يتأمل حياته فيجدها خاوية، ويجد نفسه وحيدا رغم الأضواء، فيطلب وقتا للتأمل والراحة فى الاسكندرية، حيث يتقابل مع القزم شيكو الذى يعلمه فضيلة الصدق مع النفس، ويدعوه الى التمرد على من أضفوا التعاسة على حياته، إن شهاب يشعر أنه قد ولد بين الأقزام من جديد، حين يقترب من حياتهم، ويتذوقها، ليتأكد ان تلك هى الحياة

الحقيقية. (كانت عبارة «اقترب، وتذوق، وتأكد» بالنسبة له شعارا يستخدمه لتزييف الواقع فى اعلاناته، لكنها أصبحت طريقة لاكتشاف الواقع الحقيقى).

إن التجربة تفرض على شهاب اختيارا أكثر حسما، حين يكتشف ان الارض التى اقام عليها الأقزام مدينتهم الفاضلة، معرضة لأن تسرق منهم على يد رضوان (جميل راتب)، أحد رجال الأعمال الكبار، الذى يرمى الى اقامة مصنع للهامبورجر على أرض المدينة، مع وعد كاذب بتشغيل الأقزام فى المصنع، بينما يخطط للتملل بعدم ملاءمة طولهم القصير لتشغيل الآلات.

ويقف شهاب مع الأقزام، لكن رضوان، بسطوته وسلطانه، ينجح فى فرض مشروعاته الزائفة على حساب الفقراء، فيطرد الأقزام، ويهدم بيوتهم، ويضع الأمر أمام شهاب فى جمله بسيطة: (انت جاى تقف قصادى مع شوية أقزام؟ فوق! خليك مع الهامبورجر).

لكن شهاب لاينحاز للهامبورجر، ويقرر أن يستخدم فنه لفضح رضوان، فيتودد اليه بزعم صنع اعلان عن (هامبورجر رضوان)، ليفاجئ الجميع باذاعة الاعلان الذى يدعو المشاهد: (كن مع المغفلين وتمتع بسوء التغذية، الهامبورجر: فول الصويا بثمن اللحمة).

ولأن شهابا قد اختار أن يقف مع صغار الناس، يجد نفسه متهما بالجنون، ويودع مصحة الأمراض العقلية. لكنه يقرر- وقد أصبح فى نظر السلطة مجنونا- أن يقود جيش الأقزام نحو فيلا رضوان، لاسترداد ورقة امتلاكهم للأرض، ويعودون لبناء بيوتهم الجميلة الصغيرة الملونة وهو يغنون: (مش هانفضل مدفونين وكمشانين، لوسكتنا يبقى احنا الغلطانين).

إن الاقزام يدعوننا الى التمرد على الظلم، ورفض الامتثال للواقع الزائف، فالفيلم بذلك يوازى بين قضية سرقة الأرض وتدمير فرصة صغار الناس للحياة البسيطة، ومسألة انجراف المجتمع الى شهوة رأس المال التى تراكم الأرباح من خلال بيع الوهم للجماهير، فالحقيقة أن الاعلان- وهو مايوضحه الفيلم تماما- هو جزء من النظام الرأسمالى الذى لايصنع السلع التى تلبى الحاجات الحقيقية، بل يخلق احتياجات مصطنعة نحو سلعة قد لايحتاج لها المجتمع، كما يصنع من البشر أنفسهم سلعا تباع وتشترى.

ربما كان «الاقزام قادمون» يحتشد بكثير من الأخطاء التى تظهر فى الافلام الأولى لصانعيها، والتى ينبع معظمها من البناء الدرامى غير المتماسك، والذى يقفز- دون ضرورة الا الاضطرار لسرد الحدوتة- من الحاضر الى الماضى مفتقدا أدوات الانتقال الناعمة. وقد تبدو لك الاستعراضات الموسيقية الراقصة فقيرة ساذجة، محصورة فى نوع من الموسيقى الميكى ماوسية (وهو اصطلاح معتمد فى السينما الهوليودية يعنى أن تلتزم الموسيقى بترجمة حركات الشخصيات فى تتابعات ايقاعية أو نغمية كما فى أفلام الكارتون تماما). ولعلك تستطيع أن تلمس نزعة تختلط بالرومانتيكية فى تصوير (يوتوبيا) الأقزام، حتى أنك قد تسأل نفسك اذا ماكانت حياة الفقراء- الذين يرمز الأقزام لهم- تتمتع بتلك البساطة الساحرة التى تراها على الشاشة، لكنك تخرج من الفيلم وقد أصبحت- بالفعل- أكثر ايمانا بانتصار هؤلاء الأقزام، حين ينجحون- وتنجح- فى نزع القيد عن العملاق الكامن فى أرواحهم وعقولهم وأحلامهم.

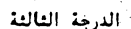
إنهم يسرقون أمجادنا وأفراحنا!

أبناء «الدرجة الثالثة»، هم مثل «الاقزام» تماما، رمز للفقراء الذين يبشر بانتصارهم أيضا الفيلم الثانى للثلاثى (عرفة- عواد- الامام). انهم الفقراء الذين يبنى الوطن على أكتافهم انتصاراته، بينما يذهب المجد الى السلطة وحدها.

وأنت اذا استطعت- مؤقتا على الأقل- أن تقبل الرمز الذى يقدمه الفيلم، لأدركت أن النادى الذى يسيطر عليه مجلس الادارة هو الوطن، وأن جماهير مشجعى الدرجة الثالثة أصحاب الفضل الحقيقى فى انتصار ناديهم هم أبناء الوطن الذين يصنعونه بعروقهم ودمهم.

إن بطل الفيلم سرور (أحمد زكى) يقرر أن يستمتع ليلة واحدة بالكأس الذى فاز به النادى، فيسرق الكأس، وينام محتضنا إياه ليحلم فى مشهد رائع بأن الكأس- فى بهائه الأسطورى- يطوف بالقرى والمدن، والحقول والمصانع، يعيش مع الناس ويعيشون معه لحظات عملهم ولهوهم ونضالهم، ويمتزج بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم. لكن جمعية حبايب النادى- هكذا تسمى السلطة فى الفيلم نفسها- ترى أن الكأس، غنيمة الانتصار وبهجته، من حقها وحدها، وأن على الجماهير أن تكتفى بالتشجيع وتتوقف عن الاحلام.

لذلك يجد سرور نفسه- على نحو قريب من مصير شهاب فى «الأقزام»- متهما بالخيانة والعمالة للنادى المنافس، ويودع السجن، ليتوسل رفاقه الى رئيس النادى عوف (جميل راتب)، فينالون علقة ساخنة


الدرجة الثالثة



من المشجعين المنافسين، مما يدعو الجماهير لاعلان الاضراب عن التشجيع الا اذا وفر لهم مجلس ادارة النادى الحماية اللازمة، لكنهم يعودون للتشجيع دون تلبية مطالبهم عندما يعلمون أن النادى- بدونهم- يخسر مبارياته، وبعد ما يناشدهم رئيس النادى بالعودة الى المدرج، ويهدى لهم باقات الزهور (الى الابطال اللى شرفونا. علقة تفوت ولاحد يموت)!

وعلى عكس «الأقزام» الذين يجدون فى شهاب مثقفا واعيا يقودهم الى انتزاع أرضهم، فان جماهير «الدرجة الثالثة» تفتقد تلك القيادة، لاتجد من بينهم من يملك وعيا نسبيا إلا شلكة (أحمد راتب) صبى القهوة، الذى لايكف عن السخرية العصبية، ومناعة (سعاد حسنى) بائعة لحم الرأس، المتنمرة المتحفزة دوما الى العراك ويبقى سرور- كما يقدمه الفيلم- مشجعا متحمسا الى درجة الهوس الأبله، مما يجعله مرشحا، فى رأى رئيس النادى، لتمثيل مشجعى الدرجة الثالثة فى مجلس الادارة.

إن الحب يربط بين سرور ومناعة، ويقرران أن يقيما حفل زفافهما على أرض النادى، فهما، ومعهما جماهير الدرجة الثالثة، يؤمنون أن النادى لهم جميعا، لكنهم يفاجأون بثورة رئيس النادى الذى يتهمهم بالخروج على النظام واتلاف (المقصورة)، ويصمم على زيادة سعر تذكرة الدرجة الثالثة لاصلاح تلك التلفيات.

وهكذا يكون على الجماهير أن تعمل وتكدح، دون أن تتصور أن لها نصيبا من الوطن، بينما يظل أهل المقصورة مشغولين بامتيازاتهم التى يحصلون عليها على حساب الجماهير، إن المفارقة الساخرة تصل الى ذروتها عندما تطالب الجماهير بتشييد مظلة لحماية المشجعين من ضربة الشمس، فتستجيب المقصورة لذلك باقامة مصنع (للبرانيط) التى تباع اجبارياً مع التذكرة، والاستعانة بخبير فرنسى لعمل قبعة تليق بتاريخ النادى!! أما باقى المشروعات المضحكة المبكية (لشدة واقعيتها) فهى توسيع مواقف سيارات الدرجة الأولى، واقامة زجاج واق للمقصورة ضد الرصاص!

إن سرور، ممثل الدرجة الثالثة الذى لايملك وعيا بالتناقضات الطبقية، يبصم على قرارات مجلس الادارة، بل أنه يهادنهم حين يوهمونه بأنه أصبح من (اللى فوق)، ويقنعونه بأن (احنا القمة، واذا انضربت القمة على القاعدة السلام)!

ولايفيق سرور من غفلته الا بعد أن يموت أحد المشجعين الفقراء من ضربة الشمس، بينما يكتشف سرور فى الوقت ذاته أن بائع التذاكر فى السوق السوداء ليس الا تابعا لمجلس الادارة، وجزءا من جمعية (حبايب النادى). وفى مواجهة حاسمة يقرر سرور قيادة الجماهير لرفع مطالبهم الى رئيس النادى ، الذى يشعر بأن الأرض تميد تحت قدميه، مما يدفعه لقرار ازالة مدرجات الدرجة الثالثة عن طريق نسفها بالديناميت برغم كونها آيلة للسقوط، الا أن الجماهير تحتل مدرجاتها عندما تكتشف أنه (لو جمهور الدرجة الثالثة اتجمع، مافيش قوة ها تمنعه من طلوع المدرج).

وفى اللحظة التى يأمر فيها رئيس النادى بتفجير الديناميت، يكون والد سرور- ذو الخبرة الطويلة فى مقاومة الانجليز أيام الاحتلال- قد نجح فى افشال التفجير، وتدق الجماهير بأقدامها على قواعد المدرجات وسط التهليل والفرحة، بينما ترى على الشاشة كراسى (المنصة) وقد تناثرت فى فوضى شاملة. ويشعل الجمهور الجرائد التى تصبح كالمشاعل، فيتحول ظلام الليل الدامى الى نهار يتوهج بالانتصار.

انك لاتستطيع أن تخطئ رغبة صناع الفيلم فى مزج فنون الفرجة بالرمز السياسى، لكن اختيار كرة القدم والنادى لتقديم هذا الرمز كان اختياراً لم يلتفت للتفاصيل الواقعية التى أفقدت المضمون كثيراً من تأثيره، بل ربما شوهته أيضاً.

فلايمكنك أن تعادل بين الجماهير الكادحة فى أعمالها، والمشجعين الذين يدفعهم الحماس الهستيرى الى تشجيع النادى، ولايمكن أن تصدق أن مشجعى النادى المنافس هم (الأعداء)، كما لايمكنك أن تقبل أن يكون التوقف عن التشجيع رمزاً للاضراب والمطالبة بتحسين ظروف الحياة، أو أن يكون (الكاس) فى رحلة الحلم الاسطورية هو روح الانتصار التى تطوف بالوطن. فهذا البناء الرمزى يجعل الفقراء أقرب للغوغاء، تراهم يعيشون بلا هموم حقيقية، يهتفون فى بلاهة، ويأكلون فى جشع، ويبدو حبهم للنادى (الوطن؟) نوعا من العصبية القبيحة.

كما أن السلطة على أرض الواقع لاتقمع الجماهير بالغاء طبقتها، كما فعل رئيس النادى بالتخطيط لنسف مدرجات الثالثة، فالطبقة المطحونة كانت وستظل هى الوقود الذى تسير به آلة السلطة، ولاتعيش الطبقات المستقلة الا عندما تكون هناك طبقات يقع عليها الاستغلال.

وربما كان افتقاد الانصهار بين الواقع والرمز فى «الدرجة الثالثة» يعود الى العيب ذاته الذى شاب «الأقزام»، فمايزال البناء، مفككا حائرا بين الأفكار التى يحتشد بها الحوار، والمشاهد الفرعية التى تميل الى (الفرسكة) والتهريج، يساعدها فى ذلك الميل الى تحويل الشخصيات الى الأنماط الكاريكاتوريه المسطحه، بحيث أضاعت الملامح الرقيقة والدقيقة لشخصية مناعة، التى كانت- دون تلك السوقية والعدوانية التى رسمت بها- سوف تصبح أكثر اقترابا من

سعاد حسنى



الشخصية الشعبية، ببساطتها وجرأتها، وبقدرتها رغم كل الظروف على أن تظل منيعه فى مقاومتها، عصية على الانهزام.

ومع ذلك، يبقى لفيلم «الدرجة الثالثة» أنه حاول من خلال قالب، تصوره أصحابه قالبا شعبيا، أن يطرح العلاقة بين السلطة والجماهير، وأن يفضح المزاعم التى تخفى الاستغلال وراء الشعارات الوطنية، وأن يدافع عن الجماهير التى تصنع مجد الوطن، لكنهم يسرقون منها حتى أفراحها الصغيرة.

الوفاء للشكل، فماذا عن المضمون؟

إن سرقة جهد الفقراء هو التيمة الرئيسية لفيلم «سمع هس» أيضا، الذى يعتبر أكثر أفلام الثلاثى (عرفة-عواد-الامام) اقترابا من النجاح من ناحية الشكل الفنى، ليس فقط لأنهم أصبحوا أكثر امتلاكا لحرفية السينما، وإنما أيضا لأن موضوع الكوميديا الموسيقية هذه المرة هو الموسيقى ذاتها، حين يمكن لفكرة موسيقية بسيطة أن تتحول الى نسيج أوركسترالى.

واتساقا مع الانحياز (العاطفى) للفقراء، يقف صانعو الفيلم الى جانب أصحاب اللحن الشعبى الساذج. إنهما حمص وحلاوة (ممدوح عبد العليم وليلى علوى)، المونولوجست والراقصة اللذان يطوفان بالموالد والأفراح، يصنعان للناس البهجة الحقيقية، وأن اتسمت ببعض الخشونة ككل طعام الفقراء.

أنهما يكتشفان أن لحن المونولوج الساذج الذى يقدمان به نفسيهما الى المتفرجين، قد سرق منهما وتحول على يد المطرب الشهير غندور (حسن كامى) الى أغنية وطنية مبهجة الالحان، تتغنى بالمشاعر الجوفاء المزيفة التى تذكرك- فى محاكاة تهكمية ساخرة- بتلك الأغنيات التليفزيونية، حين ترى غندور بملابس عسكرية تارة، ويقود سيارته فى شوارع القاهرة تارة أخرى، ويقف أمام الأهرام تارة ثالثة، ويغنى: (أنا وطنى باتشد واطنطن، وأغنى فى حبك ياوطنطن)!!

وهكذا يصبح المجد والثراء من حق اللص غندور، بينما يظل حمص وحلاوة يحاولان دون جدوى أن يدافعا عن ملكية لحنهما. وحين يشترى غندور سكوتهما عن حقهما بالمال، يكتشفان أنه قد خدعهما حين سرقه منهما مرة أخرى، ويفيقان من وهم أحلام الثراء ليجدا أنهما قد أصبحا وحيدين، فقد ذاب رفاق رحلتهما فى الحياة الزائفة.



الأقزام قادمون

إن رحلة حمص وحلاوة فى الدفاع عن حقهما تكتسب هنا بعداً رمزيا مزدوجاً، حين تبدو فى جانب منها صراعا بين من يصوغون الحياة ومن يسرقونها، من يبذلون الجهد الحقيقى ومن ينسبونه الى أنفسهم، كما تبدو فى جانب آخر صراعا بين الشعوب التى تدافع عن أنماط حياتها البسيطة ضد التبعية والذوبان فى (أمركة) الحياة. ومثل الفيلمين السابقين، يؤكد «سمع هس» على ضرورة نزع ذلك القناع الذى يختفى وراءه الاستغلال بكل صوره، والذى يتخفى كاذبا خلف شعارات الوطنية، فيطلب من الجماهير أن تعطى الوطن، دون أن تسأل عن مفهوم الوطن، الذى يعنى عند كل انسان كادح تلبية حاجاته الأساسية البسيطة.

لكن هنا أيضا، وربما أكثر من الفيلمين السابقين، يشوب الفيلم سخرية متوارية مريرة من (الجماهير) الذين يتصور الفيلم أنه يدافع عنهم (!) انهم آكلو الفول والطعمية والعدس الذين يطمحون الى الحياة المرفهة فى ظل الأوهام التى تمنحها لهم وسائل الاعلام، وهم لاعبو الطاولة المشغولون بلهوهم عن القضايا الحقيقية، وهم تلك الادوار المساعدة والثانوية الذين لايجد صناع الفيلم لتصويرهم الا اللجوء مرة أخرى الى الشخصيات النمطية التى تشعر أنك قد رأيتها فى عشرات الأفلام الساذجة: صاحبة البنسيون العجوز المتصابية، وقواد الكابارية، وصاحب شركة الكاسيت الذى يجرى وراء شهواته، والمحامى الفاشل الذى يبيع قضيته لينتقل من هوة الفقر التى يعيش فيها.

ربما اذا أحسنا الظن- كانت تلك السخرية من الجماهير وقوعا فى فخ الشكل التقليدى لنمط الكوميديا الموسيقية كما قدمتها هوليود. وقلدتها السينما المصرية، حين يدور الفيلم كله عن بطل أو بطلة، أو هما معا، فى رحلة اثبات الذات ضد المجتمع بينما تصنع الشخصيات الأخرى خلفية تحتشد بعض الضحكات تارة، وقطرات الدموع تارة أخرى.

لكن هذا يعنى أيضا أن على ثلاثى (عرفه- عواد- الامام) أن يبدأوا بالواقع، وليس بتقليد الصورة التقليدية الزائفة له، وأن عليهم أن يبذلوا جهدا للاقتراب الصادق الحميم من الجماهير ليقدموا صورة حقيقية لهم، تخلو من الرومانتيكية المسطحة ليوتوبيا الأقزام، وتحاذر من غوغائية أبناء الدرجة الثالثة، وتبتعد عن خشونة وسوقية رفاق حمص وحلاوة.

لقد بدأ الثلاثى رحلتهم فى البحث عن صيغة جديدة تجمع بين الكوميديا الموسيقية والتعبير عن هموم الواقع، وهم بذلك اختاروا الطريق الأكثر صعوبة، لكنه أيضا الأكثر صدقا والتزاما وهم بالتأكيد مشغولون باتقان (الشكل) الفنى الذى اختاروه، لكن هل يعنى ذلك تخليهم عن (المضمون)؟ وهل يستطيع أبناء جيلهم من السينمائيين أن يقدموا اجابة عن المعادلة الصعبة التى ظلت السينما المصرية فى أغلب أفلامها عاجزة عن فهمها: أن تصنع أفلاماً جماهيرية، بشرط الا تفقد ايمانك بالجماهير؟!

دفاعا عن وجبة لاتنتهي

السينما المصرية والمرحلة الرابعة!

ماجدة موريس

هل صحيح أن أحداث الغزو العراقي للكويت تهدد السينما المصرية، أو هددتها بالفعل، بالشلل الكامل حتى أصبحت على ابواب النهاية؟

ان محاولة الاجابة عن هذا التساؤل تقتضي أولا الاعتراف بأن السينما المصرية الآن في أزمة لم تمر عليها طوال تاريخها الممتد عبر ستين عاما، وهي أزمة تهدد الايجابي المتبقي منها. لكن، ليس صحيحا أن السينما المصرية قضت عليها أزمة الخليج وأحداث الغزو وأنما قضى عليها منذ عشرين عاما تقريبا، بعد بداية السبعينيات ولاسباب عديدة ومتنوعة ، تقتضينا العودة الى الوراء لبيان مسيرتها وكيف تتابعت لتصل بها الى ذلك الوضع المهين..

لقد مرت السينما بثلاث مراحل واضحة عبر تاريخها، المرحلة الاولى منذ البداية وحتى ماقبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ثم مرحلة الثورة والتأميم. ثم المرحلة الثالثة وهي مرحلة مابعد عام ١٩٧٠ وحكم السادات والانفتاح الاقتصادي وصولا الى حكم الرئيس مبارك وتوشك السينما مع أقتراب عام ١٩٩٠ من نهايته على الدخول في مرحلتها الرابعة أن لم تكن قد دخلتها بالفعل، وهي المرحلة التي يمكن تسميتها مرحلة غزو الكويت، واغلاق السوق الرئيسي المتمثل في ثلاث دول بالتحديد كانت تشتري الفيلم المصري وهي «الكويت، والامارات العربية المتحدة والسعودية.

وأهم ملامح المرحلة الاخيرة هذه عبر العشرين عاما الماضية، والتي ارتبط بها رواج الفيلم المصري واستمرارية انتاجه هو فرض قيود حكومات الخليج وتقاليد وعادات وأخلاقيات تلك المجتمعات الثلاثة الرئيسية على الفيلم المصري، ومنعه من مناقشة قضايا حقيقية صارخه وملحه بحكم «فرمان» منع التمويل عنه ومن المدهش حقا أن تلك الدول الثلاث التي اغلقت في وجه الفيلم المصري الآن هي في نفس الوقت دول الأزمة فاحداها (الكويت) هي الدولة التي غزتها العراق، والاثنتان الاخريتان هما اللتان تستشعران الخطر وقد فشلت عملية البحث عن ممول بديل من أي سوق عربي أو عجمي يعوض ثلثي تكلفة الفيلم المصري والتي تدفعها الدول الثلاثة خاصة والفيلم المصري لايغطي تكاليفه داخل مصر لاسباب برزت في المرحلة الثالثة وهي:

أولا: عودة القطاع الخاص للانتاج السينما، بشكل نهائي مع بداية السبعينات وسيادة مفهوم العرض والطلب أيضا بشكل نهائي في انتاج الفيلم الروائي وبحيث يحدد السوق مواصفات السلعة ويفرض عليها شيئا فشيئا تقلباته ومزاجيات السوق والسادة الجدد.

أول قطاع عام يعم إلغاؤه

ثانيا: أنكماش دور القطاع العام في السينما الى حد توقفه الكامل عن الانتاج والغائه وكانت السينما أول صناعة مصرية يلغى فيها القطاع العام تماما لحساب القطاع الخاص والأخطر من هذا تخلي الدولة عن الاستديوهات والمعامل وعدد من دور العرض وتأجيرها للمنتجين لانتاج افلامهم (الرديئة في اغلبها) ولم يبق للدولة دور الا في حالات نادرة مثل تقديم بعض السلف عبر هيئة السينما في شكل خدمات انتاجية، واحيانا التوزيع الداخلي (أي عرض هذه الافلام في دور العرض التابعه للهيئة). وبالتالي لم يعد للقطاع العام دور في أي من هذه المجالات ولامساهمة فيما يقدم من فكر ومضمون وفن، فقط مايحاسب عليه هو ربحه من التأجير والتسليف. وعلى سبيل المثال فدور عرض الهيئة لاتفرق بين فيلم مقاولات أو فيلم لمخرج جاد كبير، ونفس الحال في الاستديوهات وفي قبول توزيع العديد من الافلام التافهة والرخيصة.

ثالثا: سيطرة الموزع الخارجي، وهو عربي الجنسية ويدير شئونه السينمائية من خارج مصر، واقتصار عدد هؤلاء الموزعين على اربعة أو خمسة على أقصى تقدير والذين كرسوا مبدأ العرض والطلب كأساس نهائي لتوزيع أي فيلم مصري في العالم العربي. وترتب على هذا أن أغلى بلد تشتري هي التي تتحكم في الموزع ومساهمته في تكلفه الفيلم مع المنتج المصري من البداية.. وبالطبع فإن المنتج مضطر للخضوع للموزع ضمانا لشرائه للفيلم ولتوفير اكثر من نصف تكلفته من جيب الموزع أثناء عملية الانتاج بدلا من أن يدفع المنتج التكلفة كلها من جيبه، ثم يحصلها من الموزع فيما بعد، خاصة وإن عددا كبيرا من المنتجين لايملكون اصلا إلا



(موعد على العشاء) اخراج محمد خان

«العرابين» يدفعونها فى البداية للتعاقد مع المؤلف والنجوم حتى يأتى المدد من الموزع وتأسس على هذا فرض شروط الدولة التى تدفع أكثر للموزع وكذلك فرض شروط البطل نجم الشباك لدى تلك الدول وعلاقة غير مكتوبة بينهما، فهى- أى الدولة- لاتشترى الا باسم فلان، وفلان يفرض شروطه وحتى قبل الغزو العراقى للكويت، أى نهاية المرحلة الثالثة، نستطيع القول أن بطولات السينما العربية أصبحت محصورة فى أربعة أو خمسة نجوم رجال وممثلتين فقط!

رابعا: أنكماش دور العرض السينمائى من ٤٥٠ دارا للعرض فى مطلع الخمسينات الى أكثر من ثلاثمائة فى بداية السبعينيات الى ١١٩ دارا عام ١٩٩٠ وبحسبة بسيطة يمكننا تصور جسامة هذا الانكماش على عملية تغطية تكاليف الفيلم داخل مصر، فى الوقت الذى تنتج فيه دولة مثل (تركيا) التى لاتوجد لها اسواق خارجية مضمونة مايزيد عن ٥٠٠ فيلم فى العام وتغطى تكلفتها وتربح بسبب وجود ٤٠٠٠ دارا للعرض السينمائى بها ومن هنا يصبح واضحا أن قلة دور العرض فى مصر لاتحول فقط دون تغطية فيلمنا لتكلفته من الداخل، بل تزيد من قبضة الموزع الخارجى على عنق الفيلم، وتزيد تحكم الاسواق التى يوزع فيها الخ، وهذا الوضع المأساوى أصبح اكثر مأساوية عندما أغلق السوق الكويتى الذى كان يقدم مايساوى ثلثى التلكفة هو والامارات.

خامسا: التليفزيون، وتأثيره على الحياه الاقتصادية فى مصر، وعلى السينما بشكل خاص كمنافس ثقافى وترفيهى، وظهور شركات الانتاج الخاص مع دخوله عصر الالوان فى منتصف السبعينات فقد اصبحت منافسا خطرا لشركات الانتاج السينمائى بما تتطلبه من مسلسلات ولاستعانتها بمعظم نجوم السينما المشهورين وانتاجها موضوعات لاتفترق كثيرا فى التناول والتقنية عن اغلب ماينتجه مطبخ السينما المصرية وأن كانت تتفوق فى القيود المفروضة عليها، بسبب لائحة توزيع السعودية والخليج التليفزيونية

سادسا: الفيديو وانتشاره الرهيب فى المنطقة العربية، وجاذبيته التى ضاعفت من بقاء المشاهد فى البيت ومشاهدة نفس الفيلم السينمائى الروائى الجديد بعد اسابيع من عرضه الاول، مع تجنب مشقة النزول الى دار للعرض التى أصبحت مكانا للعذاب فقد تغيرت من مكان انيق مريح الى مكان أكل عليه الزمان وشرب يمتلئ بكل انواع المضايقات ولاتحترم جماهيره الجديدة من الحرفيين والطفيليين أبسط قواعد وتقاليد المكان العام، فاذا وجدت دار جديدة للسينما، مريحة فأين ميزانية الاسرة المصرية العادية التى تكافح الآن لتخفيض احتاجاتها الغذائية الضرورية مع كل زيادة يومية فى الاسعار، ومن ثم، تفضل هذه الاسرة التكاتف لشراء جهاز فيديو والاحتماء بالبيوت لمشاهدة السينما كبديل.

سابعا: التلازم الفعلى بين المشاهد الجديد الذى افرزته السبعينات، ونوع اغلب الافلام



(شقة وسط البلد) اخراج محمد فاضل

التي تنتج فالافلام أصبحت تغازل قيمه وعاداته وأفكاره والتي اقتربت من المناخ السائد في الدول الخليجية. فقطاع كبير من العمالة المصرية أصبح يعمل بالخليج منذ منتصف السبعينات كما أن المواطن الخليجي يعتبر السينما المصرية هي مشاهده مشاهير نجومها وفي اطار مجتمع متزمت تصبح السينما ايضا هي فرصته لمشاهدة سفور نجمات السينما وخلاعتهن!، وهذا بالطبع لايمنع من صرخات احتجاج تتعالى بين الحين والاخر حول سوء مستوى تلك السينما ، سواء من مصريين أو عرب فالمصريون، واغلبهن من المثقفين، الذين يحتجون على صفحات الجرائد يرفضون نشر غسيلنا القذر على العرب الذين يعملون لديهم لانهم يستهزؤون بنا والاحتجاج هنا لايفرق بين فيلم كبير يناقش قضايا هامة ويكشف تناقضات الواقع وعيوبه، وفيلم رخيص بشوه المواطن المصري ويزيف واقعه، فالامران متساويان بالنسبة لهذا الاحتجاج، لانه في الحقيقة لايريد أي شئ يسبب له أية متاعب من قبل مصر. ثم الاحتجاج العربي وهو نوعان الاول عاطفي يرفض سوء احوال السينما المصرية وافسادها لقيم أصيلة يحبها العرب في مصر ورغبة في ارتفاع مستواها لما يتمنوه حقيقة لمصر ولنجومها.. واحتجاج آخر، اكثر ثقافة، يعيب على السينما المصرية توقفها عن انتاج اعمال جادة تحض على زحزحة الافكار البالية والنظم المسيطرة التي تغلق ابواب التنوير والحرية والديمقراطية امام شعوبها

وهنا نأتي لقضية الايجابي في السينما .

بداية النهاية للسينما المصرية

واعني به تلك المحاولات التي ظل أصحابها يحاولون رغم هجمة السبعينات الشرسة، الاستمرار من أجل أثبات أن السينما في مصر مازالت قائمة ولها وجهها المضئ والمشرق أي الوطني والملتزم بقضايا وهموم هذا المجتمع وأحلامه

وقد تمثل هذا في رصيد الافلام المصرية الجيدة والمشرفة في هذه المرحلة والتي يمكن أن نذكر منها افلام مثل (على من نطلق الرصاص) «وسواق الاوتوبيس» و«العار» و«يوم حلو ويوم مر»... مرورا بافلام اخرى عديدة قاومت الضياع وبالطبع فإن عشرات الافلام هذه تكاد تكون محصلة تعاون وتوازن قام بين منتجين مغامرين ومخرجين على نفس الدرجة بصرف النظر عن شروط السوق الجديدة - أي العرض والطلب الذى أصبح هو الاساس في مقولة النجاح. الذى لاشك فيه الان انه الحاله التي وصلت اليها السينما في السبعينات وصولا الى أحداث الغزو.

فان هذه المحاولات والمغامرات أصبحت على كف عفريت لان أصحابها بالضرورة لن يعودوا قادرين على الاقتتال من أجل الاستمرار بعد أن سقط الهامش الذى يتحركون فيه نتيجه للغزو فالمنتجون القلائل الذين كانوا يخوضون هذه المغامرة، كانوا يوازنون بين مقتضيات العرض والطلب وعدم ابتذال السينما الى الدرجة النهائية فينتج الواحد منهم مثلا ثلاثة أو اربعة افلام سنويا تتمتع بكل «مواصفات السوق» في مقابل أن يحلوا بضاعتهم بفيلم من تلك الافلام الجيدة

واذا كان الوضع عبر السبعينات وحتى التسعينات قد استمر على هذا المنوال، فان الكثيرين ادركوا خطورة هذا المنزلق، ودقوا نواقيس الانذار من قبل، وجفت حلوقهم ثم



- كاتب سيما بيدعي انه صاحب سيناريو أحداث الخليج وبوش سرقه منه !!

سكنوا، الى أن حدثت الازمة ليعود الوضع الآن كما كان عليه عند بداية السبعينات، وهو أن الاستثناء لايمكن أن يستمر ليصبح القاعدة. فهو لايمت بصلة الى الاوضاع المستقرة للسينما المصرية ماقبل الخمسينات، ولا الى ماتبلورت عليه فى مرحلة الستينات، أى أن خيار السبعينات مابين سينما الرأسمالية الوطنية فى الخمسينات وسينما الدولة فى الستينات جعل السينما المصرية أشبه بمن فقد بيته وعمله. ومن هنا يصبح العود إلى البداية هو الاساس فى مناقشة قضية السينما فى مصر الآن.. فاما هي صناعة رأسمالية وطنية أو رأسمالية دولة.

وفى جميع الظروف فما يجب أن يشغلنا الآن هو المتبقى من هذه السينما حتى نستعيد السينما الوطنية التى فقدناها منذ السبعينات وحتى اليوم. فلم تعد نظرية واحدة كافية لكى تحكم الامور الآن سواء كانت رأسمالية الدولة او رأسمالية الصناعة الوطنية، لانه لايمكن مناقشة وضع أزمة السينما بمعزل أيضا عن المتغيرات التكنولوجية الحديثة التى استجدت على الواقع المصرى منذ بداية الستينات وهى دخول التليفزيون كمنافس والفيديو فيما بعد، والقنوات الفضائية للبث المباشر فى نهاية هذا العام ثم المتغيرات التى اهلكت أصول الصناعة التى انشئت منذ الثلاثينات وللأسف لم تضف اليها الثورة



(يوم مر.. ويوم حلو) اخراج خيرى بشاره

شيئا، ثم اذداد الامر تدهورا مع السبعينات، سواء فى شكل الاستديوهات والمعامل ودور العرض ثم اخيرا تنقية المناخ المسمم بين السينما والمشاهد كدار وكقيمة فكرية وفنية ومن ثم فان وضع اليد على موطن الداء الان فى تلك اللحظات الحالكة من تاريخ السينما المصرية هو الذى يمكن أن يفتح الباب من جديد لانقاذها وهو أن نبدأ فى التعامل معها كصناعة هامة كانت صناعة وطنية رأسمالية منذ ايام طلعت حرب. وفى ظل التأميم كانت ايضا صناعة وطنية هامة

والمطروح الان على الساحة اتجاهان: أما صناعة رأسمالية وطنية تبدأ وتنتهى بالحد الادنى المطلوب فى اى صناعة وطنية تضع على غلافها علامة الجودة والاصالة التى تسمح لها بالتواجد ليس فى العالم العربى فحسب وإنما فى اسواق جديدة تنتجها جودة المنتج (رغما عن أنف كل منتج منافس) لانها لاتقل عنه فى الجودة .. أو سينما تنتجها الدولة ولاتهتم أصلا بالعرض والطلب بقدر ما تقدم خدمة ثقافية نهائية للمشاهد المصرى، واذا ما أتيح لها التسويق فى العالم فلامانع (والعالم هنا ليس العالم العربى فقط لأنه العالم الضيق الذى حوصرت فيه السينما المصرية عبر العشرين عاما الماضية وتوهمنا بأنه سوق حقيقية لها)، وهناك حل يوازن بين الاثنين، بمعنى صناعة وطنية رأسمالية يفتح لها باب الاستثمار بشروط قوانينه التى تتيحها الدولة عبر مفهوم الانفتاح لاى منتج قليل الشأن، وبمقتضاها تحصل صناعة السينما على اعفاءات ضرائبية لمدة عشر سنوات كأى مشروع استثمارى يمكنها من انشاء وتجديد دور العرض والاستديوهات والمعامل، مع دخول الدولة طرفا فى انتاج افلام لاتستطيع الصناعة الرأسمالية انتاجها فالسينما فى النهاية ليست مجرد صناعة بل ثقافة بنفس الدرجة مهما رفع البعض شعار الصناعة اولا، ولان الفرق بين السيارة والفيلم سيظل طوال العمر هو أن السيارة يركبها الانسان وقد يبيعها أو يفقدها لسبب ما لكن الفيلم الجيد يبدأ تأثيره بعد الانتهاء من مشاهدته.. ويظل مستمرا بعد سنوات مؤثرا فى بلورة الوعى.. فالفيلم وجبة لاتنتهى...

(المتوحشة) اخراج سمير سيف





مصطفى حسنين المنصوري أول مفكر ماركسي مصري

د. رفعت السعيد

... للماركسية تاريخ عميق الجذور في التربه المصرية، يمتد عميقا حتى عام ١٨٩٤، عندما صدر أول منشور شيوعي يدعو العمال المصريين للاحتفال بذكرى كوميونه باريس.

.. واذا كانت الماركسية قد طرحت ثمارها المبكره عبر كتابات عديده بعضها مترجم والآخر لكتاب من الشوام، فان مصطفى حسنين المنصوري بكتابه الفذ «تاريخ المذاهب الاشتراكية» (١٩١٥) يعد أول جهد فكري ماركسي مصري متكامل، فهو لايكتفي بطرح شروح موجزة للماركسية وانما يقدم تحليلا دقيقا وعلميا للمجتمع المصري وطبقاته ثم يتقدم بعد ذلك ببرنامج اشتراكي لمصر..

قبل المنصوري بعامين كتب سلامه موسى كتابه الموجز «الاشتراكية» لكنه كان يقدم فكرا يميل الى افكار الاصلاحيين الانجليز والفابيين منهم تحديداً، كما أنه خلا من أي تحليل مصري النكهه أو اي برنامج مصري المحتوى..

وبهذا يتقدم مصطفى حسنين المنصوري حتى على من سبقوه كأول مفكر ماركسي في مصر.

* * *

* الاسم: مصطفى حسنين المنصوري

* تاريخ الميلاد: عام ١٨٩٠- حي عابدين القاهرة.

* المؤهل الدراسي: ليسانس في التربية والآداب

* المهنة: مدرس ثم ناظر مدرسه طوخ الاعدادية ثم تدرج في الوظائف حتى اصبح مدير التعليم في مجلس مدينة الفيوم..

* البدايه.... المدرس الشاب الذي يعمل في ريف الدقهلية يتردد دوما على أسرته بالقاهرة.. وفي عام ١٩١١- ١٩١٢ عرف طريقه الى مكتبه «ديمره» بمبنى فندق شبرد القديم.. وبدأ يطالع بنهم مايصل اليه من كتب، كانت معارك مصر ضد الاحتلال تشغل باله، وكبار الملاك الزراعيين وجبروتهم في الدقهلية يهز مشاعره، وكان يبحث عن طريق، والتقط من على أرفف مكتبه «ديمر» كتابين غيرا مجرى حياته «رأس المال لكارل ماركس» وكتاب آخر هو «تاريخ الاشتراكية».

ويتحدث مصطفى حسنين المنصوري كثيرا وطوال حياة مديده عن الأثر الذي تركه هذان الكتابان في نفسه، واندفع يطالع كل مايصل الى يديه من كتب تعالج القضايا الاجتماعية..

وبدأت فكرة دراسة المجتمع المصري على ضوء المعارف الماركسية تراود الرجل، وهو يصدها اشفاقا من صعوبة التجربة ومن صعوبة المواجهة، حتى أصدر سلامه موسى كتابه عن الاشتراكية معلنا أنه يستهدف الرد على «السخافات والغباوات التي تحكى عن الاشتراكية ولينور الرأي العام حولها»..

هنا بدأ المنصوري رحلته الجاده في بلوره فكر ماركسي مصري، يدرس المجتمع المصري ويبحث عن رؤية ماركسية لمشكلاته ومستقبله.

ولعل كتاب سلامه موسى قد حفزه للكتابه مرتين.. الاولى انه منحه بعض الشجاعة في الاقدام على الكتابة في هذا الموضوع الشائك، والثانية في ضرورة الرد على ماأورده سلامه موسى من أفكار اصلاحيه وفابيه.. والتمييز بينها وبين صحيح الفكر الماركسي..

وفي عام ١٩١٥ أصدر ناظر مدرسة طوخ الاعداديه كتابه الرائع، «تاريخ المذاهب الاشتراكية». ولسنا هنا بصدد تلخيص كتاب يصعب تلخيصه، فكل عباراته محكمة ومتملسكة ويكمل بعضها بعضا.. لكننا فقط سنقدم نماذج للفكر الماركسي المصري لدى مرحله نضجه الاولى على يدي المنصوري.

وعلى غلاف الكتاب يورد المنصوري عبارة لالفريد رسل ولس تقول «لقد كنا نعتصم طوال القرون الماضيه بالباطل فجنينا ولازلنا نجني الشقاء والدمار، وقد حان الوقت الذي يجمل بنا فيه ان نغير طرقنا الفاسده واساليبنا العقيمة»

وفي المقدمة يقول المنصوري «كثيرا مانسمع عن الاشتراكية، ولكن قليل منا من يفهم حقيقتها»

ويقول «واذا كان مركزنا السياسي (يقصد وضع مصر تحت الاحتلال) لايسمح لنا باعتناق هذا المذهب الذي ينتشر انتشارا عظيما. فنحن واصلون حتما الى ماوصلت اليه اوربا، ولابد من مجيء يوم يكون للاشتراكية فيه شأن يذكر بيننا»

.. ونمضى سريعا مع صفحات الكتاب «ان الطريق الوحيد لاسعاد البشر هو منع التملك الفردى وجعل رأس المال فى قبضه العمال انفسهم، أما فى المسائل الزراعية فالنقابات الزراعية تقوم بما تقوم به جمعيات الصناع وبالطريقة نفسها»

...« النظام الاشتراكى يقضى بالغاء الملكية الفردية، بمعنى انه لايجوز للفرد ان يمتلك أرضا او معملا او منجما اوأى ثروة تحتاج فى استغلالها الى عامل او عمال».

وهو يتحدث عن ماركس قائلا «وكارل ماركس هو الرجل الذى هذب مبادئ الاشتراكية وكرس حياته لنصرتها وبذل مالم يبذله سواه فى سبيل تحقيق مبادئها حتى استحق اسم مؤسس الاشتراكية العلمية» ثم هو يؤكد «يمكننا القول أنه سيأتى يوم تكون فيه الاشتراكية مذهب جميع الامم المتمدنه»

* ولينين ايضا...

والمثير للاهتمام حقا ان يتحدث المنصورى وبوضوح عن افكار لينين وخاصة عن موقفه ازاء احزاب الدولية الثانية فيقول «ومما يؤسف له كثيرا ان الاحزاب الاشتراكية فى اوروبا قد فشلت فى منع الحكومات عن الوقوع فى هذه الحرب الشعواء، ولاشك انه سيكون انتشار الاشتراكية بين الناس احد نتائج هذه الحرب سيما بعدما لاقوه من مصاعب الحرب ومصائبها» (ص٩)

ويمتلك المنصورى فهما مستنيرا للماركسية اللينينيه، ويمسك بالخيط الاكثر اهميه عندما يقرر فى بساطه ووضوح افكارا ظلت غامضه لدى الكثيرين لسنوات طويله بعده.. لنستمع الى المنصورى اذ يقول «وتختلف مناهج الاشتراكيين باختلاف البلاد التى هم فيها، فتراهم فى البلاد الديمقراطية كانجلترا وفرنسا يقدمون مطالبهم الى ولاه الامور، ولايتحرشون بالحكومات ولايناوئون موظفيها، اما فى البلاد الاستبداديه كالروسيا مثلا فتراهم يجنحون الى الشده وسفك الدماء لأنهم رأوا أن السلطة الادارية تطاردهم فى كل مكان ولاتلتفت الى مطالبهم»

ومن ثم يصل المنصورى الى فكرة متألقة لعلنا احتجنا وقتا كثيرا للوصول اليها..« وعلى ذلك يكون من الخطأ ان نتصور أن الاشتراكية مبادى ثابته غير قابله للتعديل او التحوير، وان دعاتها يظهرون بمظهر واحد ورأى واحد فى جميع الأمم وان كانوا جميعا متفقين على الغرض الذى يريدون الوصول اليه ، ولكنهم يختلفون فى الطرق التى تؤدى الى ذلك الغرض باختلاف شكل الحكومات والنظام الاجتماعى فى بلادهم» (ص٩).

... ولن نستطيع الافاضه، فلعله من الضرورى ان يعاد طبع الكتاب كاملا.. ولعلنا بحاجه- الآن- ان نتعلم منه..

... ولكننا سنقف عند مسألة هامه هى رفض المنصورى المبكر والذكى لطرح اى تناقض بين الدين والاشتراكيه، وقد بذل المنصورى جهده ان يمحو آثار الاخطاء التى ارتكبها شبلى شميل ورفاقه..

ويكتب المنصورى واضحا وصريحا «لاشك ان معظم الاشتراكيين قد تأثروا قليلا او كثيرا من المبادئ الماديه وهم لايعتقدون ان الدين يكفى لاصلاح هذا المجتمع، الا انه رغم ذلك نرى الدين والاشتراكية ليسا متناقضين وان كليهما يرمى الى نصره الضعيف (ص١٣)

وهو يؤكد مره أخرى « أن الاشتراكيين لا يحاربون الدين وانما يحاربون بعض رجاله ممن يريدون ابعادهم عن التدخل فى امور السياسة والتعليم» (ص٨٣)

مصطفى المنصورى

* ضد الجمود...

... ويتحدث المنصورى عن أهم الادبيات الماركسية ويحذر فى وقت مبكر من الجمود والتمسك بالنصوص بل يحذر وفى عام ١٩١٥ من ان «البيان الشيوعى» وهو «أقدم برنامج وضع للاحزاب الاشتراكية ولايزال يرجع اليه فى بعض الأمور الا ان بعض مبادئه قد أصبحت عتيقه» (ص٤٧)

وهو يختتم كتاب الرائع ببرنامج غايه فى الوضوح والمرونه معا.. وهو فوق هذا وقبله برنامج مصرى لحما ودما.. تدهش اذ تقرأ مواده، وتدهش كيف استطاع رجل كالمنصورى ان يمتلك كل هذا الوضوح الفكرى وان يمزج بينه وبين معارفه واسعه بالواقع المصرى.. لكنه ومع ذلك يسبق برنامجه بعبارة تقول «وليس قصدى ان يكون برنامجا لحزب اشتراكى مصرى فانى أرى الوقت لم يحن بعد للقيام بهذا العمل الذى يتطلب كفادة علميه وأدبية لم تتوفر لدينا بعد» ويكون طبيعيا ان يتصل به مؤسسو الحزب الاشتراكى (الشيوعى).. وان يتصل هو بهم فور الاتجاه لتأسيس الحزب.. ويكون طبيعيا ايضا.. وهو الموظف الحكومى صاحب المركز المرموق (مدير التعليم بالقليوبيه فى ذلك الحين)- ان تتركز عليه ابصار الخصوم... فبعد اول اجتماع حزبى يحضره «كنت فى مديرية القليوبيه وقابلنى مديرها وطلب منى مقابله محافظ القاهره وبالاستفسار عن السبب لم يجبنى، فلما ذهبت الى محافظة القاهرة، وجدت من حضروا الاجتماع هناك، واستقبلنا المحافظ ونصحنا بعدم العوده لذلك والا تعرضنا للعقاب..

(امين عز الدين- المنصورى، سيره مثقف ثورى. ص٤٦)

* المطاردة

ومع ذلك يواصل المناضل مسيرته..

فان كانت علاقته بالحزب غير ظاهرة- فهو موظف حكومى فى منصب مرموق والقانون يحرم على الموظفين الاشتغال بالسياسة- فقد ظل على علاقة ما- وواصل عطاءه الفكرى فترجم كتاب ليوتولستوى «مساوئ النظام الاجتماعى وعلاجها» وكتاب هنرى جورج «التقدم والفقر»

ولكن ساعات المحنه تأتى سريعه- فلا يلبث الحزب الشيوعى المصرى ان يصدر قرار بحله، وتبدأ مطارده قادته واعضائه، ويكون المنصورى واحداً ممن تعرضوا للمطارده.



المنصورى فى شبابه

ولم تكن المطارده جديده عليه- ففى اعقاب صدور كتابه الاول (١٩١٥) تعرض لحملة هجوم من شيوخ الازهر لانه ضمن برنامجه نقاطا تطالب بتحرير المرأة، وجعل الطلاق على يد القاضى، وإصدار قانون لمنع تعدد الزوجات، وقانون برفع سن الزواج...

ولم تكد مطارده رجال الازهر تخفت، حتى قبض عليه بتهمه الاشتراك فى محاوله اغتيال السلطان حسين كامل فى الاسكندرية وهو الذى لم يكن سافر الى الاسكندرية طوال حياته...

ثم تتواصل المطارده عنيفه كثيفة بعد حل الحزب.. وتتصاعد لتصل ذروتها فى عام ١٩٣٠ وكان مديرا للتعليم فى الفيوم، اذ يصدر ضده قرار اتهام ادارى يتضمن ١٧٤ تهمه من بينهما الكفر والالحاد وانكار الاديان واجتمع مجلس المديريه واصدار قرارا بفصله نهائيا من خدمه الحكومة وصرف مكافأة نهاية خدمة قدرها ٣٠٠ جنيه، لكن البعض واصل مطاردته فاستصدر قرارا من رئيس الوزراء بحرمانه من مكافأة نهاية الخدمه..

... طرد المنصورى وحرم من المكافأة..» ولم يبق معى من حطام الدنيا الا ١٥٠ قرشا وقطعه ارض بور كنت قد اشتريتها من مصلحه الاملاك فى قرية الشواشنه»

واستقر الرجل فى عزبة صغيرة يحاول ان يبدأ حياته من جديد محاولا استصلاح هذه الارض وزراعتها...

واكتفى الفلاحون البسطاء بأن يمنحوا للرجل تقديرهم واعجابهم بطريقتهم الخاصة، فاطلقوا على العزبة التى اقام بها اسم «عزبة المدير» الم يكن المنصورى مديرا للتعليم»

وهكذا وبطريقة مصرية خالصه... أكد الفلاحون رفضهم لقرار فصل المدير... واعربوا عن تعاطف أبدى معه فلم تزل عزبه المدير بالشواشنه مركز الفيوم تحمل باسمها هذا رمز إدانة صارخة لحملة المطارده الظالمه ضد اول مفكر ماركسى مصرى....

مداخلات

لأننا نؤمن أن اختلاف الرأى لايفسد للود قضية، فان كل ماننشره من آراء، قابل للمناقشة مع من يتفقون معنا، ومع من يختلفون فنحن طلاب حقيقة، وباحثون عن كل ما فيه مصلحة شعبنا وأمتنا، وسعادة البشرية!

هذه الزواية، نافذة للحوار مع ماننشره.. بشرط الالتزام بتقاليد الحوار.. وآدابه.. وتركيز الأفكار ومراعاة ضرورات المساحة..

افهمنى لكم.. عودة الوعى

عند صدور عددكم الاول، فرحت جدا وقرأت فيها وفيما بعدها مقالات كانت فى غاية الروعه لادباء وكتاب ومفكرين نجلهم هنا كثيرا، وعندما قررت أن أبعث ولو برساله بسيطة ابارك لكم انطلاقتكم هذه واشد من خلالها على ايديكم للاستمرار فى العطاء وفى التوعية وماالية من أهداف ساميه راقيه ينحنى لها الرأس إجلالاً.

وأحضرت الورقة الاولى.. وبعد عدة أسطر لم استرح الى ماكتبت فمزقتها وأحضرت أخرى ثم مزقتها للسبب الأول، ثم أحضرت ثانية وثالثة إلى أن عدلت عن الفكرة بعد ان ارتحت الى اتكم تبذلون أقص ما عندكم للعطاء وعلى أن كثيرا من الناس «والاهالى» قد كتبت لكم مهنئه و«مباركه».

وفى الثانى من آب (أغسطس بالمصرى والأمريكى والانجليزى والصليبى) وبعد رؤية رد فعل حسنى مبارك «خليفة السادات» رؤية رد الفعل الشعبى المصرى مثل الاخوان «أخوان الشياطين» وما إليه من أحزاب كنتم من خلال كتاباتكم تؤكدون على خوائها الفكرى وخلوها من اى مضمون حضارى إنسانى بعد رؤية ردود افعال هذه الاحزاب، ان كانت حقا، كان التساؤل الذى خطر على بالى هو: - ماذا سيكون موقف الشرفاء الحقيقيين، واعنى بهم أولئك السادة المثقفين الموقعين على بيان منشور فى «اليسار»، ان كانت حقا يسار، العدد ٧ سبتمبر ١٩٩٠

كانت مواقف هؤلاء السادة تهمنى لاننى نشأت على احترامهم اولاً وتقديرهم ثانيا ومعرفتى بانهم يمثلون الوجه الأنقى «للعرب» المصريين وكانت الصاعقة. المهزلة/ المذلة فى هذا البيان.

كفلسطينى، ودون اى توجيه من احد، نشأت على ان أحتقر الموقف السورى الرسمى. ولم يخطر على بالى بان يمتد هذا الاحتقار ليصل الى الشعب السورى العربى الاصل، بكل تياراته بما فيها البعثيون به.

وكفلسطين، أيضا ودنما توجيه من أحد، انخذت نفس الموقف إزاء الشعب المصرى عندما وقع السادات على معاهدات كامبديفيد. وظللت احترام الانسان المصرى البسيط حتى لو كان يدافع عن السادات وظلت منذ القدم وحتى الان صورة الزعيم الخالد عبد الناصر تلاحقنى طوال عمرى (أنا الان فى بداية الثلاثين) ظلت تلاحقنى مثل سؤال كبير أخشى من طرحه. وظل يزداد عملقه كلما عرفت من هم أعداؤه ومن هم مناصروه الى أن وصلت الى نتيجة مبسطة مؤداها:- من يقف مع عبد الناصر فهو جيد، ليس بالضرورة مطلق الجودة، ومن يقف ضده فهو بالضرورة مطلق السوء.

ثم، ثانيه، يجئ الثانى من آب وبعد فترة قرأت بيان المثقفين ومقالكم «الزلزال» الذى فصلتم فيه كل شيئ عن هذا الحدث الا نقطتين او ثلاث بدت فى رأيى غاية فى الاهمية.

١- موقفكم من اتفاقية سايكس بيكو وحرصكم الشديد على ابقاء هذه الخطوط كماهى (مع معرفتى المسبقة باحترامكم الشديد للنظام العالمى والقوانين الدولية)

٢- لم تقوموا ولو للحظة واحدة باستثنا آخر «كام كلمة» ،بالتحدث عن قوة الجيش العراقى اولا ولا عن قوة «الشعب» ذلك «المصطلح الغريب» ؟ الشعب العربى ثانيه الذى وقف وقفه عز مشرفة من أقصى المحيط الى أقصى الخليج باستثناء مصر أو شعبها وانتم اكبر دليل على ذلك، لسوء الحظ.

٣- ثم لم توضحوا الاثر الاقتصادى الذى كان سيترتب، او ربما يحدوث المعركة، على اقدام الغزاة «الحلويين» ذوى العيون الزرقاء والشعر الاشقر الذى اعرف بانه عقده أهل الخليج ولم اكن اعرف بانه عقدة «المصاروه» وخاصة اليساريين منهم، ان الاثر الاقتصادى الذى غاب عن اذهانكم لسبب او لآخر لهو فى اعتقادى فى غايه الاهمية خلافا لطرحكم كيسار «مثقف» او ككتاب محترفين.

على اى حال كان موقفكم من الوضوح لدرجة انكم القيتم اللوم على العراق لأنه «يغزوه» الكويت جلب الاساطيل الى المنطقة، وبالمناسبه هنا هو الموقف السورى الرسمى، وبالتالى فان «الحق عليه» اما موقفكم- السعودية كنظام رجعى ومتخلف.. الخ. ومن المصطلحات التى اصبحت بفضل موفقكم خالية من المضمون. وكذلك الامر موقفكم من الحكومة المصرية والكويتية.

لا آدرى ياسيد عبد الرازق ويا رفاقك «كيف تجرأت على تناول آراء التيار الدينى الاسلامى الكويتى فى مقال مثل هذا ؟

بل بأى حق؟ وأن كنت تحترم الربعى، فنحن ايضا نحترمه

ولكن وحتى قراءة كتاباته، التى علمت من خلال مجلة «فلسطين الثورة» بانها بدات تنزلق نحو المعسكر المحسوب على امريكا وليس الرجعية فقط سأظل محايدا معه.

ايها السادة خلاصة التاريخ المعاصر، بعد الحرب العالمية الثانية، تقول بان من يقف ضد امريكا هو بالضرورة على حق. ولهذا فأننا نحن الفلسطينين وقفنا مع زعامه عبد الناصر

الخالده، ومع الفيتناميين ومع الكوبيين ومع اليونانيين ابان ثورتهم المجيدة ضد النازية التى استبدلت بالامريكيين.

ومع البورتوريكو، ضد سيطرة امريكا ومع كمبوديا ضد الغرب ومع الجزائر ومع انغولا ومع تشيلى «الليندى» ومع كل الشرفاء الذين ما انفكو يناضلون ويناضلون. والسؤال الآن، أين انت ياسيد عبد الرازق و «يارفاقك» من هذا ؟

ان كنتم اثناء كتاباتكم «وخاصة المقال الزلزال» لم تستطيعوا نسيان الصدام الذى وقع بين القوميين والشيوعيين العراقيين فى آواخر الخمسينات فتلك مشكلة اعتقد انها اذا كانت كذلك تصبح «شخصية» وان لم تكن كذلك فارجو ان تقولوا ماذا تكون؟

مداخلات

التعليق الاستفزازى على الغلاف الاخير للعدد إياه ياساده مرفوض شكلا ومضمونا فهؤلاء وبكل طواعية وبرغم طغيان الصهاينة وقفوا الى جانب «صدام» ليس حبا فى صدام بل لانه سيضرب رأس الحيه «اسرائيل». وان لم يضرب فانه خلافا لكل الزعماء يهدد على الاقل بضربها لهذا وقفوا معه ولم يقفوا ضده او على الحياد. هؤلاء قالوا له اضربنا بالكيماوي واحرق الاسرائيليين معنا. فكيف كيف لكم ان تقولوا هل ينسينا الزلزال... الى اخر هذا الكلام الفارغ.

كعادتنا أصدقائى وأنا، وبالمناسبه نحن شباب ذوو ميول ماركسية ولكن لسنا منضمين الى أى حزب او تنظيم معين، كنا دائما نناقش مواقفكم وتاريخكم باحترام وحب وتقدير لا أستطيع وصفه. ولكن حين طرحنا موقفكم الاخير للنقاش احتد احدهم وقال:-

هل تعتقد بان هناك انسان يمكنه ان يكون مصريا وشيوعيا ؟

هل تعتقد بان هناك انسان يمكنه ان يكون مصريا وعربيا ؟

وطبعا بدأ السؤال يكرر نفسه مع تغيير بسيط فى آخر كلمه منه. والحقيقة أقول أن هذه الأسئلة كانت ثقيلة على ضمائرنا.

على ايه حال موقفكم الذى هو فى رأينا الأنقى فى الساحه لم يكن للأسف يختلف كثيرا عن موقف الاخوان او الوطنى او غيرهما. موقف محافظ ومهادن الى ابعد الحدود.

لا أدرى ايها السادة مامدى صوابية الآراء التى تقول بان الكاريكاتير المنشور فى نفس العدد ص١٦ هو الذى جعل كل الشعب المصرى يقف الى جانب الكويت والسعودية وامريكا والحسن المغربى وغيرهم بحيث اعتقد الواحد منكم سواء كان صعلوكا، عربيدا، سكيرا ، ام مثقفا ام يساريا ام كاتبا يقف مثل هذا الموقف لانه فى لاشعوره يعتقد بان امريكا ستقوم بتوزيع الآف الدولارات على الافراد منكم مقابل هذا الموقف وهذا التفكير.

اين انتم من الشعب السودانى الذى يعانى المجاعات والحروب الاهلية؟

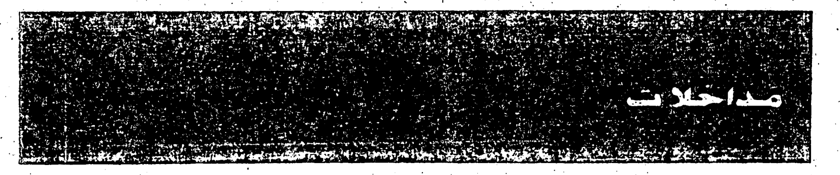
اين انتم من الشعب الصومالى الجائع أيضا ؟

اين انتم من الشعب الموريتانى الذى كان مغيبا عن خارطه العروبة؟

اين انتم من الشعب الفلسطينى تحت وخارج الاحتلال؟

اين انتم من الشعب العربى الليبى والجزائرى؟





اين انتم من الشعب السورى الذى انتفض على الطاغيه الاسد ليقف فى لحظة تاريخية الى جانب من يسعى لقهر كل أعداء الامه من تخلف واستعمار وما اليه من الصفات!

اين انتم بالله من كل هذا؟

كيف جرؤتم على مثل هذا؟

اتمنى لكم «عودة الوعى» والسلام الذى تحبونه كثيرا ولا أنسى أن أقول وكما تلاحظون باننى لم أمزق هذه الرسالة خلافا للنية الأولى. ودتم حلفاء أجلاء اللامريكيين والاسرائيليين والسعوديين والكويتين ومن لف لفهم.

عن الزملاء

عبد الرحمن محمود

عمان- الاردن

تعليق

فجأة... أصبحنا عملاء

ننشر هذه الرسالة كما هى رغم مافيها من أتهامات وتجريح ينصب على الشعب المصرى (!!) واليسار المصرى وقيادات ومفكرين بارزين فيه، والمسئولين عن تحرير مجلة «اليسار» وكتابها.. لالشيئ الا لأن كاتب الرسالة السيد «عبد الرحمن محمود» لايوافق على أرائنا- كما فهمها هو وزملاؤه. من أحداث الخليج.

والرسالة نموذج لاسلوب عاطفى فى التفكير يضيق بالاختلاف فى الرأى وبالمناقشة المنطقية وبالحقائق.. فاذا بكل نضال الشعب المصرى العظيم. وكل نضال وريادة اليسار المصرى، ومواقف وتاريخ الكتاب والمفكرين والصحفيين اليساريين.. تصبح فجأة عمالة للأمريكيين ولاسرائيليين والسعوديين والكويتين ومن لف لفهم.

ولن نقف كثيرا عند سبه واهانته وزملائه للشعب المصرى العظيم. فمن سب شعب مصر، فقد سب شعب فلسطين وكل الشعوب العربية، ووقع من حيث لايدرى فى خطيئه أنيس منصور وابراهيم سعده.

واذا كان السيد «عبد الرحمن محمود» قد فهم أن الشعب المصرى أو نحن ننتظر أن توزع أمريكا آلاف الدولارات كل فرد منا، مقابل موقفنا.. فلا أظن أن الامر يحتاج الى أى تعليق.

ولو بذل الأخ «عبد الرحمن محمود» بعض الجهد لأدرك أن لنا موقفا واضحا يضعنا فى الصف الوطنى والثورى الصحيح... ربما أكثر كثيرا من بعض من يصرخون بعبارات وشعارات ثورية خاطئة.

والخص موقفنا باختصار شديد كما جاء فى عدد «اليسار» الماضى وفى هذا العدد وفى كل كتاباتنا..

- نحن ضد الغزو العراقى للكويت والضم والالحاق.

- ونحن ضد الأنظمة الدكتاتورية والفردية والقبليه والعشائرية وتغييب الديمقراطية.. لافرق فى ذلك بين حاكم يرفع شعارات العداء للامبريالية والاشتراكية أو الشيوعية. وآخر يتمرغ فى تراب البيت الابيض ويدافع عن الاستغلال الرأسمالى المشوه.

- أن وطنية جمال عبد الناصر وثوريته، لاتعفيه من مسئولية هزيمة يونية ١٩٦٧. وقد اعترف هو بشجاعة بهذه المسئولية. ومازلنا نعيش حتى اليوم آثارها. وكم من «الجرائم» اذا جاز التعبير ترتكب بحسن نيه.. ويصرف النظر عن نيات حكام العراق، فغزو الكويت أعطى المبرور الحجة للغزو الأمريكى للمنطقة ويهدد اليوم بضرب القوة العسكرية الاولى فى العالم العربى (الجيش العراقى) وتدمير البنية الاقتصادية والسياسية للعراق.

- إننا وبكل مانملك من قوة ضد الغزوة الأمريكية الاطلنطية للمنطقة. ونطالب بانسحابها فورا. ونرفض مايسمى بالترتيبات الأجنبية بالاشتراك مع الولايات المتحدة الأمريكية.

- ونحن ضد السياسة المصرية التى تدفع العالم العربى الى الانشقاق والتمحور او تزيد من تبعيتها للسياسة الأمريكية، ونرفض إرسال قوات مصرية كمظلة للوجود الاستعمارى الأمريكى، وتقديم التسهيلات لمرور الطائرات والسفن الامريكية.

- هناك بالفعل قضية خاصة بتوزيع الثروة وبأثرها السلبى على الثورة. ولكن علاجها ليس بالغزو والسطو المسلح. وليس بقرار من حاكم فرد مهما كان، ولكن هذه قضية الشعوب العربية والثورة العربية.

هذه بعض إجتهاداتنا، وقد نصيب أو نخطئ.. ولكننا دائما وأبدا فى صف الثورة والعداء للاستعمار والاستغلال ولانملك الا أن ندعو الله أن يهدينا جميعا، سواء السبيل

اليسار

د. حنا سعد الدين

(لندن)

يعيش العرب كل العرب فى الداخل والخارج تحت وطأة التوتر والخوف والقلق من الكارثه التى يمكن ان تحيق بوطنهم كنتيجة للاجتياح العراقى للكويت وماترتب عليه من نتائج وآثار. ان الاحداث تجرى بسرعة والاخطار تتزايد ساعة بعد أخرى، ان متابعة مايجرى على ارضنا وفى العالم كرد فعل لاحداث المنطقة يكاد يكون شاغلنا الشاغل الوحيد حتى لانقدر على ممارسة اعمالنا وحياتنا العادية والانصراف الى شئوننا الخاصة او العائلية. االكثيرين من العرب فى العالم الخارجى يقضون جزءا كبيرا من حياتهم الآن فى متابعة نشرات الانباء وفى تتبع مايكتب ويقال فى الصحافة العالمية او صحافة اوطانهم.

وقد هالنى، انا الذى امضيت فترة طويلة فى الكفاح السياسى من اجل امتى بين صفوف اليسار ان اجد ان بعض اوساط المعارضة اليسارية والاسلامية يكاد يردد ماكان طالب به الوفد العراقى فى اجتماع القمة العربية. من التركيز على قضية الوجود الاجنبى فى الخليج. ونسيان او تناسى العدوان الباغى على الكويت واحتلالها وازالتها كدولة من الوجود كنتيجة للضم القسرى بلارغبة من اهلها. وهم يقدمون لذلك عددا من الحجج والمقولات تؤكد على ان الاستعمار الاميركى هو الخطر الاكبر وان الاستعانة باعداء الامة العربية واصدقاء الصهيونية هو خيانة صريحة، وان هجوم الحركة الوطنية المصرية والعربية يجب لذلك ان يتركز على هؤلاء الذين استعانوا بالاجنبى والذين اعطوهم واعطوا الاجنبى غطاء عربيا لتدخله.

اما مشكلة العراق والكويت فهى مشكلة عربية يمكن حلها بيننا وان طال الزمن عن طريق مفارضات تأخذ فى الاعتبار الحقوق المشروعة للشعب العراقى. ويصف هؤلاء عدوان العراق بالفاظ لاتشئ بحقيقته

كالتدخل العراقي او التحرك العراقي او ما الى ذلك ويذهب البعض الى ابعد من ذلك ويطرحون مقولات تشكل في الواقع نوعا من التبرير للتدخل العراقي فيتحدثون عن الموقف المتعنت للكويت في المفاوضات، او عن التراث الشخصية الضخمة لشيوخ الكويت والخليج وفسادهم. ويردد البعض بعلم او بغير علم مايقال عن الحق التاريخي للعراق في الكويت وعن الحدود التي خططها الاستعمار ووحدة الامة واحقيتها كلها في الثروة الموجودة على ارض عربية وغير ذلك من المقولات.

ان مثل هذه الاقوال تؤدي في رأيي الى الخلط وتبعدنا عن الامساك بالحلقة الرئيسية التي لابد من الامساك بها لنتمكن من حل الازمة والمحافظة على امتنا ومنع الكارثة التي يمكن ان تحيق بها.

ولقد رأيت لذلك ان واجه من هنا خطابي المفتوح هذا الذي اصارح فيه زملائي ورفاق الكفاح المشترك برأيي بوضوح لعله يساعد بشكل او بآخر على الحد من بعض الالتباس السائد والمنتشر.

ولن يكون من الممكن بالنسبة لي ان اناقش كل الموضوعات. فلن تسمح بذلك المساحة التي يمكن ان تكون متاحة للنشر. ولذلك فانني سأركز على اهم القضايا وهي قضية التدخل الاجنبي. وقضية استعادة شعب الكويت حقه في تقرير مصيره. والقضيتان في رأيي مترابطتان ويصعب الفصل بينهما، وساتجنب الحديث عن قضايا مثل اعادة توزيع الثروة او الوحدة العربية والتضامن العربي وغير ذلك من الامور التي انتهكت بواسطة حاكم العراق عندما حاول الاستيلاء على الكويت بالقوة. كما ساتجنب الحديث عن الدور الرائد للكويت في اقامة مؤسسات الدعم الاقتصادي العربي، ودعم الثقافة العربية واقامة اول ديمقراطية برلمانية في الجزيرة العربية. ولانفتاح الكويت للمثقفين العرب لممارسة دورهم بحرية. كما ساتجنب الحديث عن الطبيعة الديكتاتورية للحكم العراقي واطاحة حاكم العراق بكل حقوق الانسان.

وليكون للحوار الموضوعي جدواه يحسن ان نذكر ترتيب الاحداث تاريخيا منذ فجر العراق اتهامه للكويت والامارات بالتآمر مع الاستعمار لتخفيض اسعار النفط واتهام الكويت بسرقة النفط العراقي. ولن نلجأ هنا الى استعادة الاحداث وترتيبها فهي ماتزال في ذاكرتنا جميعا.

ورغم ذلك فمن المفيد ان نتذكر ان العراق الذي وعد بعدم اللجوء للقوة قد غزا الكويت بليل بجيش جرار بلغ اكثر من ١٢٠ الف مقاتل. وان هذا الجيش استمر في الزحف جنوبا الى قرب الحدود السعودية الشرقية حيث يتركز انتاج النفط السعودي.

وبينما كانت الدول العربية التي شلتها الاحداث تتردد في تحديد مواقفها فان مجلس الامن الدولي راح يصدر قراراته المتتالية بشجب العدوان العراقي وطلب الانسحاب من الكويت واعادة الشرعية اليها وفرض العقوبات الاقتصادية على العراق والكويت. ورفض الدمج القسري للكويت في الدولة العراقية.

ولجأت السعودية وغيرها من دول الخليج التي احست بالتهديد الى استقدام القوات الامريكية والحليفة للدفاع عن ارضها. وتدفقت الاساطيل والجيوش الى المنطقة لتتأكد من فعالية الحصار الاقتصادي على العراق ولتعد العدة لاتخاذ عمل عسكري يجبر العراق على الانسحاب من الكويت ويكيل ضربات قاصمة لقدراته العسكرية والاقتصادية.

في هذا الموقف الصعب والعسير يرى البعض اهمية التركيز على مواجهة الاستعمار ومهاجمة الدول التي استقدمته وتلك التي اعطته غطاء عربيا. انهم بذلك ينسون الغديد من الأساسيات ويخلطون الاوراق خلطا شديدا.

انهم ينسون او يتناسوا ان هذا التدفق للجيوش والاساطيل تم كنتيجة للاحتلال العراقي للكويت ولوجود تهديد حقيقي لدول خليجية أخرى. حقا ان الاستعمار لايهدف الى تحرير شعب الكويت واستمادته لسيادته بل انه يدافع عن مصالحه ويطبق معايير مختلفة للحكم على القضايا المتشابهة وفقا لمصالحه. ولكن ذلك لايجب ان يمنعنا من التركيز على اهمية الانسحاب العاجل للجيوش العراقية من الكويت واستعادة حق الشعب الكويتي في تقرير مصيره. تلك هي الحلقة الرئيسية التي يجب التمسك بها لحل الازمة الحالية ومنع مايتهدد العالم العربي من كوارث.

أن مثل هذا الانسحاب ان حدث هو الذي يتيح الفرصة لوحدة كل القوى الوطنية ونضالها المشترك لفرض جلاء القوات واقامة نظام عربي ديمقراطي مستقل.

ومن واجبنا في ظروفنا الحالية ان نتذكر ان بقاء القوات العراقية سيؤدي الى تغييرات ديموجرافية في الكويت نفسها حيث يمارس النظام الحاكم في العراق الآن سياسة اعادة توزيع سكاني وتهجير واسع لعراقيين لسكنى الكويت بعد ان قام باعدام سجلات الجنسية في وزارة الداخلية الكويتية.

ومن الضروري أن ندرك ان النظام العراقي لن يغادر الارض التي احتلها بمجرد المطالبة او المناشدة وان ضغطا حقيقيا لابد من أن يتم لتحقيق الجلاء عن الكويت.

وقد اثبت النظام العربي عجزه عن الفعل وقيادة الاحداث. لقد طال التردد العربي واستمر التشتت العربي وقد رفضت العديد من الدول العربية والقوى العربية ادانة العدوان العراقي حتى قبل حدوث التدخل الاجنبي.

ولابد لنا من الاعتراف بان القول بان قضية احتلال العراق للكويت هي قضية عربية نحلها نحن العرب تعني استمرار الاحتلال العراقي للكويت فالعرب لايملكون ادوات الضغط اللازمة لاجبار حكام العراق على تغيير مسارهم العدواني.

وقد حدث التدخل الاجنبي نتيجة للعجز العربي وخاصة نتيجة لعجز دول مثل مصر وسوريا عن اتخاذ المبادرة في حماية الدول الخليجية من أي تهديد عسكري. ان مثل هذا الموقف لو كان قد اتخذ كان كفيلا بان تبقى المبادرة في ايدي العرب حتى لو اضطروا للجوء للهيئات الدولية وعلى رأسها مجلس الامن للحصول على الدعم الدولي اللازم لاستعادة استقلال الكويت.

اما وقد تم الوجود الاجنبي بالفعل فان مجرد مهاجمته او مهاجمة مصر والسعودية ودول الخليج الاخرى لن يجدي فتيلا. والاجدر هو ان نسعى لان يبقى ذلك الوجود محكوما بقرارات مجلس الامن وتوجيهاته. وان تخضع القوة الدولية لقيادة ذلك المجلس. ومن الضروري اذ ذاك ان تزيد البلاد العربية من حجم قواتها ضمن القوة الدولية لتكون قادرة على التأثير على القرارات الدولية ومسار الاحداث.

قبل ان اختم خطابي الى زملائي اذكر

مداخلات

بالمأساة التى حاقت بالقضية الفلسطينية التى بذلنا الغالى والرخيص للدفاع عنها كنتيجة للغزو العراقى من ناحية وللمواقف غير المبدئية التى اتخذتها قوى وطنية متعددة وعلى رأسها منظمة التحرير الفلسطينية.

ولا اجدنى فى حاجة الى تذكير الزملاء بان القضية الفلسطينية قد اختفت فى زوايا النسيان بفعل الغزو العراقى. ولا ان احداث الغزو قد تركت الباب مفتوحا امام اسرائيل لاستكمال توسعها الاقليمى واستقبال الوافدين من المهاجرين اليهود دون اهتمام او معارضة. الا ان الامر لايقتصر على هذا ان ماهو أسوأ والعن، هو ان منظمة التحرير الفلسطينية والعديد من القوى العربية قد فقدت مصداقيتها بالكامل عندما وقفت موقف الرفض أو موقف التردد فى ادانة العدوان العراقى السافر والغاشم.

ان ضم الاراضى الكويتية قسرا بواسطة الجيوش العراقية لايقل سوءا فى نظر العالم عن ضم اسرائيل للأراضى العربية بالقوة. ولايمكن للرأى العام العالمى ان يتعاطف مع هؤلاء الذين يناضلون ضد العدوان الاسرائيلى اذا كانوا هم انفسهم يتخذون موقف عدم المبالاة ان لم يكن التأييد العملى لاجتياح العراق للكويت.

ان هذا لن يكون هو موقف الرأى العام العالمى فى الخارج فحسب. ان موقف عدم المبالاة بالنسبة للقضية الفلسطينية والعداء لمنظمة التحرير الفلسطينية سوف يتجذر ايضا فى العديد من البلاد العربية وبين العديد من اهلها. اذ كيف يمكن ان نتصور ان تصبح فلسطين عزيزة على الخليجيين مثلا اذا كان العدوان على الكويت لم يلق شجبا فلسطينيا حاسما. فمهما كانت فلسطين غالية على كل عربى فالكويت ايضا غالية عند العديد من العرب وعلى رأسهم اهل الخليج العربى، وهى بلاشك اكثر غلوا على الكويتيين انفسهم.

ان النضال من اجل حق الفلسطينين فى تقرير مصيرهم على ارضهم قد تلقى ضربة موجعة من المنظمة التى تمثلهم، عندما تقاعست عن الدفاع عن نفس الحق للكويتيين، ولم يكن ذلك ابدا ناتجا عن تدخل الجيوش الاجنبية او اولية المعركة ضد حلفاء اسرائيل. فعرفات ظهر معانقا لحاكم بغداد ومقدما بين يديه ايات الولاء قبل ان تبدأ الجيوش الاجنبية فى التدفق على المنطقة.

اننى ومثلى كثيرون ممن امضوا الجزء الكبير من حياتهم يناضلون من اجل فلسطين وضد التطبيع مع اسرائيل ومن اجل حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره قد اعتصرنا الالم عندما شاهدنا فى التليفزيون صور عرفات فى عناقه مع صدام بعد العدوان. وعندما علمنا بأن المنظمة الممثلة لشعب الفلسطينى العظيم تتردد فى شجب العدوان وتأييد النضال الكويتى لتخليص الكويت من الاحتلال العراقى.

لقد اقتصرت فى حديثى على القضايا الاكثر اهمية دون ان أتطرق الى ماينتشر من هجوم على الكويت بدعوى ان حدودها قد صنعها الاستعمار او ان عملية ضم الكويت هى خطوة وحدوية او حديث عن اهمية اعادة توزيع الثروة بين الاغنياء والفقراء فى الامة العربية او ماشابه ذلك من دعاوى يراد بها تغطية الباطل، ونأيت بنفسى عن المقارنة بين ماقدمته الكويت للامة العربية والحركة الوطنية العربية من مساعدات ودعم وما انزله حاكم العراق بالوطنيين من عسف واضطهاد.

واختم حديثى بأنه فى مثل الموقف الحالك التى تجد فيه الامة العربية نفسها فان لامجال للمواقف الوسطية ولا لمحاولات تبرير الخطيئة. اننا نواجه الاختيار بين خندقين. خندق احترام سيادة كل دولة على ارضها، واحترام حق الشعب فى تقرير مصيره. واقامة الوحدة العربية بالطريق الديمقراطى واعادة تكوين نظام عربى جديد يتأسس على الديمقراطية واحترام حقوق الانسان ويتيح مشاركة العرب كل العرب فى صنع مصيرهم وخندق الديكتاتورية المتسلطة والعدوان والضم والاعتداء على حقوق الانسان العربى باسم الوحدة او الاسلام او غير ذلك من الدعاوى. ولاوجود لموقف وسط بين الموقفين ولاننى ارفض الديكتاتورية وضم الاراضى بالقوة واهدار الحقوق الاساسية للانسان العربى وفرض الوحدة من اعلى وعن طريق القوة فاننى اعارض بلاهوادة الاحتلال العراقى للكويت وأؤيد بلا تحفظ كل القوى الساعية لدحر العدوان العراقى واعادة الحق الشرعى لشعب الكويت فى تقرير مصيره.

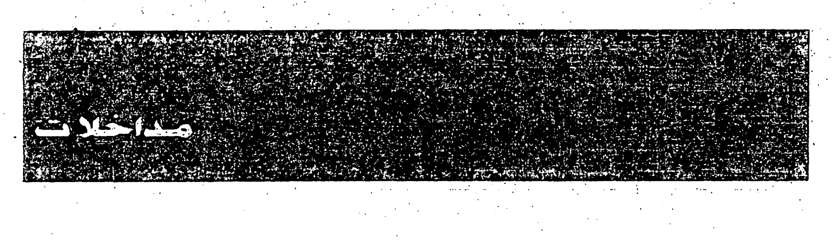


انتشرت فى السنوات الماضية فى كتابات الكتاب الماركسيين والناصريين والقوميين المصريين والعرب تعبيرات ذات طابع بلاغى خداع كان من اشهر هذه التعبيرات تعبير المشروع القومى وهو تعبير يحوى الكثير من التضليل السياسى والايديولوجى.

وقد لفت نظرى فى العدد السابع من اليسار مقال الاستاذ عبد الغفار شكر والمعنون «الرئيس وفكرة المشروع القومى منذ السد العالى الى تعمير الصحراء» والذى ناقش فيه هجوم الرئيس مبارك على طلب بعض المواطنين والكتاب بتبنى مشروع قومى يلتف حوله الشعب المصرى. وبين الاستاذ عبد الغفار شكر أن المقصود بالمشروع القومى هو «اشراك الشعب فى التفكير والعمل لتحقيق انجازات هامة و «تعبئة الشعب واستثارة حماسه لتجاوز موقف المتفرج او موقف اليائس المحبط».

والحقيقة اننا نختلف مع الموضوع برمته لاننا نعتقد ان الاستاذ عبد الغفار شكر قد انتقد مقولات الرئيس مبارك على نفس ارضية افكار الرئيس وهنا نتذكر مقولة الشهيد مهدى عامل عندما قال «ان كل نقد لايديولوجية طبقة معينه بالضرورة باطل اذا كان نقدا لها من موقفها نفسه اى من زاوية نظرها الطبقية». والحقيقة ان اختلافنا مع فكرة ومفهوم «المشروع القومى» تتركز فى مجموعة من النقاط هى:

(١) ان مقولة «المشروع القومى» مقوله تجعل من حركة التاريخ حركة إرادية يستطيع الافراد توجيهها باختيارهم الحر مع ان الفكر



الماركسي يعلمنا ان الافراد يصنعون تاريخهم وهم لايدركون ذلك، صحيح ان هناك وعي بالتاريخ او وعي تاريخي» ولكن هذا لايتفق مع هذا المفهوم.

(٢) ويغيب هذا المفهوم «الثورة» و «الثوري» لصالح المشروع بهذه الضبابيه التي يخلقها الالتباس. فهو مفهوم لاطبقي هدفه دفع الجميع إلى الالتفاف حول مشروع واحد لانعرف له طبيعة او كنه فهل هو فى اطار نظام اشتراكي ام راسمالي ديمقراطي ام ديكتاتوري، وطني أم تابع.

(٣) يتجاهل المفهوم تبعية النظام وسياساته وتوجهاته لحل قضاياه فى اطار جبهة الامبريالية. ولعل المدهش فى مقال الاستاذ عبد الغفار شكر انه يطرح هذا الفهم صراحة عندما يقول «ان هذه الاهداف كفيله بجذب اهتمام ومشاركة دائره واسعه من المصريين بمستوى فى ذلك انصار الحكم ومعارضوه. بل ويلتقى فى اطاره حتى المعارضون للصلح المنفرد مع اسرائيل ومعارضو التطبيع انه نموذج للمشروع القومي الذى يدعم استقلال مصر موضوعياً ويقوى قدرتها على الدفاع عن استقلالها السياسى ودعم استقلالها الاقتصادى». وفى اعتقادنا ان هذا التوجه لايدعم الا النظام ويرمم له تهالكه وعجزه عن تجاوز ازمته بالدعوة الى طمس الخلافات معه حتى فى ابشع سقطاته فى علاقاته مع العدو الاسرائيلي ويكفل للنظام تأييدا شعبيا غير مشروط فى اطار تبعيته.

(٤) انه ليس بالمشروعات القومية تحل ازمة النظام فازمته ليست أزمة طارئه أو عارضه يستطيع تجاوزها. انما أزمته هي أزمة بنيويه فى طبيعة تكوينه وتوجهاته والاسس اللاديمقراطية المعادية للشعب التى قام عليها وحرصه على تغييب اى قوى اخرى من المشاركة فى ادارة شئون البلاد. فمن الممكن لاى نظام ان يحقق انجازات عن طريق الجماهير بطرق شتى ابسطها سلب وعي الجماهير عن طريق التعبئة الاعلامية وماشابه. ولعل ابرز مثال لتلك المشروعات «التى انجزت فى ظل هذه الانظمة المشروعات التى انجزت فى ظل الفاشيه فى المانيا وايطاليا كذلك فى الدول التابعه للولايات المتحده مثل كوريا وتايوان. او فى ظل حكم وطنى كما فى مصر الناصرية عندما حققت الكثير من الانجازات فى غيبة الجماهير والديمقراطية.

(٥) اننا نتفق مع ماجاء فى مقال الاستاذه فريده النقاش عن نفس الموضوع والمعنون «حول المشروع القومي والنهضة» ولكننا نختلف معها فى قبولها لاستخدام تعبير «مشروع قومي». فنحن نعتقد انه لايوجد شيء يسمى «مشروع قومي» او «مشروع ماركسي» او «مشروع أسلامي» وانما هناك معسكران معسكر الثورة بتوجهة الديمقراطي الوطني التحرري ومعسكر الثورة المضاده بتوجهه اللاديمقراطي المعادي للجماهير.

يبقى فى النهاية اننا نعتقد ان على اليسار المصري الا يلعب دور مقدم الاقتراحات او الاستشارات للنظام فهذه ليست مهمته بل تكمن مهمته الاساسية فى تأكيد استقلاله الفكرى والسياسى عن توجهات النظام وسياساته وتبنيه للمطالب الديمقراطية والعدالة والتحرر وسعيه لايجاد روابط حقيقية مع جماهيره فى اى موقع كانت وليس البحث عن نقاط التقاء حول افكار هى ابعد ما تكون عن الجماهير وطموحاتها.

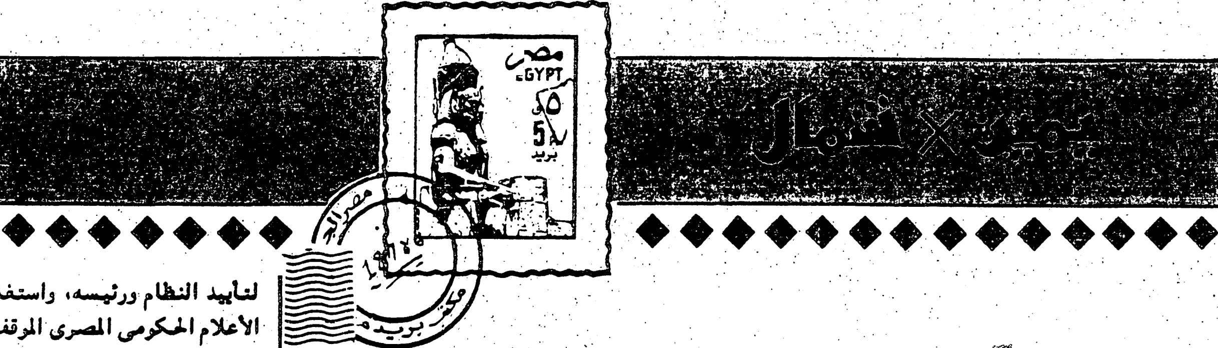
أنور فتح الباب عبد العال
مدرس مواد اجتماعية
السويس الاربعين

لاتناقض بين الاصلاح والثورة

القضية الحقيقية التى يطرحها الصديق أنور فتح الباب هي:

كيف يعمل اليسار فى مجتمع متخلف وتابع كمصر فى ظروف ضعف قوى الثورة وعجزها عن التغيير فى المدى المنظور؟ وهى قضية جديرة بالاهتمام وارجو أن تدير مجلة اليسار حوارا واسعا حولها. ومع احترامي الكامل لوجهة نظر الاستاذ انور فتح الباب فانني اختلف معه فيما انتهى اليه من استنتاجات، اعتقد أنه من الخطأ تناول قضايا المجتمع والثورة على طريقة (إما.. وإما) فالفكر الاشتراكي يقوم أساسا على النظرة الشاملة للظواهر وليس لجانب واحد منها فقط، فالوحدة والصراع سمتان متلازمتان للظواهر الاجتماعية، والتغيير الكيفى يسبقه ويمهد له تراكمات كمية بطيئة ومتدرجه، والثورة لاتستبعد الاصلاح، والأهداف النهائية والعامة لاتتحقق الا اذا ترجمت الى اهداف مرحلية ومهام جزئية طبقا للظروف الموضوعية وقدرات الحركة الثورية، والوعي الطبقي لايتشكل دفعه واحدة ولكنه ينضج من خلال التزاوج الخلاق بين النظرية والممارسة، أن المشكلة الحقيقية لقطاع كبير من اليسار المصرى أنه لايفهم كيف يترجم اهدافه النضالية الى أنشطة ملموسة بين الجماهير ويفتقد الفاعلية فى تعامله مع المجتمع لأنه لاينطلق من وعي الجماهير وخبراتها ومشاكلها بل ينطلق من رؤية نظرية عامة ومجردة. ومنذ سنوات طويلة يشغل بالى هذا الموضوع وقد قادتني خبرتي الشخصية الى أهمية العمل الملموس حول قضايا ومشاكل محددة والى ضرورة جذب الجماهير للعمل العام كوسيلة لاثارة اهتمامها ورفع وعيها وليس شرطا أن يدور نشاطنا كله فى اطار أيديولوجي وشعارات ثورية. لقد رأيت المئات من الشباب وهم يتقدمون على طريق الوعي الطبقي من خلال أنشطة ثقافية أو مشروعات للخدمة العامة ومعسكرات العمل التطوعية. المهم هنا من يوجههم وكيف يأخذ بيدهم ويوضح لهم العلاقة بين مشاكلهم المباشرة وبين النضال التقدمي للتغيير الاجتماعي، وفى هذا الاطار فانني مازلت مقتنعا أنه لاتعارض بين تقييمنا للوضع فى مصر على أنه مجتمع رأسمالي مشوه وتابع وبين المشاركة الجماعية فى مشروع لاقامة مجتمع بشرى كثيف فى سيناء لأنه موضوعيا لصالح استقلال مصر وتقدمها، بل ان تنفيذ مشروع لاستئصال البلهارسيا من مصر من خلال تعبئة سياسية وجماهيرية هو فى النهاية انجاز هام يساعد على تقدم مصر ويمكن أن تشارك فيه الرأسمالية والطبقة العاملة وليس فى هذا تعارض مع العمل الثوري أو تغييب للثورة. لقد تناولت الاستاذة فريدة النقاش فكرة المشروع القومي من منظور التغيير الثوري، بينما كان اهتمامي بتناولها من منظور العمل الاصلاحي وليس هناك أى تعارض بين النظريتين فكلتاهما تكمل الأخرى. المهم أن نتعلم كيف نمارس عملا أصلاحيا يكون بديلا عن الثورة.

عبد الغفار شكر



هذه الصفحات مفتوحة لكل أصحاب الأفكار، سواء كانت تأتى من اليمين أو تهب من اليسار.. المهم أن تكون أفكاراً.

كثيراً من العقل

قليلاً من العاطفة وكثيراً من العقل. يجب أن يكون ذلك هو المنطق الذى نتعامل به مع الاحداث الجارية بالخليج العربى. ان الدعوة لتواجد القوات العسكرية الامريكية قد جانبه شيء من التوفيق لأن ذلك دعوة إلى مزيد من اراقه الدماء العربية التى نأمل أن تتوقف. وليكن الحوار والتفاوض العربى مع الرئيس العراقى هو الحل الأمثل لازالة حدة التوتر وخطوة لايقاف اراقة الدماء. ولتكن الحلول عربية عربية فلسنا بحاجة لمن يفرض علينا أو يطرح علينا الحلول.

لقد انعقدت القمة العربية ولم تسفر عما يجب. فمن يقدم الحلول ويحل الأزمة وقيادات الأمة العربية فشلوا وانقسموا لنترحم على أيام الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وبطل الأمة العربية والمسلمين الناصر صلاح الدين الأيوبى

حسام الدين حسن
مستخلص جمركى

لم نعد نثق فيكم

مع انفجار الازمة الخليجيه تأكدت الحقيقة التى حاول الاعلام الحكومى فى الدول العربية طمسها، فاذا بالحديث عن التضامن العربى والتكتلات والاتفاقيات العربية، مجرد اقنعة كاذبة تسترت خلفها الانظمة العربية لاخفاء الحقيقة المؤلمة أو تحول الموقف العربى تجاه الأزمة من موقف «الطرف» إلى موقف «المراقب» المطالب بضبط النفس والاستماع إلى صوت العقل وهرع الجميع نحو أمريكا رغبة فى طلب الحل وفزع النظام السعودى يستنجد بالصديق الامريكى، وأيا كان السبب فى هذا الطلب فالسؤال هو:

ما هى فائدة صفقات الاسلحة التى دفع فيها النظام السعودى أثماناً خيالية!!!

أما عن النظام المصرى فحدث ولاحرج فلقد تحول الموقف من الأزمة إلى مظاهرة سياسية لتأييد النظام ورئيسه، واستغل الأعلام الحكومى المصرى الموقف كعادته فى إظهار حنكة النظام وبراعته السياسية فى حل الأزمات، حتى لو كان النزاع بين «السنهال» «والتاميل» وخرج علينا الصحفى الكبير يقوله كيف أدار مبارك الأزمة؟!!!

وخرجت المظاهرات وطفت المبايعات على التحليلات ولأولئك نقول: رفقا بنا فنحن لم نعد نثق فى أنظمتكم.

ولم نعد ندين بدين حكامكم!!! والتاريخ لايغفر الجرائم فى حق الشعوب

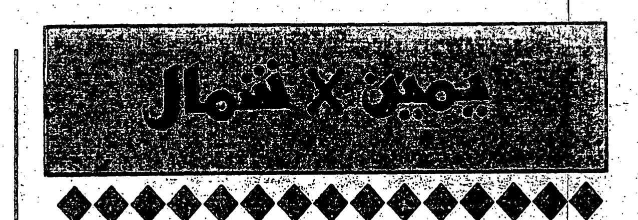
ناصر عبد الواحد
القاهرة

أين يستثمرون أموالهم؟

أحب أن أعبر عن إدانتى لغزو العراق للكويت، رغم كل الحجج والمبررات، وبقدر إدانتى للغزو أدين السياسة الاستثمارية للكويت ولكل دول الخليج بلا إستثناء فهى سياسة غير قومية بالمرة لأنهم يستثمرون أموالهم فى بلاد الغرب فتعود بالفائدة غير المباشرة على الصهيونية فى نفس الوقت الذى تعانى فيه دول مثل مصر والعراق والجزائر... الخ من العجز المادى عن اقامة مشروعاتها التنموية وتضطر للخضوع للشروط الامبريالية وصندوق النقد الدولى، بينما يقومون بزيادة صادرات البترول أكثر من حصصهم فتهبط أسعاره فتخسر الدول العربية عن كل دولار فقط فى سعر البرميل مليار دولار سنوياً وها هى ذى السعودية تقوم بجهود



- احنا فى حالنا .. ماغزيناش حد .. بتجوعونا ليه ؟!!



مكثفة لكى.. يجتمع «الأوبك» لزيادة حصص التصدير للدول الأعضاء بحجه إستقرار اسعار البترول. فهل يقدمون المساعدات للغرب على طبق من ذهب لرد جميل أمريكا فى الدفاع عنهم أمريكا التى تحاول أن تمثل دور حامى حمى السلام ومنفذ العدل على مستوى العالم العربى، فأين كانت أمريكا عندما استولت إسرائيل على فلسطين وقامت بمذابحها ضد أطفال الحجارة واستعملت حق الفيتو ضد كل محاولة لاصدار قرار من المجتمع الدولى ضد ممارسات اسرائيل ضد أطفال الحجارة. وأمريكا ذاتها التى قامت بغزو جرينادا والقاء القنبلة على هيروشيما وغزو فيتنام واخيراً غزو بنما والقبض على رئيسها، ثم تتباكى على الرعايا الأجانب، هى التى قامت بحجز الرعايا اليابانيين فى الحرب العالمية الثانية فلماذا يقيم صحفيونا الدنيا ولايقعدوها على بضع الاف، وكأنهم أغلى من إخواننا العراقيين وأبنائنا الذين يحجزون بالعراق الذين يمنعون عنهم الطعام والدواء.

سيد محمد سيد
المعمورة حسام
السويس- الأربعين

حل لايرضى جميع الأطراف

اقدم اسف كل الشعب المصرى، بل أسف كل الشعب العربى لما يحدث فى بلادنا من احداث خطيرة، قد تعصف بالجميع. رغم ذلك انقسم زعماء وقادة البلاد العربية انقسمت البلاد داخلياً بين مؤيد ومعارض، فرأينا موقف حزب العمل الاشتراكى فأسفت، وأسف الجميع لما قد وصل إليه من انقسام، فهل يفيق الجميع للخطر المتربص بالبلاد ويعملون تحت مظله واحدة وهى وحدة الأمة العربية ووحدة الصف العربى. ان مايحدث هو امتحان لهؤلاء القادة والزعماء بل امتحان للشعوب العربية ،الجميع على أهبة الاستعداد لتخطى تلك الأزمة ولكن ليس وبالامنيات بل بالفعل والتشاور والحوار والشعور بمدى خطورة الموقف ومدى نتائجه على أمة العرب والمسلمين لسنا نريد حلا يرضى جميع الأطراف بل حلاً يرضى أمة العرب والمسلمين نطرحه نحن ولايفرض علينا من القوى الاجنبية التى انفرجت اساريرها للأحداث الجارية وحركت اساطيلها لتفرض تواجدها بعد ان ظلت الشرق الاوسط مقبرة للغزاة وللقوى الامبريالية فهل ستظل تلك المقولة سائدة، وتسطع الشمس يوماً ونجد تلك القوات راحلة تجر أذيال الخيبة انها امنية وفى المستقبل ستكون عملا شعبيا متمثلا فى مقاومة تلك القوات وتواجدها وسنعمل وسيعمل الجميع على ذلك.

حسام الدين محمد
مستخلص جمركى-
الإسماعيلية

عبد الناصر أم هولاكو

برغم إدراكى ومعرفتى أن ماينشر فى الصحف المصرية الحكومية، هو تعبير صادق وواضح عما ترغبة الحكومة ومايريده الحزب الحاكم إلا أننى أصبت بالدهشة والذهول عند قراءتى لما تنشرة الصحف عن «صدام حسين» فلقد صورته تلك الصحف على أنه «دراكولا» العراق و «هولاكو» العرب و «هتلر» العالم، ناسية أنها منذ مالايزيد على ثلاثة أشهر كانت تسبح بحمد صدام مشبهة إياه أنه «هارون الرشيد» العراق و «جمال عبد الناصر» العرب و «نابليون بونابرت» العالم كل هذا بسبب أنة رفض الوصاية المصرية على« قراراته والتبعيه الأمريكية فى شئونه فبعد أن كنا نشبهه بنسل النبى (ص) أصبحنا نشبهه بنسل الشيطان، كل هذا بسبب غزوه للكويت. ومع أننى ضد غزوه الكويت إلا أننى أيضا ضد التدخل الأمريكى فى الخليج والسعودية وإذا كانت أمريكا قد جعلت من الحكومات العربية «طابورا خامسا» يساند مصالحها ويبرر للشعوب العربية أسباب قدوم الجيش الأمريكى إلى الجزيرة العربية وأنها هناك لنشر السلام فأنا أنكر كل هذا لسبب بسيط هو أن أمريكا لم تكن يوما تعمل للسلام والدليل على ذلك هو الحرب العالمية الثانية لقد دخلت الجيوش الأمريكية بعض الدول من أجل أن تقاوم هتلر وبالفعل قاومته وهزمته هي وباقى الحلفاء، فماذا حدث لم تترك هذه الدول إلا بعد أشهر وسنين ومنازعات دوليه طويلة. فإذا كنا نظن أن أمريكا ستترك السعودية وترحل فنحن واهمون حتى لو خرج صدام من الكويت لن تخرج أمريكا من السعودية. فيجب أن نفيق ونعود إلى رشدنا ونعلم أن مشاكل العرب لن يحلها إلا العرب وأن مشكلة الكويت كان من السهل حلها لولا تدخل أمريكا، فالعرب قادرون على حل مشاكلهم بأنفسهم ولم يكونوا يوماً ضعافا لدرجة أن تدخل دولة أخرى لتحميهم، لذلك يجب أن ترجع أمريكا من حيث أتت، حتى لاياتى اليوم الذى نندم حيث لايفيد الندم.

عبد الناصر سعد أبو العنين
الدلنجات- بحيرة

حتى ماء الوجه

اذا كان هناك شبة إجماع عربيا وعالميا على إستنكار الغزو العراقى للكويت، فليس هناك خلاف على أن الامة العربية هى الطرف الذى سوف يتأثر تأثيرا مباشرا بهذا الغزو الذى أبرز أمورا خطيرة تمس الامة العربية ذاتها وتذكر من تلك الامور

أولا: غياب الزعامة العربية الشعبية وغياب الشخصية العربية القادرة بما تملكه من مقومات موضوعية وشخصية على إحتواء بوادر أية أزمة تلوح فى سماء الوطن العربى ذلك أن محاولة عبد الكريم قاسم التدخل فى شئون الكويت فى حقبة الستينات مرت تقريبا بنفس ظروف المحاولة الاخيرة ولكن وللاسف تشابهت الظروف وإختلفت النتائج فما لبثت محاولة عبد الكريم قاسم أن أحبطت بعد مكالمة هاتفية بين جمال عبد الناصر وعبد الكريم القاسم!!!!

الأمر الثانى : أن مانسمع عنه ونراه من لقاءات عربية وتكتلات إقليمية ووجهات النظر التى توصف دائما بانها متحدة كل ذلك أظهرتة الازمة الاخيرة على حقيقته، وأنه لم يكن سوى وهم جميل ومحاولة لتجميل البيت العربى من الخارج، وهو فى الداخل يغلى بالفتن والخلافات العظيمة والمصالح المتنافرة والمتباعدة!!!

الامر الثالث: الذى أبرزه الغزو وهو الأمر الأكثر خطورة، مدى السيطرة التى تمارسها أمريكا على العالم باسره فمنذ اليوم الاول للغزو وأمريكا تثير

العالم ضد العراق وتقوم على تعبئة الرأى العام العالمى ضد الغزو ثم تتدخل لدى مجلس الامن وتسيطرتها على هيئة الامم المتحدة لكى يصدر ثلاث قرارات متتالية ضد العراق بادانة الغزو وفرض عقوبات اقتصادية علية وأخيرا برفض قرار العراق بضم الكويت ونحن إذا كنا نرفض أفعال العراق الاخيرة فأننا نطرح السؤال التالى

أين كانت أمريكا وهى ترى إسرائيل تعربد فى المنطقة وتنتهك حقوق الانسان؟!!!

غـزت لـبـنـان وطـردت الفلسطينين أصحاب الأرض فى وطنهم ولم تتحرك أمـريـكـا وحلفاؤها سوى بمطالبة إسرائيل بضبط النفس!!!

لماذا لم ترسل أمريكا وحلفاؤها القوات العسكرية والطائرات الجديثة لحماية لبنان أو فلسطين من دنس الاقدام الهمجية؟!!!

وأخيرا لماذا عجز مجلس الأمن عن إصدار ولو قرار وحيد يدين العربدة الاسرائيلية فى المنطقة؟!!!

أظن أننا جميعا كعرب لانرض بان تكون ضعفاء فهل نفعل مايحفظ لنا حتى لو ماء الوجه

السيد الدقراوى
القاهرة

ماذا يريدون قوله؟

١- قرأنا فى جريدة «الاهرام» مقالين متتالين حول «سيرة صدام حسين» بقلم الكاتب «ابراهيم نافع» ولم نستطع أن تعرف على وجه التحديد ماذا يريد أن يقول كل مافهمناه أن الزعامة لم تأت لصدام حسين اعتباطا ولابمحض الصدفه وأنه يجد نفسه يوما رئيسا للدولة وانما كان ذلك ثمرة كفاح ونضال وصلابه وبعد عن الهزل وامتثال للجد وتصميم وجلد ومعاناه وتخطيط هل هذا مايريد أن يقوله ابراهيم نافع؟

٢- هل مايكتبه بعض المحررين اليوم عن فلسطين وقادتها هو رغبة كامنة فى أعماقهم أم هو تقرير واقع من حيث أن القضية الفلسطينية ضاعت الى الابد

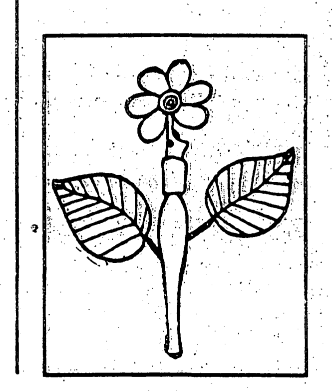
٣- سيادة المستشار عبد الحميد يونس لم يكتب حرفا واحدا عن مشكلة الخليج ومن الطبيعى أن يكون ذلك عن عمد فماذا يريد أن يقول؟

السعيد الزميعى
مواطن

بين اليسار.. واليسار

** انها المره الأولى التى أقرا فيها مجلتكم الرائعه والتى ادهشتنا بشموليتها من تحليل الزلزال الى القضايا الفكرية الى الأدب وحتى الغناء ودوره فى العملية النضالية رغم أن الشيئ الهام الذى تطرحونه هو حديثكم المطول عن تاريخ المناضلين الشيوعيين فى بلدكم عن شهدى عطيه وارشيف اليسار «الدرس والمأساه»

الرفاق الاعزاء: شيئ جيد أن تعرف تاريخ حركتنا الشيوعية فى وطننا العربى عدا الشخصيات التى ساهمت فى



أرسائه نعرف هذا التاريخ بنجاحاته وإخفاقاته ليكون درسا للشيوعيين يتعلمون منه فى ظل نضالهم لبناء الوطن الاشتراكي الواحد

والشيئ الثانى: هو ربط نضال الشيوعيين فى جميع الأقطار العربية ليس على مستوى القيادة وحسب بل وعلى مستوى ادنى المراتب الحزبية لتعميق النضال وتعزيزه وخاصة فى ظل الهجمه الأمبريالية المسعوره على بلادنا العزيزة، ودمتم للنضال

سعيد الفرازمه
عامل- الاردن-
الظليل

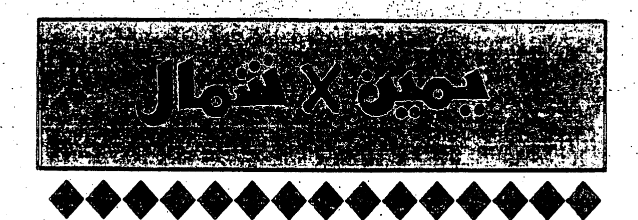
** لم أتنبه الى صدور «اليسار» إلا مع العدد السادس، أحييكم، وأشد على أيديكم. أود الحصول على الأعداد الخمسة الأولى، بحثت عنها فى مكتبات الاسكندرية فلم أجدها

أسامة ابراهيم
دسوقى
ادكو

** المحرر: الاعداد السابقة من «اليسار» تباع فى «مكتبة عرابى» ٦٤ شارع محرم بك بالاسكندرية. وبالقاهرة بمكتبة دار الثقافة الجديدة ٣٢ شارع طلعت حرب بالقاهرة وبالمقر المركزى للتجمع شارع كريم الدولة المتفرع من ميدان طلعت حرب.

** من سوء الحظ أن «اليسار» صدرت مع سيل من مجلات الموضة والازياء والرياضة، فلم يلتفت اليها كثيرون، الا بعد انحسار هذه الموجة، التى تخاطب معدة الناس لاعقولهم.. تحياتى لرئيس التحرير على موضوع الزلزال، وللدكتور يونان لبيب رزق على مقاله الهام عن الفتنة الطائفية، وتحياتى للرسام عمرو سليم صاحب أجمل واجرا كاريكاتير فى الصحافة المصرية الآن...

مهندس محمد عبد الوهاب محمد
سوهاج



ردود خاصة

** مجدى ابراهيم خليل (بنك القاهرة): نشكرك.. بعض أقتراحاتك نفذناها.. والآخر تحت البحث.

** سمير عبد الحميد سليمان (بشلا- ميت غمر): نشرنا لك رأيك، وقلنا رأينا، ومن حقك أن تحتفظ برأيك، وهذا حقنا أيضا. فتحفظ على الأحكام التاريخية التى أصدرتها.. ونأمل أن تهتم بدراسة الموضوع فقد تعدل رأيك.. وسنفعل ذلك نحن أيضا.

** محمد السيد الصيرفى (طالب جامعى): نشكرك. صفحاتنا مفتوحة لكل الآراء والاتجاهات. نحن لاننشر قصصا ولا أشعاراً، لأننا مجلة سياسية فكرية. أحلنا قصتك الى مجلة «أدب ونقد» نرجو أن تتابعها هناك.



أسوأ مافعله الإعلام المصرى بالمصريين، خلال معالجته الفجة، وغير المتزنه لأزمة الخليج، هو تحويل الأزمة إلى مناظرة بين طرفين لا إلتقاء بينهما واختيارٌ بين موقفين لاثالث لهما.. فالشيء الوحيد المتاح أمام المواطن المصرى، هو أن يكون مع «الكويت» أو يكون مع «العراق»، وأن يساند «آل الصباح» أو «آل صدام حسين».، وأن يقف مع «القوات الأمريكية فى السعودية» وإلا كان معنى ذلك أنه من المؤيدين للغزو العراقى للكويت!

وهكذا تبدد ثلاثة أرباع ماكتب، ومأذيع، حول الأزمة، فى تناول تعمد الذين طرحوه الخطأ فيه ولذلك فإنه مالبث أن آثار ضيق المصريين به، إذ بدا أمامهم تبسيطاً مخلاً فى تناول أزمة حقيقية ومصيرية، هدفه الخفى هو تمرير السياسة المصرية الخاطئة، التى أفسدت بانحيازها وضعفها واندفاعها وتبعيتها كل محاولة لاحتواء الأزمة عربياً، لكى تتيح للأمة العربية فرصة الاستمتاع بمذاق الانتعاش الذى تشعه المكيفات الأمريكية!

وفى ظل هذا الحرص على افتعال استقطاب عربى، لا أساس له فى الواقع، واستقطاب مصرى لا أساس له فى الشارع، نشرت وسائل الاعلام المصرية الرسمية، أسوأ ماكتبته فى تاريخها الملىء بنقاط الظل، ومناطق الريبة، واستنطقت كثيرين، مالايريدون قوله، بالحاح سمج، ثم سمحت لنفسها، أو سمح لها أصحاب الحل والعقد أن تبشر وتحبذ فكرتين داعرتين:

* * الفكرة الأولى تحرض الرئيس الأمريكى «بوش» على ضرب العراق حالاً بالاً، وتصفية قوته العسكرية، و«تكسيح» جيشه دون إبطاء، وكأن الذى سيضرب ويكسح هو جيش «العدو» الاسرائيلى، وكأن صواريخ فضيلة الشيخ بوش، قادرة على التمييز بين العراقيين والكوتيين، أو بينهم وبين المصريين المقيمين فى بغداد.

* * الفكرة الثانية: تحرض الرئيس المصرى حسنى مبارك، على أن يطلب من الأمريكيين أو من السعوديين، أو من الاثنين، دفع فاتورة الموقف المصرى فى الأزمة حالاً بالاً، وله فى تركيا أسوة حسنه، فيقبض- مقدماً- ثمن إرسال قواته إلى السعودية، وثمن مواقف حكومته فى المنظمات الدولية والعربية، وثمن تأييد إعلامه فى الداخل بالدولار الأمريكى الذى هو غاية المراد من رب العباد!

وهكذا.. وبلا أى حياء، اختلط زار الاعلام المصرى، بمشايخ ومهرجين، يحوقلون ويبسملون، ويطبلون ويرقصون ويملأون الدنيا صراخا بهتاف العصر: تقدم.. وادفع يا سيدنا بوش.

ولامعنى لهذه الهتافات الحمقاء، إلاّ أن مصر بكل تاريخها الجليل، ليست فى نظر هؤلاء السادة، سوى وطن مفروش للإيجار، يحكمه مرتزقة يمكن أن يؤجروا سياساتهم ويوجروا جيشهم، بالدولار! ماذا تكون الدبّة التى قتلت صاحبها، إذا لم تكن هى هؤلاء السادة، الذين لو أنصفوا لقالوا:

- أن تحرير الكويت من الغزاه هى مهمة الشعب الكويتى بالأساس، وهى فرصة يتخلق فيها كيانه ليعرف أن الوطن ليس حسابا فى بنك، وليس تذكرة فى طائرة، وليس مزاراً سياحياً.

- وأن تحرير الشعب العراقى من حكم صدام حسين هو مهمة الشعب العراقى دون سواه..

- وأن تحرير مصر، يبدأ باسكات هؤلاء الذين يدعون لتأجيرها مفروشه ومسلحة!، قبل أن تحدث المأساة فيضرب «بوش» ولايدفع سنتا ولا دولاراً!

صلاح عيسى

